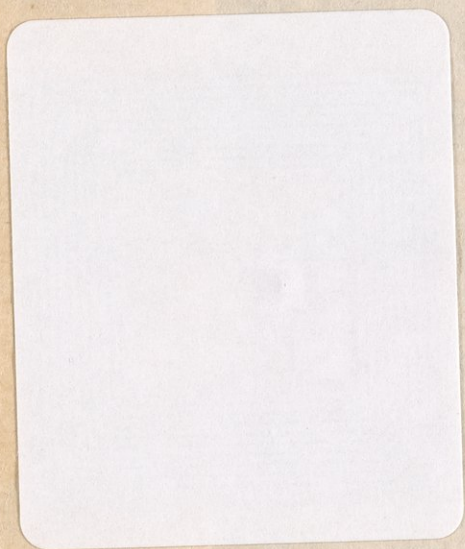
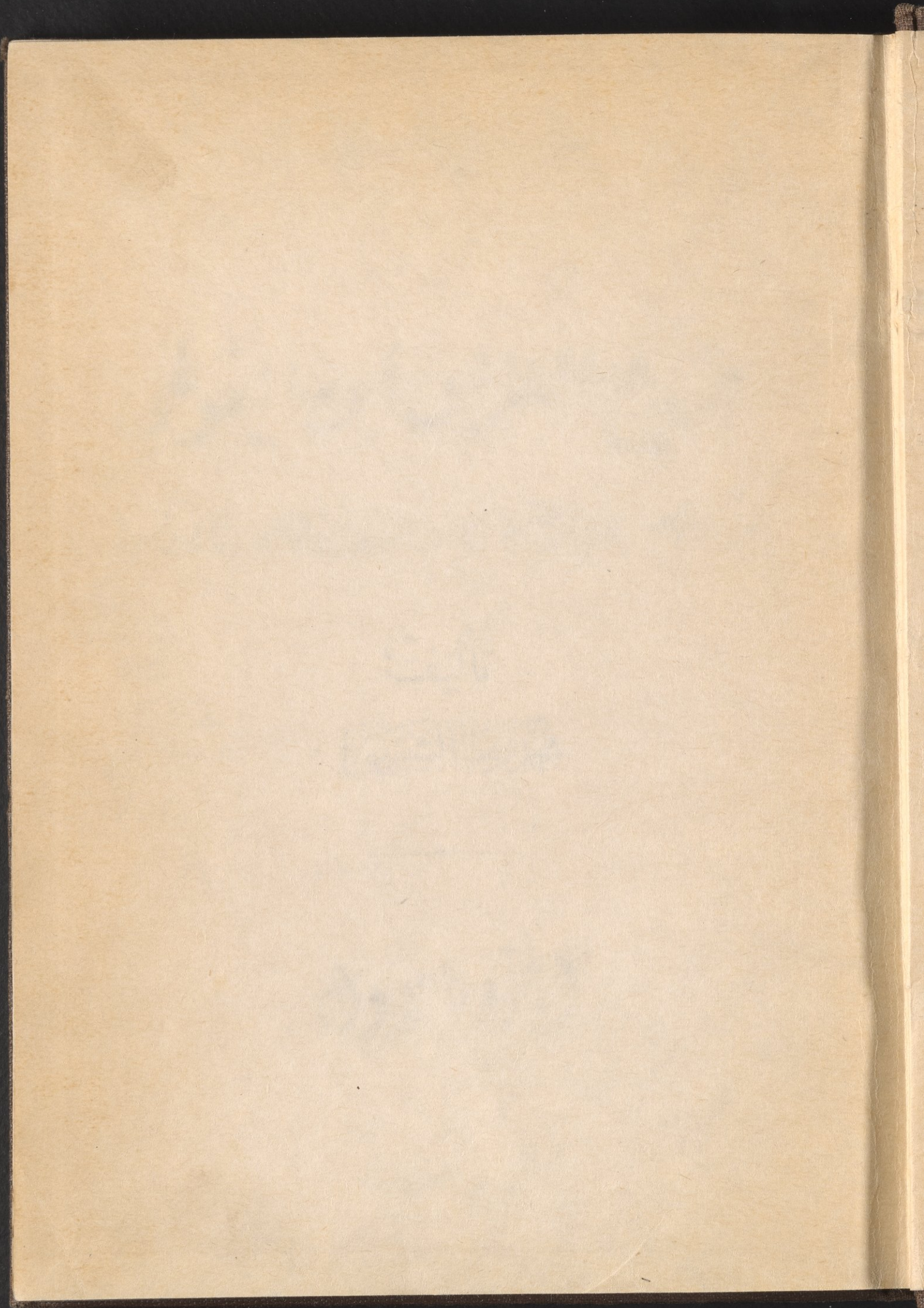
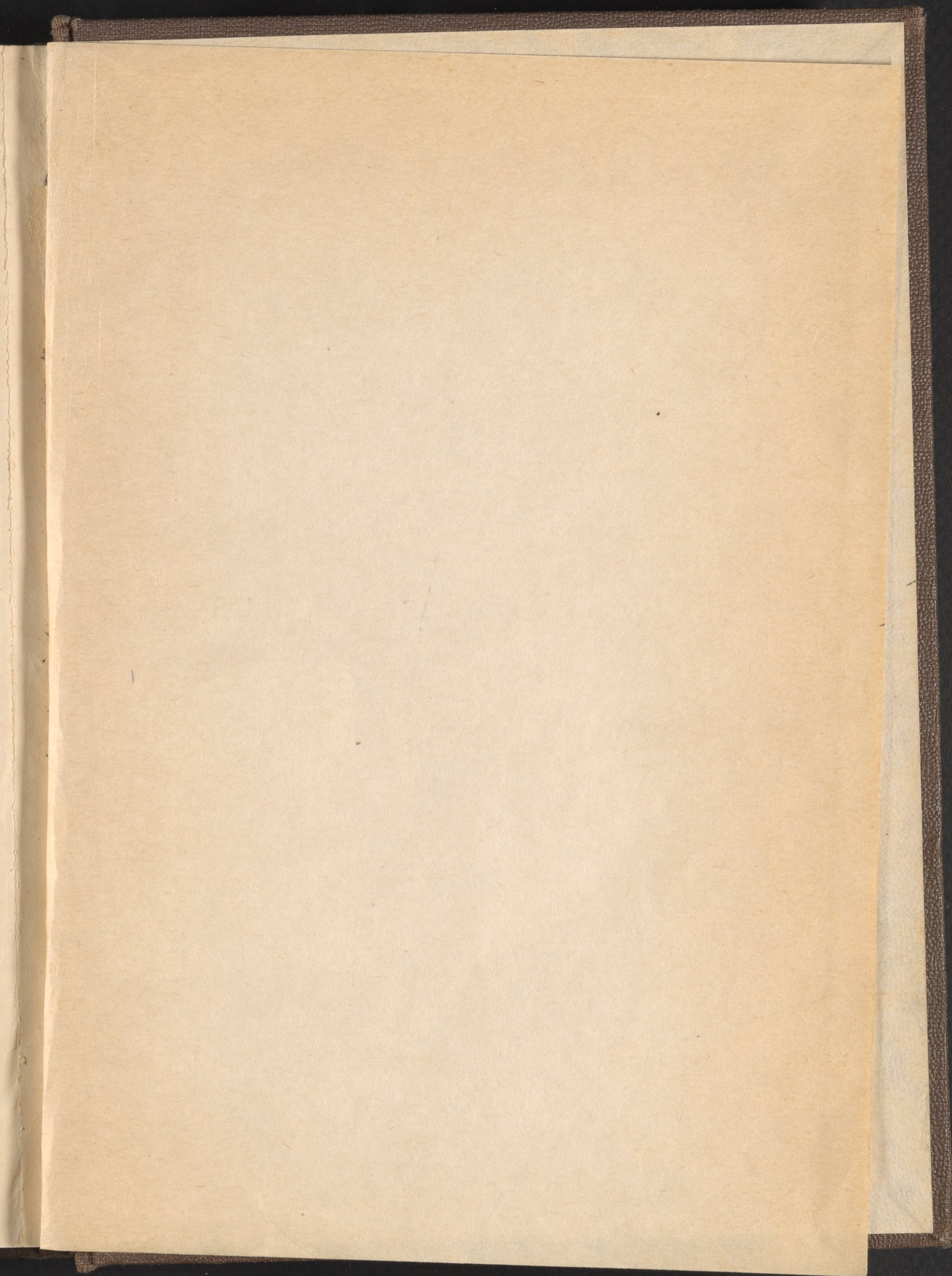


AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01050 1769

DS
76
3
19
9







مطبعة المجمع العلمي العراقي

سُورِخُ العراق ابن الفوطي

بحسب نسخة المخطوط في المكتبة المملوكية في القاهرة

DS

76

.552

1950

V. 1

تأليف

محمد رضا الشنيتي

Published by

الجزء الأول

مطبعة التفتيش بغداد

١٣٧٠ - ١٩٥٠

يقول الميرزا علي محمد

٨٠٣٠٧
فرط

كتاب...

تفصيل

تفصيل

كتاب...

٦٩٣٩٨

كتاب...

٧٧١ - ٥٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

خالجتني فكرة البحث عن تاريخ العراق في العصر المغولي ، ثم عن سيرة مؤرخ العراق في العصر المذكور كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد المشهور بابن الفوطي (٦٤٢ - ٧٢٣) بعد الظفر بقسم من معجم له في التأريخ وكان ذلك عام (١٣٣٧ - ١٩٢٠) في دمشق الشام ، فاذا هو معجم يعنى المؤلف فيه بهذه الناحية الغامضة من تاريخ العراق أكثر من غيرها بكثير وقد حالقه التوفيق في حفظ قسط كبير من تاريخ العصر الذي عاش فيه ولذلك عنيت بدراسة الجزء المذكور ، فهو أصل لا يستغنى عنه في معالجة تاريخ العراق بعد استيلاء المغول على البلاد .

لاحظت وأنا أغنى بالبحث عن تاريخ العراق بعد زوال الدولة العباسية فائدة التوسع في تاريخ الدولة المذكورة واعداد بحث قائم بذاته في هذا الموضوع ليكون كالمدخل لما أنا بسيله من البحث في هذا الكتاب عن عصر المغول وقد اخترت له هذا العنوان (الدولة العباسية من بدايتها الى نهايتها) وهو فيما أرى بحث لا يستغنى عنه في تحليل كثير من الحوادث التاريخية الغامضة واكتناه أسرارها وحل معيقاتها وما أكثر الغموض والابهام في نصوص المؤرخين وفي أصول التأريخ !

ان هذا الكتاب من حيث مجموعه بحث في أدوار التأريخ العراقي من مستهل العصر العباسي الى أواخر عصور المغول وفي طبيعة كل عصر من العصور المذكورة وأظهر مميزاته ، ودراسة في سيرة المؤرخ المعروف بابن الفوطي وفي رسالته وآثاره التاريخية وما الى ذلك من الأبحاث . وكان معجم ابن الفوطي الذي ظفرت ببعض أجزائه في طليعة الأصول المعول عليها في هذا الباب .

اتضح لي بعد التأمل فيما انتهى اليه من معجم ابن الفوطى انه من تلك الأصول
التي يصح الركون اليها في تأريخ العراق والشرق بأسره في الفترة المظلمة التي
بدأت بانحلال الدولة العباسية واستيلاء المغول على العراق وعلى ما جاوره من الاقطار
وظهر لي أيضا أن هذا المعجم خير مرجع لمن يعنى بدراسة سيرة ابن الفوطى نفسه فانه
تحدث فيه كثيرا عن شؤون حياته وأحواله الخاصة وعرض لنا طرفا صالحا من سيرته ،
وقد أشار الى ما زاوله من مهن وأعمال ومن جملتها الاشراف على خزائن الكتب في
بغداد ومراغة وغير ذلك من الأعمال التي عهد بها اليه ، وكان ذلك على الغالب بإشارة
من أستاذه نصير الدين الطوسى الفيلسوف المشهور ، وكان هذا الفيلسوف يعنى كثيرا
بشؤون تلميذه المذكور .

وتعددت أغراض ابن الفوطى من وضع معجمه هذا ، وفي مقدمتها - على ما يبدو لنا
من التأمل في أسلوب المؤلف - انه قصد التحدث به عن صلاته ورابطته بأصدقائه ومشايخ
اجازاته ورؤسائه ، وذلك خلال مدة حياته الطويلة ، فعددهم والحالة هذه كثير جدا وقلما
خلت صفحة من صفحات الكتاب من حديث له عن نفسه أو عن بعض صلاته بمن اتصل به
من مختلف طبقات الناس ، وقد ساعده على ذلك ما جبل عليه من نشاط وما فطر عليه من
جد واجتهاد ، فقد كان كثير التنقل والأسفار في ممالك المغول وخصوصا بين العراق
وأذربيجان أو بين أذربيجان وأران (قفقاسية) وبلاد فارس وما الى ذلك ، وكانت معارفه
تتجدد ومعلوماته تتسع بمرور الأيام .

أضف الى ما تقدم انصرافه الى حرفته ، وهى الوراقة ونسخ الكتب
والاشراف على المكتبات وتنسيق خزائنها وتدوين المذكرات فكان جل وقته فى حله
وترحاله مستغرقا فى الكتابة والتدوين على الأسلوب الذى نراه فى معجمه المذكور ،
وكان يستصحب عددا كبيرا من الدفاتر المعدة للكتابة أينما كان ، ومما عنى بالإشارة اليه
فى معجمه هذا ما حذقه من فنون وعلوم . ومن ذلك علم التأريخ والأنساب وأصول
التعليم وتنظيم المكتبات والعناية بتحقيق الأصول المخطوطة والتنقيب عن النسخ المختارة
من المؤلفات . وقد عنى فيه كذلك بذكر كل من يلقاه أو يلقونه شيوخا
وطلبة ورؤساء وزوارا وأضيافا عناية تامة ، يتخلل ذلك كثير من الملح
والفوائد الاستطراذية والأحاديث التاريخية ، ولا نبالغ اذا قلنا : انه لا يجارى
فى الاطلاع على شؤون ممالك المغول ، من أقاصى الصين وبلاد الترك الى

بلاد الروم وفارس والهند سياسيا وجغرافيا وثقافيا ، ولم يقتصر ذلك على تأريخها في عصره - وهو عصر المغول في منتصف القرن السابع الى صدر القرن الثامن - بل هو الحخير بتأريخها وشؤونها في كل العصور ، ولا يقل عن ذلك اطلاعه على أحوال بقية الممالك الاسلامية أو ملوك العالم الاسلامي ، ففي كتابه شذرات عن الأندلس والمغربين الاقصى والأدنى فالديار المصرية والشامية الى الجزيرة العربية ، ومرد ذلك الى اجتهاده والى طبيعة أعماله في الدولة وقربه من الوزراء والأعيان ورؤساء الدواوين •

معجم شيوخ أو سيرة من السير الخاصة

يعنى ابن الفوطى في معجمه كما قلنا بكثير من شؤونه الخاصة فهو لا يترجم لكثير ممن ترجم لهم الا لانه حدثهم مرة أو اجتمع اليهم أخرى أو عامل أحدهم تارة أو اتصل بهم لأمر ما ، ولرؤسائه ومشايخه وأصحابه وأنداده فى الدراسة نصيب وافر من المعجم فكان الكتاب من بعض معاجم الشيوخ • وهذا النوع من المعاجم لا يعنى بتصنيفه الا أئمة المحدثين والمؤلف معدود من هذه الطبقة ، ولك أن تقول : انه معجم خاص بأعيان عصر المغول على اختلاف طبقاتهم ، وقل اذا شئت : انه سجل أو مذكرة أو سيرة من هذه السير الخاصة •

ومن مميزات المؤلف اذا تحدث عن سيرته أو سيرة من يتحدث عن سيرتهم فى كتابه أن يسترسل استرسالا يخرج به عن مألوف المتزمتين من أهل العلم فى كثير من الأحيان ، فهو لا يعرف الجمجمة والغموض بل يعشق البيان والوضوح ، وقد أعلن عن أسرار وجاهر بأمور خالف بها عادة أمثاله ، بل هو فى هذا الشأن الى رجال الأعمال وأرباب الدواوين أقرب منه الى غيرهم من سائر طبقات الناس •

معجم فى الادب

ومن أساليب المؤلف فى معجمه هذا أنه اذا ترجم لكاتب أو شاعر دعم أقواله بنبرة من ترسله أو شعره ، وكذلك يفعل اذا ترجم لأحد المتصوفة ، وهو من أكثر المؤرخين عناية بالتصوف والمتصوفين فى عصره وغيره من العصور ، بل يمكن اعتبار المعجم موسوعة فى الأدب والتصوف والفلسفة والتأريخ •

من ذلك ومن فصول أخرى سترأها فى مكانها من كتابنا هذا^(١) تعلم ما أسلوب

(١) أنظر الباب الاول من أبواب هذا الكتاب •

ابن الفوطى فى تأليف معجمه ، وهو أسلوب طريف يدل على أن صاحبنا وهب ذكاء وقادا وملاحظة دقيقة وذاكرة قوية ومضاء شديدا فى أداء رسالته التاريخية .

فى سبيل الدراسة

مضى علينا فى سبيل هذه الدراسة أثر ظفرنا بهذا الأصل المخطوط فى المكتبة الظاهرية أكثر من ثلاثين عاما فقد كنا ظفرنا به فى شتوة سنة ١٣٣٧ هـ - كما مر - فى أثناء التقيب عن بعض الأصول النادرة فى الخزانة المذكورة ثم قفلنا الى العراق وكان مرجعا فى الدراسة بعد ذلك مذكرة لخصت فيها على عجل بعض ما يعينى تلخيصه من الكتاب وهى مذكرة خفيفة لا تقضى بالمرام ، ولذلك تعددت محاولاتنا منذ ذلك الحين فى سبيل استنساخ الكتاب على الأصل المخطوط فى المكتبة الظاهرية بدمشق الشام ، لأن استنساخه ضرورة لا معدى لنا عنها لمواصلة هذه الدراسة وتجويدها على وجه يليق بهذا العصر عصر اليقظة الفكرية ، فلم تسعفنا الأقدار بذلك الى أن حلت سنة (١٣٥٨ هـ ١٩٣٨ م) وفيها رغبت وزارة المعارف الى المجمع العلمى العربى بدمشق فى استنساخ الأصل المذكور ، وما هى الا مدة قصيرة حتى وافانا المجمع فى السنة المذكورة بنسخة مصورة بواسطة أحدث الآلات النسخة ، وهكذا تمكنا من الوصول الى غايتنا المنشودة وحفظت تلك النسخة فى المكتبة العامة التابعة لوزارة المعارف فى بغداد . ومنذ ذلك الحين استسخت عليها نسخ عدة لبعض خزائن الكتب العامة والخاصة ، وتجرد لدرسها غير واحد من العراقيين المعنيين بدراسة المخطوطات والتقيب عن الأصول ، وتقع النسخة المصورة المرسلة لنا من دمشق فى ثلاثة أجزاء مع أن حجم الأصل لا يزيد على جزء واحد ، ولنا على نسخة الأصل ملاحظات من حيث التشويش أو التلفيق الطارىء عليها ، وهو تلفيق أفسد النسخة وأوقعنا كما^(١) أوقع غيرنا فى أوهام كنا فى غنى عن الوقوع فيها

(١) طرأ على أوراق الجزء الرابع من المعجم تشويش قلب كيان الكتاب رأسا على عقب وأوقع الناقلين عنه فى أوهام منكرة ومن ذلك ما وقع لمؤلف هذا الكتاب فى نقل نسب « علاء الدين عطا ملك الجوينى » عند ذكرنا له فى مقدمة كتاب الحوادث الجامعة - والأولى أن يقال مقدمة الأصل المغفل الذى اختير له هذا الاسم اذ لم يبت فى اسم هذا الكتاب ولم يتعين مؤلفه على وجه قطعى الى الآن - وقد نشر فى بغداد سنة (١٣٥١ - ١٩٣٢) وجاء فى تلك الكلمة انه « علاء الدين أبو الطيب بن عربشاه الخراسانى » وهذا وهم منشؤه التلفيق الطارىء على أوراق المعجم ، والصواب أن نسب علاء الدين كما نجده فى مكانه من معجم ابن الفوطى « علاء الدين أبو منصور عطا ملك بن محمد بن محمد بن على ابن احمد بن اسحاق بن أيوب بن الفضل بن الربيع بن يونس وزير الرشيد بن المهدي ، صاحب الديوان » .

هذا هو الوجه الصحيح فى نسب الجوينى كما جاء فى المعجم فليصحح بموجبه الخطأ الوارد فى مقدمة الحوادث الجامعة وقد أثرت بشأن هذا النسب معركة تاريخية أثارها صفى الدين محمد بن على بن الطقطقى صاحب الآداب السلطانية وسيرد عليك ذكرها فى موضعه من هذا الكتاب .

كما ستراه في بعض الفصول الآتية .

أصل يعول عليه

كان وجود هذا الأصل على مقربة منا عوناً لا يستهان به على المضي في البحث بل كان معولاً عليه وعلى تلك الرسالة الملخصة عنه في جل ما نشرته أو كتبه بعد ذلك عن مؤرخ العراق المذكور وعن عصره أو عصر المغول في العراق وعن معجمه المشار إليه . ومن ذلك رسالة عنوانها (مؤرخ العراق ابن الفوطي) وبحث عن واقعة بغداد وعوامل زوال الدولة العباسية ، وكلمة كتبت لتكون مقدمة لأصل تأريخي مغفل نشر في بغداد سنة (١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م) منسوبة الى مؤرخنا المذكور وعنوانه (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة) استندنا في كتابتها الى معجم ابن الفوطي ، ويجد القارئ في خاتمة تلك المقدمة وعدا صريحا من كاتبها بنشر دراسة له في هذا الباب .

بين الاقدام والاحجام

طلبت وما زلت أطالب بانجاز ذلك الوعد . ولكنني كنت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، فأتنا لم نظفر بما يكفي لاشباع البحث وتجويده من الأصول القديمة ، وما ظفرنا به لا يتعدى سدس الكتاب على أكثر تقدير . فان عدد أجزاء المعجم يتراوح من الستة الى الثمانية ، وما زلنا في سبيل التقيب عن تلك الاجزاء المفقودة ، فأين ذهبت ؟ وهل يصح اليأس من الظفر بها في زوايا الكتب وخزائن الآثار ؟

تحفة من البنجاب

تعرضت تصانيف المؤلف ومن جملة ما معجمه الآنف الذكر لشتى الآفات ومنيت بالنقص والتلف ، وهما نقص وتلف تركا في النفس ما تركاه من ألم ومرارة ، وقد شرعنا ، بعد الظفر بالجزء الرابع في المكتبة الظاهرية ، في البحث عن بقية الأجزاء في خزائن كتب مصر والشام والعراق وتركيا وايران ونحن نحاول سد ذلك النقص فأعيانا البحث ولم نعر في خزائن الاقطار المذكورة على ما يشفي الغليل . بيد أن اليأس لا يجد سبيلا الى النفس فيما نحن فيه ، ولذلك إتجهنا الى خارج هذه الاقطار للبحث عن ضالتنا المنشودة .

وما هو الا أن تم انشاء المجمع العلمي العراقي في خريف سنة (١٣٦٦ هـ ١٩٤٧ م) حتى جعلنا من مهامه التقيب عن الاصول المخطوطة التي غنى مؤلفوها بالبحث عن تاريخ

العراق ومن ثم فوثقت بعض الوكالات العراقية الرسمية بذلك ومنها الوكالتان القائمتان في الباكستان والهند وأحيطنا علما بالغاية من تأليف هذا المجمع وبقيمة ذلك المعجم والعناية المبذولة بجمع شتات أجزائه ، وقد أسفر هذا الاتصال بالديار الباكستانية عن نتائج باهرة . فقد ظهر أن خزانة جامعة لاهور تضم الجزء الخامس من معجم ابن الفوطى المذكور ، وهو كسابقه نسخة الأصل ، وقد اشتمل على حروف عدة ، وهو يترجم لعدد كبير من الأعلام .

ومما يبعث على الغبطة مضافا الى ذلك فطنة بعض الباحثين من الباكستانيين الى قيمة الباحث التاريخية التي يعالجها ابن الفوطى في معاجمه ، والى طرافتها ونفاستها ، فعنى من غنى منهم بدراسة هذا الاصل الجديد - كما فعلنا نحن بصنوه القديم - وتوفروا على تحقيقه والتعليق عليه بما يدل على أدب جم وعلم غزير ، وتسنى لهم نشر الجزء المذكور تباعا فى مجلة يصدرها معهد من المعاهد العلمية فى جامعة لاهور وتسمى (أورينتال كالج ميكزين) وقد وصل الى المجمع أكثر أعداد تلك المجلة التى عنيت بنشر الكتاب مهداة من وزارة المعارف الباكستانية ، فاذا هى جوهرة نفيسة وحة كريمة من حبات هذا السمت المتناثر بين الهند والشام والحجاز ، وقد كانت الفائدة بهذه الهدية المشكورة كبيرة جدا . وألفينا الجزء الخامس مادة تاريخية لا ينضب معينها سواء ما اتصل منها بحياة ابن الفوطى مؤلف الكتاب أو بتاريخ العراق أو بالتأريخ العام ، فهو لا يقل شأنًا عن سابقه . وبالعشور على هذا الجزء فى الخزائن الباكستانية أصبح لدينا جزءان هما الرابع والخامس من أجزاء هذا المعجم النفيس .

السرف فى الاصول

لم يكن لنا مناص من المضى فى دراسة هذا الجزء الجديد كما فعلناه بصنوه القديم ، ومن مهام المؤرخ الثبت افراغ الوسع فى التنقيب عن الاصول وبذل الجهد فى تحقيقها ، فسر التأريخ فى الاصول ، ومتى ضاعت ضاع معها التأريخ ، وقد رأيت كيف كان الخير فى الروية والائانة ، ولو نزلنا على رغبة الراغبين قبل هذا فى نشر الكتاب على علاته لقاتنا وفاتهم علم كثير ، ومن صبر ظفر كما قال الاولون .

من هذه المراحل التى مررنا بها فى أثناء هذه الدراسة التاريخية مرحلة مرحلة ، يتضح لك أننا كابدنا عرق القربة فى التنقيب عن البقية الباقية من آثار ابن الفوطى فى

خزائن الكتب ، فإن أكثر تصانيفه - وقد أجمع المؤرخون على كثرتها وطرافتها - ضاعت واندثرت فلم نحصل بعد الجهد الجهيد الا على جزئين من معجمه وعلى بعض الاصول المغفلة التي نسبت اليه ، ظفرنا ببعضها في الشام وبعضها في البنجاب ، ولم نعر على شيء من مؤلفات هذا المؤلف العراقي في العراق .

كنوز ضائعة

ولسائل ان يسأل : لماذا ضاعت كتب ابن الفوطى وتصانيفه الكثيرة ؟ مع أن تصانيف المؤرخين أو المؤلفين المتأخرين من معاصريه أو القريبين من عصره قد وصلت أو وصل إلينا كثير منها ، ومن هذا القليل تصانيف ابن الجوزى وغيره من المؤرخين .

من رأينا في الجواب عن هذا السؤال : ان الفتن التي وقعت في سلطنة أبي سعيد المغولى في تبريز وغيرها من حواضر المغول - وكانت فتنا عميا احترقت فيها مدارس كبيرة وخزائن كتب عظيمة - قد أتت على كتبه ، وكان كثير منها في دور الكتب والمعاهد العلمية التي أنشأها صاحبه أو شيخه - كما كان يسميه - رشيد الدين الطيب في (الربع الرشيدى) المشهور ، ولا يخفى ان ابن الفوطى صنف كثيرا من كتبه وهو مقيم في الربع المذكور الى جانب صاحبه رشيد الدين وزير المغول ، فهو مستودع كتبه وآثاره . وهناك - على ما يبدو لنا - أسباب أخرى لها دخل في تلف كتبه وذلك لأنها كتب روعيت فيها الأمانة وتجردت عن الملق والرياء وقد خرج مؤلفها على المؤلف من العادات والأوضاع فلم يحجم عن تسجيل الحقائق التاريخية الواقعة في عصره ولو مست مصالح الرؤساء والزعماء ، فهو مثلا يؤرخ موجة من موجات الفكر والنحل الغربية التي طغت في عصر المغول ، وهو يترجم لبعض الفلاسفة المتحاملين على الاسلام ولأهل البدع والآراء الشاذة والعقائد المدخولة ، كما يترجم لأرباب الفنون من المطربين والمغنين ، والظاهر أن مجاهرته بما جاهر به من هذا القليل لم تكن محتملة عند بعض القوم ، ولذلك انطوى من انطوى من الزعماء على انكار أسلوبه المذكور ، وسعى بعضهم في اتلاف بعض تصانيفه أو افسادها كما فعلوا بتصانيف شيخه رشيد الدين التي كتب على كثير منها التلف والضياع في الفتن المذكورة

هذا وقد انتقلت الأئمة من بعد هذا العصر الذي عاش فيه ابن الفوطى الى مرحلة مظلمة من مراحل الحمول والسبات العميق ، تغفل فيها الجهل والجمود وطمست معالم

الحضارة العراقية ، وهي مرحلة طويلة امتدت الى العصور الأخيرة وفيها تباعدت الشقة بين السلف والخلف وتقطعت الأقران والأسباب على وجه لم يسبق له مثل حتى مسخت سجايا الأمة وماتت فيها روح الاعتزاز بمجدها الغابر وحضارتها العظيمة ، وفي هذه المرحلة الأخيرة حمل ذكر كثير من الأعلام النابھين وعفت آثارهم لقلّة العناية بالتأريخ وحفظ الآثار ، وكان في مقدمتهم مؤرخنا المذكور .

مؤرخنا الظافر

لماذا ظفر مؤرخنا المذكور بهذه العناية من كاتب هذه السطور ؟ جوبهنا غير مرة بمثل هذا السؤال ، والحقيقة أن المميزات التي يمتاز بها مؤرخنا على غيره من المؤرخين كفيلة بالجواب .

نشأ ابن الفوطى في عصر من عصور الانتقال دالت فيه دول قديمة وقامت على أنقاضها دول جديدة ، ويعتبر ابن الفوطى مؤرخ العصر الذى دمرت فيه موجة الصحراء التترية معاهد العلم والثقافة ومعالم الحضارة الاسلامية في تركستان وما وراء النهر وبخارى وسمرقند وخراسان وبلاد فارس وامتدت غربا الى بغداد والموصل وحلب والجزيرة وانقرضت بسببها الدولة الخوارزمية ودولة الاسماعيلية في الشرق والدولة العباسية في بغداد والأيوبية في الشام ، وهو عصر يشعر المؤرخون بلهفة الى الوقوف على ما غمض من أحداثه أو ضاع من أخباره أو اندرس من آثاره بعد أن التهمت تلك الفتن ما التهمت من تصانيف المصنفين وأتلفت ما أتلفت من أسفار العلماء والمؤلفين ، فتضاءلت الهمم وانكمش الباحثون الى أن نشأ هذا المؤرخ المجتهد وسار على طريقته الجميلة في البحث والدراسة والحفظ والرواية والتدوين والتأليف وجمع الأصول وانشاء المكتبات وأربى على المتقدمين في الابداع والتجديد وطرافة البحوث والأساليب ، ولولا عنايته بهذا الشأن لفقدنا جانبا كبيرا من تاريخ الحضارة الاسلامية بسبب ما عاتته هذه الاقطار في عصره من الفتن والحروب .

بعد المقارنة

قد يقال مثلا : ان ابن الأثير وسبط ابن الجوزى والسلطان أبا الفداء والمقريزى والذهبي وابن كثير وابن الطقطقى وآخرين من المؤرخين ، قد أرخوا هذه الفترة . أرخ بعضهم أولها في عصر (جنكيز) - كابن الأثير - وألحق جلهم آخرها بأولها ، فأخبار دولة المغول وغزواتهم مدونة في الكامل وفي كتاب العبر ، والخطط ، والسلوك ، ومراة

الزمان ، وتاريخ الدول الإسلامية للذهبي ، وفي البداية والنهاية ، وناهيك بها وبأمثالها من تواريخ مبسوبة . أجل قد يقال ذلك ولكن في هذا الباب يصح ان تتمثل بقول القائل : « لكن في الخمر معنى ليس في العنب » ، أى أن البون شاسع بين الطرفين .

من رأينا بعد المقارنة بينه وبين عدد من المؤرخين أن ابن الفوطى مؤرخ موهوب يعتبر التاريخ فنا من الفنون الرفيعة لا يخلط بينه وبين السياسة ، ولهذا المؤرخ رسالة تاريخية لا شك فيها فهو المؤرخ الذى لا بس أحداث عصره واندماج كلياً فى الجيل الذى عاش فيه ، وقد شاهد ابن الفوطى بأمر عينه وقائع المغول ، وحوصرت بغداد ثم أخذت واسر فيمن أسر من أبنائها وهو حدث السن وحمل الى عاصمة التار حيث نشأ وأقبل على طلب العلم فى تلك البلاد وأتقن عدة لغات عدة : منها الفارسية والتركية والمغولية^(١) ونظم الشعر فى بعض هذه اللغات ، ولعله المؤرخ العراقى الوحيد الذى طالت أيامه وطارت شهرته فى دولة المغول فشاهد أعظم ملوكهم وأقطاب دولتهم فى أعظم عصورها وأزهى أيامها ، وذلك من أول سقوط بغداد على يد الطاغية (هولاكو) الى أواخر عصور هذه الدولة (اليلخانية) .

طوف ابن الفوطى فى بلاد المغول وزار أشهر حواضرهم وبواديهم واتصل بمن اتصل بهم من ملوك وملكات وحكام وأمراء واجتمع بمن اجتمع بهم من أساطين العلم والفلسفة والثقافة ، أضف الى ذلك أنه خالط الناس على اختلاف طبقاتهم وعنى بالكتابة عن شتى الطبقات المذكورة ، وأقبل اقبالا منقطع النظر على التصنيف والتدوين وتسجيل الحوادث ووصف الصور والمشاهد وصفا دقيقا يدل على ذوق لطيف وطبع شريف^(٢) . وصف مؤرخنا المذكور مظاهر الحياة العامة وخصائص العمران والاجتماع ومجالى الحضارة والثقافة فى عصره ورسم لنا من ذلك صوراً حية .

صيغ « التمرىض » وصيغ « التأكيد »

ومن هذه الناحية ونحوها ظفر ابن الفوطى باهتمام المؤرخين والباحثين وخاصة فى هذا الجيل ، فليس بمؤرخ من عنى بتسجيل المواليد والوفيات وقضايا العزل والنصب وأيام الفتن والحروب فحسب ، وأكثر من ذلك ليس بمؤرخ من اقتصر على حكاية الاخبار

(١) اللباب أو مختارات من مجمع الآداب (٢٤ ، ٦٣) من نسخة الاصل المخطوطة وهى رسالة للمؤلف .

(٢) مؤرخ العراق ابن الفوطى رسالة للمؤلف الكتاب .

والأقوال أو وقف عند حدود النظر في الكتب والأسفار .
ما أبعد الفرق بين قولهم « يحكى » و « يروى » و « يقال » و « قيل » - وما الى ذلك
من صيغ « التمريض » والتوهين المعروفة في مصطلح الحديث والتاريخ ، وهى الصيغ
التي يكثر ورودها في كتب المؤرخين المتأخرين ، وبين قول القائلين « رأيت » و « شافهت »
و « شاهدت » الى غير ذلك من صيغ « التأكيد » والتوثيق كما نراها في معجم مؤرخنا
المذكور !

ومن ها هنا جاء تفوق ابن الفوطى في فن التاريخ ، والى ما تقدم في هذه الصفحات
مرد العناية في التعريف بهذا المؤرخ العراقي الجليل المتفوق على غيره من المؤرخين وذلك
بعد اندراس ذكره وضياح آثاره أكثر من خمسمائة عام مع أنه من أجدر المؤرخين
ببقاء الذكر لولا عصور الجهل والظلام .

صلة المؤرخ بطبقات الامة

كان ابن الفوطى وثيق الصلة بالطبقتين الحاكمة والمحكومة في عصره على حد
سواء وقد خالط المستخدمين والعمال والمتصرفين وذلك بحكم كونه أحد الذين تقلدوا
أعمالا شتى في دولة المغول ، وان كانت صبغة أعماله المذكورة ثقافية أو علمية في الغالب ،
ولا نبالغ اذا قلنا : ان اكثر خلطائه وأصحابه الذين يسكن اليهم ويأنس بقربهم ويستعين
بهم هم من هذه الطبقة أعنى رجال الادارة والأعمال ، وقد عرف كثيرا منهم معرفة تامة
ووقف على أحوالهم وشؤونهم فأحبهم وأحبوه ، وذاعت شهرته في محافل القوم وتمكن
من الاتصال بدواوين الدولة العليا بدون تكلف أو حجاب ، ومن هذه الناحية ظهرت
عنايته في معاجمه بما كتبه عن رجال الادارة والسياسة والفنون في عصره ، وامتازت
هذه المعاجم بأسلوبه هذا على كثير من معجمات التاريخ التي قصرت عنايتها على طبقة
معينة من الناس ، فمعاجم ابن الفوطى والحالة هذه من الأصول التي يعتمد على مراجعتها
في تاريخ العراق وتاريخ الدولة المغولية في هذه البلاد .

وقف عدد من مؤرخينا جهودهم على سير رجال الحكم ، أو عنوا بأخبار طبقة
خاصة من الناس فقط ، وقليل منهم من عنى بشؤون العامة وطبقاتهم من زراع وصناع
ومهنة ومحترفين ، كأن طبقة العامة لا شأن لها في الحياة مع أنها حجر الزاوية في بناء
المجتمع . وفي طليعة القوم عناية بهذا الشأن صاحبنا ، ابن الفوطى ، اذ تكرر في معجمه
تراجم أصحاب الأعمال من تجار وأصحاب حرف وفنون عملية ، وهم طبقة الشعب

أو السواد الأعظم من الناس ، وفي هذا النمط من التواريخ نجد صورة صادقة
لحياة الشعوب .

ضالتنا المشوذة

كنت أتوق الى الالمام بتاريخ العراق والعراقيين في عصر المغول من حيث خطط
هؤلاء الفاتحين ومناهجهم في أصول الحكم ، ومن حيث عنايتهم بالشؤون العلمية
والثقافية ، فلم أجد ضالتي الا في بعض مصنفات مؤرخ العراق المشار اليه ، ولا أبالغ
اذا قلت : ان معاجمه حافلة بكل ما يدل على أن له رسالة تاريخية ناطقة بأنه مؤرخ ملهم
ميال بكليته الى الابتكار والطرافة ، وحسبنا منه هذه العناية بتاريخ عصره وتراجم
الأعلام في زمانه وتسجيل مظاهر الحياة العامة فيه ، وهذه العناية منه بما تقدم من
أظهر مميزاته على غيره من المؤرخين ، اذ لم يعن مؤرخ عربى آخر بتاريخ الشرق
والعراق في العصر المغولى على الطريقة التى عنى بها في معاجمه المذكورة ، ولى أن
أقول : انه استوحى نشاطه في ذلك من افتقار الأمة بعد محنتها الكبرى الى من يجمع
شتات تاريخها من جديد ، فأنجز وحده عملا تعجز عنه الجماعة واضطلع بعناء ثقل
تنوء به عصابة من الناس .

تاريخنا القديم

هذا هو أثره في تاريخ عصره . وأما في تاريخ العصور السابقة والدول الماضية
قبل عصره ، فان صاحبنا عيال على قدماء المؤرخين ، يغرف من معين كتبهم بدون
ريب ، مع ميل الى الاقتضاب والايجاز ، وقد يقال انه لم يجهد نفسه في هذه الناحية
من التاريخ ، والواقع أن الفن الذى كان معينا به ، وهو البحث عن الأسباب وجمع
الألقاب والتتقيب عن المناسبات التى لقب فيها ذووها في كتب الأدب والتاريخ ليس
من الهنات الهينات ، بل هو عمل يتطلب جهودا مضنية ، علاوة على طرافة الأسلوب
والتفنن فيه . فابن الفوطى على كلا الحالين مؤرخ مجدد ، يمتاز بلطف مداخله وطرافة
أساليبه ، بل هو مثال يحتذى في البحث عن الأصول والتتقيب عن الآثار ، وله خبرة
لا يجارى بها في هذا الشأن ، ومن النادر أن يحصل مؤرخ على ما حصل عليه من تلك
الأصول النادرة كما وكيفا كما سترى في محله من هذا الكتاب ، ومن مميزاته على
كثير من المعينين بالتاريخ - مضافا الى ما تقدم - مشاركته في الفنون وفي الفلسفة وغير
ذلك من المعارف والعلوم النظرية والعملية .

لم يكن ذلك فحسب ، بل كان لأسلوب هذا المؤرخ في مجانبة التكلف والصنعة ومجاراة الطبيعة والفطرة أثر بليغ في نفسى ، وكنت أرى فيما وقع الى من معاجمه مرآة صقيلة ترتسم عليها مشاهد الحياة العامة ، أو لوحة شفافة تتراعى على صفحاتها شتى الشخص والاشباح التاريخية

شخص وأشباح تمر وتنقضى وتبقى جميعا والمحرك باق
أتاح لنا تصفح معجماته التاريخية متعة الانتقال على أجنحة الخيال الى الأعصر الخوالى ، وممكننا من طي المسافات الزمنية فى لحظات ، فها هى ذى مدينة السلام بغداد ، بعد استيلاء المغول عليها ، وها نحن أولاء نعيش فيها كما عاش ونشاهد الأحوال كما شاهد فى ذلك الزمان .

ها هى ذى بغداد حاضرة الدنيا ودار العلم فى عصور خلت تسير تبعاً لغيرها فى كل شىء ، تسيرها روح غريبة ويسيطر عليها الرعب والارهاب وتهيمن على مصاير أهلها سلطة عليا لا تدين بالاسلام ، أطلال خاشعة ، وملامح غريبة ، وألوان مستحيلة ، ولهجات أعجمية غير مألوفة ، وشرائع تتسم بالشدة والصرامة ، وتتسأى عن اليسر والسماحة ، والناس هنا وهناك غير من كنا نعهد فى أزيائهم وعاداتهم وفى نحلهم وأخلاقهم^(١) .

ها هى ذى جحافل دولة القاهرة لا عدد لجيوشها تحتل العراق وترابط فى الحدود وتسوم الناس خطة من الضيم والخسف لا تطاق ، كنا نعهد فى مدينة السلام عددا كبيرا من المدارس وجمهرة عظيمة من الأساتذة والعلماء خلت منهم بغداد الا قليلا ، وقد أريد أكثرهم قتلا وأسرا وموتانا بعد الواقعة ، فلا مدارس ولا دراسة .

كنت وأنا أسرح الطرف فى رياض مجاميعه كأنتى شريكه فى أسفاره هذه حلا وترحالا ، فها أنا ذا أراه وقد أفرج عنه بعد غياب طويل عائدا الى مدينة السلام^(٢) قافلا الى ملاعب الصبا ومنازل العشيرة ومعاهد الأحياب يسرح فى أرجائها طرفا حائرا وبصرا

(١) راجع الفصول المتعلقة بعصر المغول من هذا الكتاب عن تقليد الناس فى العراق للجيل الفاتح .

(٢) أسر ابن الفوطى فى واقعة بغداد سنة (٦٥٦ هـ) ولم يتمكن من الرجوع اليها الا فى سنة (٦٧٨ هـ) ، وصفحات معجمه المذكور طافحة بأعماله بعد الافراج عنه واجتماعه بمن تخلف فى بغداد من العلماء والأعيان وبعثه عن الأنساب وطلبه للأخبار .

سبادرا منشدا ما قاله قبله الشريف الرضى فى بغداد :

ولقد مررت على ديارهم وطلولها بيد البلى نهب

فتلفت عيني ، فمذ خفيت غنى الطلول تلفت القلب

كنا ننتقل مع صاحبنا من حاضرة الى أخرى ، أو من معسكر الى ثان فى العراق وبلاد فارس وأقاليم الترك ، نرحل برحيله ، وننزل بنزوله ، فنشاهد فتى يافعا عربى الملامح منصبا على البحث والدرس ، لا يلهيه عن المفاوضة والمذاكرة شىء . صحبناه فى دور الكتب وأسواقها وخزائنها ، اذ كان حيشا نزل يقصد معاهد العلم وبيوت الدراسة ، وقد صرنا نختلف معه الى البقية الباقية من العلماء والأدباء ، رأيناه أينا حل بعد قفوله الى بغداد يوجه المسألة تلو المسألة الى كل من يلقيه فيها عما جرى من بعده وكيف جرى مما له علاقة بتاريخ العراق بعد الواقعة ، ثم يادر الى تقييده فى دفاتر يحملها ومجلدات عدة يستصحبها لا شغل له الا ترصيع دفاتره المذكورة بتدوين الأحداث وتراجم الأعلام .

بهذا وما شاكله كان ابن الفوطى يؤدى جانباً لا يستهان به من رسالته التاريخية ويقوم بما فرضه على نفسه من حفظ تاريخ الشرق والعراق وبغداد فى تلك العصور .

فى الزوايا خبايا

هذا ولم تخل بغداد حتى بعد محنتها الكبرى من طبقة تكبر مواهب الرجال ، وتعنى بالمهذبين من أبنائها ، وقد بقيت بقية فى البلاد تعتز بأمثال ابن الفوطى من أبنائها النابهين ، وتعددهم مضخمة من مفاخر العراق ، وقد أطرى فريقا من أعيان بغداد لعناية بالغة ظهرت منهم فى تركيته وتكريمه والأخذ بيده فى محنة ألت به وانقاذه من مأزق حرج وقع فيه وقضية استوجبت محاكمته والتحقيق معه فى مجلس قاضى القضاة ، وقد أثار هذه القضية خواطر أولئك الصدور والأعيان ، فأشادوا بفضله وعنايته بالتواريخ والأنساب ، والمجلس منعقد لاستجوابه والتحقيق معه ، وكان لهذه الشهادة دخل فى براءة ساحته ، وحمل قاضى قضاة المغول على الاعتذار عما فرط منه مع المؤرخ المذكور (١) .

(١) راجع عن هذه المحنة وعن أسماء هذه الطبقة من الأعلام - ترجمة فخرالدين المعروف بابن الفقيه الصدر فى باب الملقبين بهذا اللقب من الجزء الرابع ، ومن هذه القصة ومن مواضع أخرى فى المعجم يتضح لنا أن ابن الفوطى كان يتولى ضممان ريع بعض الأوقاف أو يتقلد بعض الأعمال فى هذا الشأن .

ولنا أن نستنتج من هذه الحادثة أو المحنة أن بغداد لم تخل في هذا العصر العصيب من طبقة مهذبة ترعى حقوق المنقطعين للدراسة والتأليف ، وإن ابن القوطي حينما وجد كان محاطا بهالة من الإعجاب • ولا عجب ، فهو مؤرخ العراق المحبوب في محافل المغول ومحافل العراقيين على حد سواء ، وهو العراقي المجلي في تحصيل المعارف والفنون والحافظ المعنى بشؤون الشرق ، وتأريخ العراق من بعد أسره إلى أن أطلق وأعيد إلى بغداد ، وما أكثر الأمثلة في معجمه على ذلك (٢) !

الفرص السانحة

أتاحت لهذا المؤرخ فرص ثمينة أحسن انتهازها في الأكتار من التصنيف ، ووفق فيها للتجويد في التأليف ، من ذلك امتداد حياته ، فانه عاش أكثر من ثمانين عاما كان خلالها حركة دائمة ونموذجا من العمل ، ومنها كثرة أسفاره وانتقاله بين العراق وسائر الممالك التي استولى عليها المغول ، فرأى كثيرا من الأقوام والشعوب ، بل رأى نماذج من أشهر شعوب الشرق بأسرها في عصره ، واتصل بأرقى طبقاتها في قفقاسية وفارس والعراق ، وأدرك ما أدرك من أحداثها الخطيرة ، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها على قدر الامكان ، ومن ذلك شهرة واسعة في الانقطاع للدراسة والتأليف ، والناية بالتأريخ حبيته إلى القلوب ، وأدنت منزلته من أعيان عصره وصدور زمانه فلم يحرم من العطف والتشجيع •

وقعت لمؤرخنا في كل بلد زاره ، أو أقام فيه من تلك البلدان ، أصول تاريخية ، واطلع على كتب وأسفار مجردة في شتى الموضوعات لم يتسن لغيره الاطلاع عليها على الأكثر ، فتهيا له أن يجمع من تلك الأصول التي نعتبرها الآن أو نعتبر أكثرها من الآثار الضائعة مادة تاريخية غزيرة هي قوام معاجمه وتصانيفه ، فلنا أن نقول : ان معاجمه ،

(١) من تلك الأمثلة الدالة على شغفه بالبحث ولوعه بالمذاكرة ما جاء في ترجمة قوام الدين محمد بن عبدالرحمن المحدث ، وهذا نصه : « رأيت بموقان في المخيم السلطاني سنة (٧٠٦ هـ) ، وهو شيخ حسن الهيئة ، وفاوضته في ذكر علماء أصفهان » وقال في ترجمة مجير الدين الاسعردى ، الطبيب المعروف بـ « ابن كاسو » ما هذا نصه : « قدم بغداد للاشتغال بعلم الطب ، وكنت أتردد إليه ، مدة مقامه بالمستنصرية ، وأتعرّف منه أخبار ديار بكر ، وكان عالما بأحوالها وملوكها ورؤسائها » • هذا نص ما قاله في ترجمة الاسعردى (٥ : ٣٠٧) ومن ذلك يعلم مبلغ شغفه بطلب العلم والتأريخ ، والأمثلة في كتابه كثيرة من هذا القبيل •

والحالة هذه ، دائرة معارف تأريخية تضمنت خلاصة عدد ضخم من الأصول المفقودة والأسفار الضائعة ، أو هي تحتوى على مختارات من الكتب المذكورة .

نزىل مراغة وأسير المغول

توافرت له وهو نزىل « مراغة » كل أدوات الدراسة والتأليف من أساندة كبار اليهم تضرب أكباد الابل وتشد الرحال ، الى معاهد علمية عالية وخزائن كتب ضخمة ، فعاش وهو بغدادى المولد شيبانى النجار فى بيئة أعجمية نائية ما خامره فيها قط شعور الغرباء الا برهة يسيرة ، لأنه استخدم ذكائه ومواهبه فيها الى مدى بعيد ، فتقلد ما تقلد من أعمال علمية فى مراغة وتبريز والسلطانية وغيرها من حواضر المغول ، وفوض اليه ما فوض من مهام ثقافية فى أذربيجان والعراق زاو لها بجد واخلاص ، وكانت سلوته فى دار غربته عظيمة بما وجد من أعمال ومن وجد من معارف وأصدقاء ، وخير البلاد ما حملك - كما جاء فى حكمة العرب - أى خير البلاد ما عشت فيه عزيز الجانب موفور الكرامة .

خطتنا المرسومة

أهم الأصول التى استندنا اليها فى هذا البحث ثلاثة : اثنان منها لابن الفوطى على وجه التحقيق ، وهما الجزءان الرابع والخامس من أجزاء معجمه ، والثالث جزء مغفل نشر سنة (١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م) منسوباً الى ابن الفوطى باسم (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المئة السابعة) . ومن رأى بعض المعنيين بالبحث عن الأصول المخطوطة أن مؤلف الكتاب لا يزال مجهولاً الى الآن ، بيد أن هذا الشك لا يقلل من شأن هذا الكتاب فيما نحن فيه ، لأن مؤلفه اذا كان مؤرخاً آخر فهو من طبقة ابن الفوطى أو القريين منها على كل حال ، لأن عدد العراقيين المعنيين بتاريخ بلادهم فى تلك الفترة المظلمة - أى بعد واقعة بغداد - أقل من القليل .

لو لا عثورنا على ما عثرنا عليه من هذه الأصول ، ولو لا بذل الجهد فى تحقيقها على قدر الامكان ، لأحجمنا عن الخوض فى هذا الموضوع ، وكيف نخوض فى موضوع لا سند لنا فيه الا أقوال المرسلة ونقلها على علاتها ، ولا برهان لنا الا مجرد الحدس والتخمين ؟

تقضى خطتنا المرسومة فيما نحن بصدده ألا تقتصر على روايات المؤرخين - الواردة

فى أسفارهم - عن تأريخ العراق فى هذه الفترة ، أو المتعلقة بسيرة صاحبنا ابن الفوطى ، ومنهم من تأخر عن عصره بمئات من السنين ، بل لابد من الرجوع الى الأصول - أى المصادر الأصلية - بعد التوفر على تحقيقها قدر الطاقة ، وبهذه الوسيلة تجنبنا التورط فى أغلاط أولئك المؤرخين وأوهامهم ، وتحاشينا مشاركتهم فى بعض مقالاتهم وأحكامهم ، سواء منها ما كان لابن الفوطى أو عليه ، لأن كثيرا من أولئك المؤرخين المتأخرين ناقلون أو مقلدون ، فروايتهم ضعيفة سندا ومتنا فى كثير من الأحوال ، على أننا لم نغفل - مع ذلك - مقالاتهم بالمرّة ، بل اقتبسنا منها ما توسمنا فى اقتباسه فائدة بعد عرضه على موازين النقد والتمحيص .

أبواب الكتاب

الباب الأول - وهو مدخل البحث - فى الدولة العباسية من بدايتها الى نهايتها ، وفى آخره بحث خاص فى عصر المغول ، ويتخلل هذا الباب نظرات فى بعض القضايا التاريخية ، ومنها محنة العراق فى عصر المغول والعوامل الفعالة فى زوال الدولة العباسية ، وأبحاث أخرى فى حضارة العصر المذكور وثقافته وفى أحوال العراق والعراقيين فى كنف الدولة الإيلخانية ، وفيما جد فى ميادين النظر والفكر من أدب وتصوف وفلسفة وما الى ذلك من مظاهر نشاط العقل البشرى ، وقد عقدنا فصلا خاصا للبحث فى أشهر مؤرخى العراق بعد ظهور المغول .

الباب الثانى - فى أصول البحث ، بحثنا فيه الأصول والكتب التى استندنا إليها أصلا أصلا وكتبا كتابا .

الباب الثالث - بحث موضوعه معجم ابن الفوطى فى كتب المؤرخين .
الباب الرابع - فى الأصول التى استند إليها ابن الفوطى فى تأليف معجمه المذكور .
الباب الخامس - فى أشهر مشايخ اجازاته ، وأساتذته ، وأجل معارفه وأصحابه ، وأنجب تلامذته فى أذربيجان والعراق .

الباب السادس - مؤلفات ابن الفوطى .

الباب السابع - تعريف قدماء المؤرخين بابن الفوطى .

الباب الثامن - طرائف شتى من المعجم .

هذا ، ويخيل الى أن هذا الكتاب قد سد بعض الفراغ فى موضوعه ، وهو فراغ

رأينا المعنيين بالتأريخ يشعرون بوجوده • ولا بد لي من القول اننى عنت بتأليفه فى الفترة الواقعة بين الحربين الكونيتين الأولى والثانية وما تخللها من أحداث أو مشكلات ، وما اعترض سبيل الباحثين أو المنقطعين للدرس فيها من عقبات الى اليوم ، فلا غرو اذا افتقر الكتاب الى مزيد من التعمق أو التوسع فى بعض الفصول والأبواب ، فاننى لا أدعى فيه الكمال ولا آمن من الزلل والعتار ، ولذلك أرجو ممن يعثر على شئ من هذا القليل فيه ارشادنا الى الصواب وموافقتنا بما يعن له من ملاحظات - بعد الاستقصاء والتحقيق - والله ولى التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل •

السبب
محمد رفيع

٢٩ المحرم الحرام سنة ١٣٧٠ هـ •

١١ تشرين الثانى سنة ١٩٥٠ م •

مدخل البحث

الدولة العباسية

من
بدايتها إلى نهايتها

محمّد

ما أخذ البحث في التأريخ • الأصول القديمة • أبحاث
المستشرقين الجديدة • فرق المستشرقين • ضرر التقليد

كانت ما أخذ البحث في التأريخ الاسلامي حتى مستهل هذه المئة الرابعة
عشرة - عندنا - قاصرة على القديم من كتب المؤلفين في السير والتواريخ والأنساب
والطبقات وكتب الفتوح ، وما الى ذلك ، ومن أقدمها وأشهرها تأريخ الطبرى وكتب
الواقدي والبلاذرى وابن قتيبة وطبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام ، ويلها كتب المسعودي
والجهشياري ومسكويه وابن طيفور والصولى والصابى وتأريخ الخطيب البغدادي
وتأريخ دمشق لابن عساكر وتأريخ ابن الأثير ، وذيول هذه التواريخ لأشهر المؤرخين
العراقيين والشاميين الى مؤلفات الطبقات الأخيرة من المؤرخين •

ندر من بين المؤلفين أو الباحثين - عندنا - الى ذلك الحين من وقف على أبحاث
علماء الغرب فى علوم العرب والاسلام وما أخذها من الأصول النادرة حتى اتصل
الشرق بالغرب ، وزالت الحواجز التى كانت تحجز بيننا وبين البلاد الغربية ، وألغيت
المسافات بسبب أحدث وسائل الأسفار •

من ثم عنى من عنى من العرب بتحصيل لغات الغربيين وعلومهم فى بلادهم نفسها ،
وطالعوا ما نشر لهم من أبحاث تاريخية وغير تاريخية عن الشرق والاسلام ، واطلعوا على
أساليبهم فى التأليف ، فأصبحت هذه الكتب والدراسات الغربية الحديثة من أهم ما أخذ

المؤرخين المحدثين في هذه البلاد •
لا غرو اذا هذا المتعلمون من أهل هذا الجيل حذو بعض الأساتذة الغربيين ومالوا
الى مناهجهم في البحث والتأليف ، فان للكتب التي يعنى الغربيون بتأليفها مميزات تمتاز
بها عن كتب المؤلفين من الشرقيين من حيث تنسيق موادها وتقريب مطالبها علاوة على
ما فيها من دقة النظر وعمق التفكير • ولكن لا بد لنا من القول : ان لمجاعة الغربيين في
هذا الباب حدا ينبغي الوقوف عنده والا أصبحت مجاراتهم وترسم خطاهم ضربا من
ضروب التقليد المعيب ، كما يفعل ذلك الآن بعض المعلمين في البلاد الشرقية •

قد يكون لا تكالنا على حذق الغربيين في تنظيم بعض الشؤون المادية أو الفنون
الصناعية سبب من تخلف الشرق في هذا المضمار ، وان كان الشرقيون ملومين في هذا
التقصير ، بيد أننا لا نرى وجها لا تكالنا على الغربيين أو المستشرقين منهم في درس
ما يتعلق بتاريخنا أو تاريخ آداب لغتنا على الاطلاق ، ولا نجد سببا للتعويل على أبحاثهم
في هذا الشأن على علاتها وعلى ما فيها من الغث والسمين •

ويلاحظ أن بين المستشرقين فرقا وأحزابا ، ولا شك أن عدد الأعلام المنصفين
والفحول المتضلعين منهم ليس بالقليل ، وفضل هذا الصنف لا ينكر في نشر جانب من
تراث العرب واثارة كنوزهم الدفينة ، وقد بلغ بعضهم في التحقيق والتنقيب غاية بعيدة •
ووجدنا في هذه الطبقة من المستشرقين من يترفع عن الدس والغض من حضارة الشرق
والاسلام ، ولكن الى جانب هؤلاء توجد طبقة أخرى عمدت في بعض ما يكتب وينشر لها
الى دس السم في الدسم وبذر بذور الشقاق ، بل وجدناها تعالج البحث في تاريخنا
الاسلامى على شكل يثير التفرقة وخاصة بين شبابنا الناشئ المتعلم في عصر ، هم أحوج
ما يكونون فيه الى الاتحاد ودفن الحزازات •

ما أكثر أوهام هذه الطبقة من المستشرقين وما أتفه بضاعتها من لغة العرب
وتاريخهم ، وقد أبت العربية أن تبوح بأسرارها لكثير منهم فضلت أفهامهم في فهم
ما قرأوه من النصوص فيها وراحوا يخطون خط عشواء وضل معهم من ضل من
المقلدين ، ثم ألا ترى أن لكثير منهم في ناحية الشؤون الأخلاقية والسياسية وغير ذلك
مقاييس تختلف عن مقاييس شعوب الشرق في كثير من الأحيان ، هذا وأنكى من ذلك
أن يطرس على آثارهم بعض المعلمين من الشرقيين ، واذا عذرنا هذه الفئة من المستشرقين
فيما يصدر عنهم من هذا القبيل طبقا لأغراضهم أو أغراض دولهم وأطماعها فما عذر

هذه الزمرة من أبناء الشرق في انتحال تلك الآراء الدخيلة ونقل ما كتب فيها الى العربية ؟ وليس الغلو والشطط من أخلاق العرب في شيء وهما حجة قوية لمن يطعن في عروبة هؤلاء المقلدين وفي أنسابهم المنتحلة ، وكم جنى الغلو على حقائق العلم والتأريخ !

إذا رأينا بعض هؤلاء المتأخرين من المستشرقين يضلعون مع بيت عريق من بيوت العرب أو يتحاملون على بيت آخر أو ينددون بنحلة من النحل أو يؤيدون نحلة أخرى أو يفرقون بين عرب الشام وعرب العراق في هذا العصر ، فاعلم أن لهم أو لبعض دولهم المسيطرة على ديار الاسلام ما لها من الأغراض السياسية أو الدينية في ذلك ، هذا والمغرور من شباب العرب من اغتر بهذا النمط من المستشرقين وجاراهم في شططهم ودسهم أو نسج على منوالهم فيما ينشرون ويكتبون .

هذه كلمة مهدنا بها لما نحن بصدده من البحث عن الدولة العباسية ، وهذا حين تقدم اليك بالبحث المذكور .

دولة بني العباس

تمخض العالم الاسلامي في مستهل المئة الثانية عن حركة سياسية جديدة الا أنها حركة قوية في بواغها وتنظيمها ، وهي الدعوة الى انتزاع الملك من بني مروان ، وكانت الدولة الأموية تجتاز في مستهل المئة المذكورة الثلث الأخير من المئة التي عاشت فيها ؟ لأن جميع ملك بني أمية احدى وتسعون سنة أو نحو ذلك ، كما كانت كثرة الشعوب في الدولة تشمل من الفتن وتتن من الجور وتستغيث من العيب بالمصالح العامة ، بل كان كل شئ في العصر المذكور يهيج الأذهان لقبول الدعوة الجديدة .

نبتت الدعوة الهاشمية ووضعت أسسها وقواعدها في البلقاء من أصقاع الشام الى الجنوب بينها وبين وادي القرى ، وكانت عمان وهي الحاضرة المعروفة الآن قصبة الكورة المذكورة ، ومنها أي من البلقاء خرج المبشرون بهذه الدعوة الى الأمصار على يد محمد ابن علي العباسي ربان هذه الحركة في مطلع القرن المذكور . ثم انتقل الدعاة الى العراق وخراسان ، ويلاحظ أن النقباء الذين اختيروا للقيام بنشر الدعوة وعددهم اثنا عشر نقيباً من آحاد الرجال في الدراية والكفاية ، ومع أن عمال الدولة الأموية في العراق وخراسان لم يألوا جهداً في مقارعة الدعاة وأخذهم بالشدة والتكيل خصوصاً في خراسان الا أن ذلك زاد البقية الباقية منهم مضاء واصراراً على نشر دعوتهم ، وفي سنة ١٣٢ أي بعد مضي ثلاثين عاماً على الشروع بالدعوة الهاشمية أعلنت الثورة العامة في الشرق بأسره أي في خراسان وفارس والعراق اذا استثنينا بعض الجهات النائية .

مروان الجعدي

وكان مروان بن محمد بن مروان المعروف بالجعدي على رأس جيش ضخم قدر عدده بمئة وعشرين الفا قوامه نخبة من أهل الشام وأشهر قبائلها ^(١) يحاول الزحف بهم على العراق من الجزيرة .

كان جيش الجعدي ضخماً حقاً من حيث العدد فقط ولكنه في منتهى الضعف من حيث روحه ومن حيث معنوياته ، فقد كانت روح الهزيمة والتواكل فاشية فيه ، بل كان

(١) أنظر عن أسماء القبائل التي كانت في جيش مروان - ومنهم قضاة والسكاسك والسكون - الكامل لابن الاثير (٢٠٠/٥) .

بجئده يتحدى أوامره ويجاهر بعصيانه^(١) الى غير ذلك من المساوىء الشائعة بين أفراد الجيش وقواده على حد سواء ، وهو من هذه الناحية يختلف عن جيش بنى العباس .

الوقعة الحاسمة وموضع العبرة فيها

وكانت الواقعة الحاسمة بين الفريقين على الزاب الكبير أو الصغير فى قول^(٢) ، وفيها اندحر مروان وظفر عبدالله بن على عم السفاح بالجيش الأموى كله ، ويلاحظ أن جل قواد الجيش العباسى الذى قاتل مروان الجعدى بقيادة عم السفاح المذكور من زعماء العرب المعروفين ، ولوحق مروان وهو هارب بعد واقعة الزاب حتى قتل فى مصر فى السنة المذكورة .

وموضع العبرة فى هزيمة مروان هو الخذلان العام ، فانه - وهو يتنقل بين شواطىء دجلة الى شواطىء النيل وبين أحياء العرب وحوضرهم فى هذه الرقعة الشاسعة - لم يجد كهفا يأوى اليه أو أحدا يحميه ، ويلاحظ أن هذه الواقعة الحاسمة التى أسفرت عن هزيمة مروان على الشكل الذى انهزم به لم تثر دهشة أو استغرابا فى نفوس أهل الشام ، وقد استقبل هذا الحادث بشيء غير متوقع من رباطة الجأش فى عاصمة الأمويين ، وأكثر من ذلك أنا نجد أهل دمشق وحمص والأردن وفلسطين وثبوا على فلول الجيش المهزوم وأعملوا السيف فى من يليهم من عسكر مروان ونهبوا أمواله وذخائره ، ولا عجب فان الديار الشامية كغيرها - فى ذلك الحين - سئمت الفتن والفوضى وزهدت فى تأييد قوم انغمسوا بالتترف الى الأذقان وشغلوا بالذات عن مصالح الناس ، وكان عدد المطعونين فى دياتهم من الأمويين غير قليل فى العصر المذكور^(٣) .

علائم الادبار

كانت تجيش فى نفس مروان بعد اشرافه على الهزيمة أمور غريبة تخل بمركزه فى الدولة وتنافى مصلحة الأمة ، ومن ذلك أنه فكر وهو على مقربة من الحدود بالخروج

(١) أنظر عن روح الهزيمة فى جيش مروان المصدر نفسه ، وانظر عن حالة هذا الجيش الآداب السلطانية لابن الطقطقى (١٠٦) .

(٢) كانت الواقعة المذكورة على أحد الزابين بلا شك ، والأغلب أنه الزاب الكبير . وفى بعض كتب التاريخ أنه الزاب الصغير أنظر المروج (١٤٦/٢) .

(٣) أنظر عن انقلاب القبائل بين الجزيرة ومصر على مروان المروج (١٤٩/٢) والكامل (٢٠٢/٥ - ٢٠٣) .

الى بلاد الروم والاتجاء اليهم الا أن بعض من استشارهم فندوا رأيهم في تحكيم أعداء الاسلام بنفسه وبأهل بيته ومن ينتمى اليه ، وما هؤلاء الأعداء الا الروم الذين لا يعرف عنهم الوفاء ، فعدل عن ذلك^(١) ، وهذه من مروان الجعدي خواطر تدل على منتهى الحيرة والارتباك •

انقرضت بمقتل مروان الجعدي دولة الأمويين في الشرق ، وخلفتها الدولة العباسية ، واذا استثنينا بعض الانتفاضات المتفرقة في الجزيرة ، وفي جيوب من بادية قنسرين ، وحوران ، والبلقاء قام بها بعد واقعة الزاب بعض قواد مروان أو بعض الزعماء الذين تربطهم به رابطة مودة قديمة ، فلا نجد أثرا للمقاومة في البلاد الشامية وما إليها ، وليس في الانتفاضات المذكورة ما يعبر عن رغبة يعتقد بها في الانتصار لبني مروان ، كما توهم بعض الشرقيين أو المستشرقين ، وقد نشأ بعضها عن الشك في مقتل مروان ، فلما اتضحت لهم الحقيقة ألقوا السلاح ، ولا يستغرب حدوث مثل هذه القلاقل في ذلك الحين^(٢) •

الجيش والسياسة :

وقد رأينا أثر السياسة والعصبة القبلية معا في خذلان مروان ، وفي ظفر العباسيين به ، فكيف تسرب الفساد الى ذلك الجيش ؟

من رأى بعض المؤرخين ، أن مرد ذلك الى أثر الدعوة الهاشمية ، وليس هذا الرأي بشيء ، وان كنا لا ننكر بعض الاثر للدعوة المذكورة في جيش مروان • اذا تأملنا تاريخ الدولة الأموية ، لاحظنا أنه طافح بأخبار التحزب والعصيات ، فمن ذلك عصبة قيس و كلب ، وعصبة قيس وتغلب في أيام عبد الملك بن مروان ، وكانت كلب مروانية ، وقيس زبيرية ، وفي هذه الفترة انشق الأمراء من بني أمية على أنفسهم ، واختلفوا باختلاف أمهاتهم من كليات وقيسيات ، وكاد يكون بينهم شر^(٣) • ومن أشهر

(١) أنظر عن خواطر مروان الجعدي وتفنيد رأيهم في هذا الباب مروج الذهب (١٤٨/٢ - ١٤٩) •

(٢) أنظر عن هذه الانتفاضات تأريخ الأمم والملوك للطبري (١٣٧/٩ - ١٣٩) ، والكامل لابن الأثير (٢٠٦/٥) ، وأنظر عن أشهر قواد الجيش العباسي في واقعة الزاب المصدر المذكور (١٩٩) •

(٣) راجع عن الاختلاف بين القيسية واليمانية في الشام والحرب بينهم في مرج راهط البيان والتبيين (١١٦/١) والعقد الفريد (١٤٥/٣ - ١٤٨) ، وأنظر عن الحرب المذكورة في مرج راهط بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس ، الاستيعاب لابن عبد البر (٢٧٢ - ٢٧٣) و (٣٣٦ - ٣٣٥) •

هذه العصبيات ما حدث بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، أو بين العدنانية واليمانية ، في الشام وغير الشام وأينما وجدت القبائل المذكورة ، ولم تسلم منها الأقطار الأندلسية^(١) . حدث هذا الانشقاق في صدر الدولة الأموية ، واستمرت نار الفتن تضطرم طوال العصر الأموي ، وشطرا من عصر بني العباس ، وأدى ذلك الى اعتزاز القبائل المذكورة ، من عدنانية وقحطانية وقيسية وكلبية وتغلبية بدعوة الجاهلية . وكتب التاريخ الاسلامي طافحة بأخبار الفتن والحروب الناشئة عن هذه العصبيات الذميمة ، ولا يبالغ من يقول : انها من أهم العوامل في تقويض دعائم الدولة الأموية .

الى هذه العصبيات مرد ذلك الفساد والتحزب الذي رأيناه في جيش مروان ، فان مروان تعصب لقومه من نزار على اليمن ، وكان حجابيه يقدمون القيسية ويؤخرون القحطانية ، ويسمعونهم في مجلسه وعلى بابه كلمات نابية تشعر باحتقار اليمن واليمانية ، كما كان ابن هيرة صاحب شرطة مروان ينقل لأهل اليمن أقوالا يزعم قائلوها بأن اليمانيين تناسلوا من القروود الى غير ذلك من المفتريات^(٢) . ولعل أصل هذه الخرافات ما جاء في بعض الروايات من أن أحد ملوك اليمن سبى قوما منكري الوجوه تزعم اليمن أنهم النسناس^(٣) . بيد أن اليمانيين أفحموا ابن هيرة ، ودافعوا عن محتدهم دفاعا مجيدا أثار إعجاب مروان ، وقد أضحكه هذا الجدل الغريب بين اليمانية والنزارية ، ولعل (دارون) صاحب مذهب النشوء والارتقاء كان عيالا على ابن هيرة في مذهبه المذكور . ومجمل القول : بلغ الجفاء بين هذين الحيين من العرب حدا بعيدا في العصر الأموي المشار اليه ، مع قرب العهد بدعوة الاسلام ، وهي دعوة تمكنت من صهر النعرات القبلية الغالية ، وأذابتها في وحدة اجتماعية منقطعة النظير . ومهما كان منشأ هذه الشحنة بين

(١) من أوفى المراجع في ذكر هذه الأحداث والأيام أيام القبائل المذكورة وحروبها - وهي حروب طاحنة كثيرة - كتاب أنساب الأشراف للبلاذري (٣١١/٥) ، وأنظر (٣٣١-٣٠٨) من الجزء المذكور - ط القدس ، ومهذب تأريخ دمشق لابن عساكر (٣٧٦ و ٧/٥) و (٩-٤/٧) ويراجع المصدر المذكور (١٧٦-١٩٣) عن زعيم قيس وفارسها في هذه الفتنة ، وهو أبو الهيثم المري ، وعن أخباره ومن قتل في الفتنة المذكورة من زعماء العرب ، وانظر خزانة الأدب للبغدادى (٣٢٥-٣٢٦) .

(٢) أنظر عن ذلك وعن كيفية استقبال ابن هيرة لليمانية على باب مروان ، مهذب تأريخ دمشق لابن عساكر (٤٠٤/٥) .

(٣) يراجع في هذا الشأن سيرة ذي الأذغار من ملوك اليمن القدماء .

القبائل العربية ، فلا شك أن لخرق فريق من الأمويين وسوء تصرف رهط من عمالهم أثرا كبيرا في تأجيج نيران الضغائن المذكورة بعد الاسلام ، وهكذا انحرف عرب اليمن عن الأمويين ، وأصبحوا من أنصار الدعوة الهاشمية ، وقد هاجت هذه الفتن بعد ذلك مرارا ، وهى من أشهر الفتن فى تأريخ الدول الإسلامية^(١) .

السياسة الخرقاء :

وكانت ولاية نصر بن سيار على خراسان من قبل الأمويين شروفاً عليهم مع اخلاصه وتفانيه فى سبيلهم ، ومع شدة وطأته على دعاة بنى العباس ، وتنكيله بهم . وإلى هذه السياسة الخرقاء مرد تلك الفتن والحصومات العنيفة التى نجمت بين أحياء العرب فى خراسان ، وفى أيام نصر هذه ، أى فى سنة ١٢٦هـ تقام الجفاء بين النزارية واليمانية فى تلك البلاد ، اذ كان نصر يضلح مع النزارية على اليمانية ، وكان للازد وغيرهم من اليمانية زعماءهم وفى مقدمتهم (جديع بن على الأزدى المعنى) زعيم اليمانيين المعروف بـ (الكرمانى) ، وقد سفكت بسببه دماء غزيرة من عرب خراسان فى هذا النزاع^(٢) . كانت هذه العصبية القبلية وما شجر بسببها من الخلاف ، من أهم العوامل فى اكتساح الدعوة العباسية للأقطار الخراسانية من أولها الى آخرها ، وهى التى يسرت لصاحب الدعوة العباسية أبى مسلم الخراسانى السيطرة التامة على تلك البلاد^(٣) ، وقد تعددت المعارك الدامية بين القبيلين فى مرو وبزعامة الكرمانى من جهة ، وفرسان ربيعة وشيبان من جهة أخرى بزعامة نصر بن سيار ، وفى بعض هذه المعارك قتل الكرمانى زعيم اليمانيين^(٤) .

(١) أنظر عن هياج هذه الفتنة بدمشق فى أيام الرشيد الأخبار الطوال (٣٦٦) ، والكامل لابن الأثير (٥٤/٦) ، وراجع أيضا المصدر نفسه (٧٥/٦ - ٧٦) ، ولاحظ ما جاء فى كتبهم من الاختلاف فى تاريخ وقوع الفتنة .
(٢) تجد ترجمة نصر بن سيار أمير خراسان فى الدولة الأموية - وأول من ولاه هشام بن عبد الملك - فى خزانة الأدب للبغدادى (١٩٣/٢) ، وفى جمهرة النسب .
(٣) أنظر حكاية الخلاف بين اليمانية والنزارية فى خراسان وأسبابه ، تأريخ الطبرى (٣٧/٩) ، والكامل لابن الأثير (١٤٣/٥ - ١٤٥) .

(٤) راجع عن المعارك المذكورة بين النزارية واليمانية فى مرو ، الكامل (١٧٢/٥ - ١٧٣) ، وعن ظفر نصر بن سيار بالكرمانى وقتله (١٧٢/٥ - ١٧٣) . وانظر عن غلبة الأزد بزعامة الكرمانى الأزدى على مرو قاعدة خراسان - المصدر المذكور (١٦٢ و ١٧٢) ، وعن ظفر نصر بن سيار بالكرمانى وقتله المصدر عينه (١٧٣) ، وقد أجهز أبو مسلم الخراسانى على بقية آل الكرمانى من أولاده وأصحابه بعد ذلك ، أنظر الكامل (١٨٢/٥ - ١٨٣) .

أهواء متوارثة :

تذكرت قبائل العرب في هذا العصر ما وقع بينها من الحروب الطاحنة في القرون الجاهلية الحالية ، وكانت هذه الحروب سجلا طورا للقحطانيين على النزاريين وتارة بالعكس ، ومن أشهرها حروب تبع الأكبر والحروب الناجمة عن تفرق قبائل اليمن وهجرتها الى الشمال^(١) ، فعادت هذه الذكريات بالعربي في العصر الأموي وبعض العصر العباسي الى ضغائن مجهولة وأهواء متوارثة وأحقاد دفينه ما أنزل الله بها من سلطان ، وما كادت تنطفئ النائرة بين هذه القبائل المحتربة لغير سبب معقول حتى تتضرم أخرى ، وكانت دعوتهم : يا فلان ، وما الى ذلك من نجوى الفتنة ودعوة الجاهلية التي نهى عنها الاسلام وتوعد أهلها بأشد العقوبة والنكال فقال الرسول الكريم : (من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا) ، اذ كان الفضل في تلك الجاهلية لمن طغى فسفك الدماء وسبى الحرم وقتل الذرية ، وكان الجاهليون لا يتناهون عن منكر فعلوه من هذا القبيل ، كانوا يتفاخرون ويتكاثرون بالأموال والأولاد وما الى ذلك من شؤون الحياة المادية وبأشياء أخرى قد يترفع أهل العقول عن المفاخرة بها وحدها ، وكان جل فخر العرب بعد اسلامهم بالعقل والعلم والورع أى بالفضائل ومكارم الأخلاق .

حمية الأندال :

وكان حكماء العرب يسمون هذا النوع من النخوة الجاهلية (حمية الأندال) . قال الأحنف بن قيس حكيم العرب ، وقد سئل عما فيه حياة العرب ما نصه : « اذا تقلدوا السيوف ، وشدوا العمائم ، وركبوا الخيل ، ولم تأخذهم حمية الأوغاد ، قيل له : « وما حمية الأوغاد ؟ » قال : (أن يعدوا التواهب فيما بينهم ضيما^(٢)) .

(١) راجع عن تحكم ملوك حمير بالقبائل النزارية وجبايتها وأخذ أموالها وتاريخ امتناعها عن ذلك في الجاهلية ، العقد الفريد (٣/٣٦٥ وما يليها) ط الجمالية . ومن أحسن المراجع في قصة تفرق قبائل اليمن كتاب الأمثال للميداني في شرحه للمثل المشهور : (تفرقوا أيدي سبأ) وأنظر عن الحرب بين أهل تهامة واليمن ، العقد الفريد (٣/٣٤٧ فما يليها) .

(٢) البيان والتبيين (٢/١٨٣) ، وفي وفيات الأعيان (١/٢٣٠-٢٣٢) ترجمة ضافية للأحنف المذكور ، وتجد أوسع ترجمة له في تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٧/١٠-٢٤) وفي كتاب الاستيعاب لابن عبد البر (١/٥٥-٥٦) ، ووردت له ترجمة أخرى في مادة (صخر) من المصدر المذكور .

ولقد أصاب الأحنف فيما قال ، فان صلاح الأمم بالتعاطف والتواهب والتبادل والتحاب ، وفسادها بالتعادي والتنافر والتواكل • وكانت دعوة الجاهلية ، أو حمية الأندال هذه ، مبدأ بوار الأمة العربية كما قال الأحنف بن قيس سيد أهل البصرة رحمه الله • والغالب أنه لاحظ بوادر هذه النعرات وسوء مغبة تلك الخصومات الشنيعة بين عرب زمانه ، فأراد أن يصور ضررها وشناعتها وسقوط أهلها بهذه الكلمة القيمة • والحقيقة أن هذه العvisية الجاهلية لم توصف بأحسن من قوله : « حمية الأوغاد » ، ومن أخلص بذلك من الأحنف في دينه المتين وقلبه الكبير ، وعقله العظيم ؟ فما أوجعها من كلمة ، وما أبلغها من عبارة !

وأبلغ دليل على ذلك هذا الضعف والفساد اللذان عصفا بحياة الأمة العربية بعد عصر الأحنف ، ولا منشأ لهما الا الحروب التي دارت بين العدنانية والقحطانية فأفقدت العرب معينا لا ينضب ومادة لا تنقطع كانت قبائل الجزيرة تمد بها الأمصار والشغور رجلا أشداء ، وسواعد مقتولة ، وأخلاقا رضية كريمة • وقد ظهرت نتائج هذه الحروب الداخلية بعد ذلك في جرأة الروم والصليبيين على غزو الدول الاسلامية ، واجتياح حدودها ، وتخلى الدولة المذكورة عن كثير من الشغور والاقطاع بعد أن كانت فرائص الروم والفرنجية ترتعد لمجرد ذكر العرب والمسلمين •

والواقع أن دعوة الاسلام جاءت رحمة للطبقة الدنيا من الناس ، فرفعت أحمليهم حسبا ، وأوضعهم نسبا ، وساوته بغيره في الحقوق والواجبات •

مساوى الجاهلية ومحاسنها

لعب الجاهلية مساوىء ومحاسن ، ولبعض قبائلهم سير ذميمة في عقائدهم وأنكحتهم وتبرج نسائهم ووآد بناتهم وعصلهن - أى منعهن من الزواج حتى الموت - وقتل أولادهن خشية الاملاق ، ولهم عادات أخرى ممقوتة ، حضرتها الشريعة الاسلامية ، ولكن من حق أهل الوبر وسكان البادية من العرب على كل حال أن يفخروا على غيرهم بشمائلهم وسجاياهم ، ومن أشهرها الأنفة من العار وحماية الذمار وقرى الضيف وأداء الحملات أو الغرامات ورعاية العهود والوفاء بالوعود ، وقد اشتهروا ببذل المهج والنفوس في هذا السبيل ، وكان أهل الجاهلية لا يسودون الا من تكاملت فيه ست خصال : السخاء ، والتجدة ، والصبر ، والحلم ، والتواضع ، والبيان ، وقد أضيف إليها

الاسلام بعد ذلك أى بعد الجاهلية ، ويمتاز الجنس العربى على غيره كذلك بخصائص ومميزات ، فى مقدمتها : حدة الذهن ، والفطنة ، وصدق الفراسة ، وكانوا يستدلون باللمحة وباللفظة ، وهم الى الخير أقرب ومن غيرهم أحفظ ، بل هم أمراء البيان يفيض منطقهم بالحكمة وفصل الخطاب ، وقد تأصلت فيهم هذه السجايا والأخلاق وتوارثتها أجيالهم فى الجاهلية وبعد الاسلام •

العصبية القبلية - أسبابها ونتائجها :

تناول المؤرخون من قدماء ومحدثين موضوع هذا التنافر العنيف والجفاء القديم بين القحطانيين واليمانيين ، وغنوا بالبحث فى بواعث وأسبابه ، وللمؤرخ المسعودى رأى حاول فيه رد هذه المنافرات الى أثر الشعر والشعراء فى حماية الأعراس والذب عن الأحساب وتخيل المآثر كما فعل الكميت فى قصيدته التى يذكر فيها مناقب قومه فى مضر وربيعة وايد وأنمار ، ويكثر من تفضيلهم ، ويطلب فى نعوتهم وأنهم أفضل من أبناء قحطان • وكان لأقوال الكميت أثرها فى احداث العvisية أو الجفاء بين اليمانية والنزارية ، ولم يجد شعراء اليمانية بدا من الرد على الكميت كما فعل دعل الحزاعى ، فذكر فى قصيدة له عارض بها قصيدة الكميت مناقب اليمن ومحاسنها ، وافتخر بملوكها ، وعرض بغيرهم • وكما فعل زياد الأعجم فى الدفاع عن قبيلته حتى أحجم الفرزدق عن هجائها ، ولهم فى هذا الباب أخبار كثيرة كما كان لكل قبيلة شاعرها وخطيبها فى المشاهد والمواسم والأيام وفى المنافرات والمفاخرات •

شاعت هذه المنافرات بين قبائل العرب من قحطانيين وعدنانيين ، ففخر بعضها على بعض ، وأدلى كل فريق بماله من المناقب ، وتحزب الناس ، وثارَت العvisية فى البدو والحضر ، حتى أن مروان بن محمد الجعدي لم يكتف تعصبه لقومه من نزار على اليمن ، فاضطر هؤلاء الى تأييد الدعوة العباسية ، ثم تلا ذلك ما تلاه من قصة معن بن زائدة فى اليمن وقتله أهلها تعصبا لقومه من ربيعة ونقض الحلف القديم المبرم بين القبيلتين ، وما فعله عقبه بن سالم بعمان والبحرين وقتله من قتل من أحياء ربيعة كسادا لمعن بن زائدة وتعصبا لقومه من قحطان ، الى غير ذلك من الاحداث الدامية^(١) •

(١) أنظر مروج الذهب (٢/١٣٩ ، ١٤١) عن رأى المسعودى فى منشأ هذه

وللمحدثين من المؤرخين آراؤهم فى منشأ هذه العصبية القبلية المذكورة ، فمردها - فيما يراه بعضهم - الى تباين المنشأ والبيئة واختلاف الأخلاق والطباع ، فالقبائل العدنانية تميل غالباً الى الحياة البدوية خلافاً للقحطانية ، فان منشأها فى بلاد عريقة فى الحضارة وفى تأسيس الدول وانشاء الحكومات •

ويميل بعض المتحاملين على العروبة والاسلام من المستشرقين الى القول بأن هذه الخصومة مظهر من مظاهر الخلاف بين المهاجرين والأنصار ^(٢) ، ويزعم فريق آخر منهم أن هذه المنافرات قامت على أساس من اختلاف الجنس • فالعدنانيون فى الشمال عرب خلص لا تشوب دماءهم شائبة ، والقحطانيون فى الجنوب تشوب دماءهم شائبة من دماء شعوب أخرى : اما حامية ، واما آرية •

وليس هذا الرأى بشئ ، فان القحطانيين بعد هجرتهم الى الشمال توغلوا فى البداوة كالعدنانيين أو أكثر من ذلك ، بل كانت اليمن تسود ساداتها على النسب كما كانت مضر تسودهم على اصالة الرأى ، وربعة على تعجيل القرى واطعام الطعام •

هذه آراء رهط من المؤرخين المحدثين أو المستعربين ، وهى كما ترى آراء مدخولة على الاكثر • والحقيقة أن الفخر بالأحساب ، والاعتزاز بالأنساب أو الطعن فيها ، من السجاياء التى جبل عليها العرب ولم يفارقوها حتى اليوم ، ولن يفارقوها الى ما شاء الله ، مع أن الغلو فى هذا الضرب من التفاخر منهى عنه فى الاسلام ، ولكن هذا الانسان قد يصبو الى دين غير دينه أو ينتحل عقيدة غير عقيدته ثم تبقى كثير من سجاياء وأخلاقه الفطرية كما هى فى كثير من الأحيان •

أضف الى ما تقدم أن هجرة القبائل من الجنوب الى الشمال فى سبيل العيش وحياسة الأراضى والمراعى الخصبة - كهجرة القبائل اليمنية ونزوحهم الى الجهات الشمالية

(٢) المعروف أن الخلاف وقع بين الأوس والخزرج فى الجاهلية - وهم الأنصار بعد ذلك - بسبب التفاخر والمنافرات ، وقد تناولت الحروب بين الحيين عشرات من السنين الى أن أشرفوا على الفناء ، ولكن الشحنة ارتفعت من بينهم بدعوة الاسلام فأصبحوا يدا واحدة ، أنظر عن الحرب بين الأوس والخزرج قبل الاسلام ، خزانة الأدب للبغدادى (٢٠٨/٤-٢١١) طبعة السلفية •

(٢) أنظر ما أورده الجاحظ فى كتاب (شرائع المروءة) • (١/٢٢١)
(١) أنظر عن أشهر منافراتهم فى الجاهلية شرح المقامات للشريشى والأغانى • وقد وضعت كتب فى منافرات الجاهلية منها كتاب منافرات العرب لأبى عبيدة •

ومجاورتهم للقبائل العدنانية - من أهم الأسباب في تكوين تلك الضغائن المتوارثة وانتقالها من جيل الى جيل •

المنافرات بعد الاسلام :

هذا ما كان في الجاهلية • ولما جاء الاسلام ، اعتر العدنانيون به على القحطانيين ، فالرسول الكريم سيد ولد عدنان ، ولكن القحطانيين حتى بعد اسلامهم ظلوا - كما هو شأن العرب - يفخرون بما آثرهم في الجاهلية ، ولم يستأصل الدين عاطفتهم المذكورة • أو ينتزع ما تأصل في نفوسهم أو خالط دماءهم من هذا القبيل ، فكانت لهم في مجالس الأمويين والعباسيين مواقف معروفة في المفاخرات والمناظرات •

كانت منازل الأمويين والعباسيين وأعيان هاتين الدولتين ملتقى السراة من رجال القبائل يمنية ومضرية ، ومجتمع العلماء من مختلف المنازع والمشارب ، وكانت في بعض أصحاب تلك المجالس نزعة ملحة الى التعرف والاستزادة من العلم والاطلاع ، فكانوا يغرون بين زوارهم ورواد مجالسهم ويدفعونهم الى المناظرات والمماتات في هذا الشأن ، وهي مماتات بريئة فيها مادة أدبية أو تاريخية غزيرة وفيها بلاغة وبيان عربي حر ، ولا يوجد لهذا الأدب نظير في تاريخ آداب الأمم غير الآداب العربية • وكانت لتلك المجالس فوائدها وعوائدها المهمة في تحريك المواهب واثارة البحث في أصول القبائل وفروعها وأيامها وأخبارها وفي مثالبها ومناقبها وحكمها وأمثالها وفي عاداتها وأوابدها^(١) •

الجاهلية لليمن والاسلام لمضر :

وهذه المفاخرات في العصور المذكورة كثيرة ، وأحسن مثال لها ما وقع في بعض مجالس العباسيين والأمويين ، ويلاحظ أن الدائرة تدور على اليمن في هذه المناظرات غالبا ، لوقوعها في بلاد جل زعمائها من مضر وفي عصر هو عصر المضرية ، وحسبنا أن

(١) أنظر عن بعض هذه المفاخرات بين مضر واليمن مذهب تأريخ ابن عساکر (٥٨/٥-٥٩) ، وقد يكون شطر من هذه المفاخرات من وضع الأخباريين ، وانظر البيان والتبيين (١٠٣/١) ، ومروج الذهب (٢٣٨/١) ، والعقد الفريد (٢/٢١٣) ، وأنظر ما كان يجري من هذا القبيل في مجالس عبدالله بن عامر في البصرة البيان والتبيين (١٢٢/١) • وعبدالله بن عامر هذا : من أشهر ولاة البصرة ، وله ترجمة في كتاب الاستيعاب (٣٨٧-٣٨٨) ، وعن مجالس البصريين في التفاخر بأيام العرب في الجاهلية أنظر العقد الفريد (٣/٣٦٥) •

مثالب اليمن كلها جمعت في كلمة موجزة قذف بها في وجوه زعمائهم خالد بن صفوان الأهمشي التميمي^(١) خطيب البصرة وعالمها بالأنسب والأخبار في عصره ، ولبعض علماء النسب من العرب كلمة قيمة أجمل فيها المفاخرة بين العدنانيين والقحطانيين فقال : « الجاهلية لليمن والاسلام لمضر » . وقد أصاب هذا النسابة ، وهو دغفل بن حنظلة^(٢) فيما قال ، فمن الملاحظ أن جل مفاخر اليمن تعود الى عصر الجاهلية ، وحق لليمن أن يفخروا بماضيهم المجيد في الحضارة والصناعة والفنون ، فانهم أنشأوا مدنا عظيمة وشيدوا قصورا ضخمة كقصر غمدان مقر التبابعة ، وبنوا سد مأرب ومصانع المياه ، وكان لهم ملوك وأقيال دوخوا الأرض واستولوا على كثير من الأقطار ، وهكذا نجدهم في سائر مفاخرهم يرجعون الى أبعد عصور الجاهلية ، ففي الجود يذكرون حاتما الطائي ، وفي الشعر امرأ القيس ، وفي الحروب والفتوح الأذواء^(٣) وأقيال حمير وملوك غسان

(١) قال خالد بن صفوان ، وهو يذكر فيما يزعم مثالب اليمن في مجلس السفاح : « ماذا أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ، وراكب عرد ، دل عليهم هدهد ، وأغرقتهم فأرة ، وملكتهم امرأة ؟ » رويت هذه الكلمة - مع بعض الاختلاف في روايتها - في كثير من كتب الأدب والتأريخ ، ومن رواها الجاحظ في البيان والتبيين (١٠٣/١) ، وابن عبد ربه في العقد الفريد (٢١٣/٢) ، (٣٣٩) ، والمسعودي في مروج الذهب (٢٣٨/١) . وهذه الكلمة في الذروة من البلاغة عند القوم ، ولا يكتفم الجاحظ إعجابه بخالد وإكباره له ، ويعنى بنقل أقواله وكلماته في كتبه ، وقد علق على كلمته المذكورة بقوله : « لئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام انه للراوية الحافظ والمؤلف المجيد ، ولئن كان شيئا حضره فما له في الدنيا نظير » الى أن قال : « ولكلام خالد كتاب في أيدي الوراقين » . أنظر عن خالد بن صفوان وعن أخباره وأقواله البيان والتبيين (٧/٢) ، (٧٢ ، ١١٤ ، ١٢٩-١٣١) و (١٨٤/٢) ، وتجد أوسع ترجمة له في تأريخ دمشق لابن عساكر (٥٣-٦٣) .

(٢) دغفل بن حنظلة السدوسي الشيباني ، قيل : له صحبة ، وقتلته الأزارقة ، وفي أمثالهم : « أنسب من دغفل » ، ولقبه عند الجاحظ « العلامة » ، وعده من رؤساء النسابين . أنظر عن كلامه ورأى الجاحظ فيه البيان والتبيين (١٠٨/١) ، (١٢٢ ، ١٢٤) وعن كلمة دغفل المذكورة العقد الفريد (٢١٣/٢) ، ولبدغفل ترجمة مطولة في مهذب تأريخ ابن عساكر (٢٤٢-٢٤٧) وله ذكر في فهرست ابن النديم ، كما أن له ترجمة في الاستيعاب لابن عبد البر (١٧٣/١) .

(٣) أنظر عن أذواء اليمن خزانة الأدب للبغدادى (٢٥٢-٢٥٤) ، وكتاب الاشتقاق لابن دريد .

والمناذرة والضجاعة ، وفي الفتوة والشجاعة فرسان الأزد وهمدان أحلاس الحيل ،
وكل هؤلاء جاهليون عريقون في الجاهلية .

والواقع : أن نصيب اليمن من المآثر بعد الاسلام غير قليل فان منهم الانصار وهم
الأوس والخزرج أعز الناس نفسا وأشرفهم همما لم يؤدوا أتاوة الى أحد من الملوك ،
وقد حاربهم تبع الأكبر فامتنعوا عليه ، ومن اليمن عدد غير قليل من أشهر مشاهير
الصحابه والتابعين وتابعي التابعين ، وقد روى في فضل اليمن ماروى من الأحاديث (١) .

العباسيون والحزب العباسي :

أجمع المؤرخون على أن جل شيعة بنى العباس من أهل خراسان، وتلك هي الحقيقة،
ولكن هذا الاجماع يوهم في ظاهره ان هؤلاء الخراسانيين برمتهم اعاجم ، وقد بالغ بذلك
رھط من المستشرقين المتأخرين وقوم قلدوهم من الشرقيين ، ولا غرض لهم الا التعريض
ببنى العباس وأن دولتهم صنيعه الموالي والأعاجم ، وفي هذه الأقوال ما فيها من الغلو
والاغراق .

ان التأمل الجيد في نصوص التاريخ كفيلا بزالة هذا الوهم ، فان قدماء المؤرخين
وثقاتهم اذا قالوا : « اهل خراسان » لم يقصدوا الأعاجم وحدهم ، وانما كانوا يقصدون
بهذه العبارة - في كثير من المواضع - القبائل العربية المقيمة في خراسان ، ولا تنكر
مساهمة هذه القبائل في خدمة الدعوة العباسية ، فأهل خراسان معناه أصحاب خراسان
من العرب غالبا ، وانك لتجد مدلول هذه العبارات على هذا الوجه واضحا في خطب الولاة
والأمراء وفي اقوال المؤرخين ، تجدها كذلك في خطب نصر بن سيار عامل الأمويين (٢)

(١) أنظر عن آراء علماء النسب في بيوتات اليمن وبيوتات مضر والمفاخرة بينها ،
العقد الفريد (٢/٢١١-٢٥٤) وانظر أساليبهم في معرفة الأنساب وأقوالهم في القبائل
العقد الفريد (٢/١٣) ويستحسنون في ترتيب طبقات الأنساب العربية ما أورده
الماوردي في الأحكام السلطانية (١٨٠) طبعة الاتحاد ، وانظر عن خبرتهم بهذا الفن نهاية
الأرب للقلقشندي (٣٦٦) طبعة بغداد .

(٢) انظر خطب نصر بن سيار عامل خراسان في أيام مروان الجعدي ، وفي بعضها يقول :
« يا أهل خراسان ، انكم غمظتم الجماعة ، وركنتم الى الفرقة ، السلطان المجهول تريدون
وتنتظرون ؟ ان فيه لهلاكهم معشر العرب » ألا ترى أنهم لا يعنون بأهل خراسان الا
العرب في هذه الكلمة ؟ ومثل ذلك كثيرا . وانظر وصية يزيد بن المهلب لابنه مغلد حين
استخلفه على (جرجان) ، فقد أوصاه بأحياء العرب فيها من اليمن وربيعه وقيس مع
الاشارة الى أسباب ذلك ، انظر تاريخ الأمم والملوك (٩/٣٧-٣٨) والكامل لابن الأثير
(٥/١٤٢ ، ١٦٢ ، ١٧٢) ، ولا حظ للاختلاف في سرد نسب نصر بن سيار نقلا عن
الطبري .

وفى خطب قتيبة بن مسلم وغيرهما من الأمراء ، وكانوا ينسبون الى المدن الخراسانية والفارسية فيقولون : رازى ، وأصفهاني ، ومروزي ، وكرماني ؛ لأنهم ولدوا أو أقاموا فيها لا غير ، وهم عرب صرحاء ، والأمثلة على ذلك كثيرة . وهذا (الكرماني) وهو من أشهر رؤساء خراسان في أواخر عصر بني أمية ، وأخباره كثيرة في هذه الفترة من التاريخ - وقد مر ذكر بعضها - قد نسب الى كرماني ؛ لانه ولد فيها وما هو الا عربي قح ، وكان يقال له : (شيخ خراسان وفارسها) في العصر المذكور .

وقد ألف العرب هذا النوع من الانتساب الى حيث يولدون أو يقيمون من بعض البلاد الفارسية أو التركية ، الفوا ذلك حتى أواسط عصور الدولة العباسية أو بعد ذلك ، فهذا ابو الفرج الأصفهاني قد اشتهر بنسبته الى أصفهان وهو كما لا يخفى من أرومة أموية بل كان نزيل بغداد ، .

وفى كتب الفتوح ذكر لخطط العرب ومنازلهم في البلاد المذكورة (١) ، وقد أشار غير واحد من الكتاب والمؤلفين الى فعل البيئات الأجنبية من تركية وخراسانية وغيرها وأثرها فيمن نزل بها من القبائل العربية ، فمن نزل من العرب (فرغانة) لا تستطيع تمييزه عن أهل (فرغانة) في السحنة واللون والهيئة ، ومثلهم في ذلك من نزلوا في غير (فرغانة) من الخطط والأقاليم التركية والخراسانية . وقد وصف الجاحظ تأثر بعض هذه القبائل العربية بتلك البيئات (٢) ، ورأينا بعض المؤرخين يقولون « فلان عربي خراساني » ، أو « عربي من أهل خراسان » (٣) . والمكتشفات الحديثة تؤيد أقوال الجاحظ ، فقد عثر الباحثون في تركستان أو في ما وراء النهر على قبائل رحل تعيش في عزلة عن غيرها ، أو لها نغية أو لهجة تقارب اللهجات العربية ، ومن رأيهم أنها من بقايا العرب الأولين في تلك البلاد .

عروبة نقيب الدعوة :

كان عدد مقاتلة العرب من أهل المصرين : الكوفة والبصرة كبيرا في خراسان من عهد الفتوح الأولى ، وهم من مختلف القبائل النزارية واليمانية ، بل كان جل نقيب

(١) أنظر عن خطط العرب ومنازلهم وأسماء قبائلهم في آذربيجان - فتوح البلدان للبلاذري (٣٣٦ - ٣٣٧) .

(٢) مناقب الأتراك للجاحظ (٣٩) .

(٣) لاحظ العبارات التي يستعملها الجاحظ من هذا القبيل في رسالته المسماة (مناقب الأتراك) (٣٤) .

الدعوة الهاشمية من زعماء العرب المنتمين الى أشهر قبائلهم ، فمنهم خمسة من خزاعة ، وثلاثة من تميم ، وبعضهم من طيء وربيعة ومزينة وغيرها من القبائل المشهورة (١) . وقد كتب الجاحظ فصلا ممتعا في هذا الموضوع لم يسبقه اليه أحد في رسالته المسماة (مناقب الاثراك) (٢) ، ومن هذا الفصل تعرف ان جل هؤلاء النقباء من العرب وان كان فيهم عدد من الموالي (٣) ، وله في هذا الباب فصل آخر اشار فيه الى وقائع حاسمة في خراسان والعراق تفانى فيها أنصار الفريقين . وقد جاء فيه ما نصه : « وهل أكثر الدعاة الا من صميم العرب ومن صليب هذا النسب ، كأبي عبد الحميد قحطبة (٤) بن شيب الطائي ، وأبي محمد سليمان بن كثير الخزاعي ، وأبي نصر مالك بن الهيثم الخزاعي ، وأبي داود خالد بن ابراهيم الذهلي ، وكأبي عمرو لاهز بن طريز المزني (٥) ، وأبي عينة موسى بن كعب المراني ، وأبي سهل القاسم بن مجاشع المزني ، ومن كان يجري مجرى النقباء ولم يدخل فيهم مثل مالك بن الطواف المزني . وبعد ، فمن هو

(١) أنظر عن عروبة رجال الدعوة تأريخ الطبري (٧٦/٩) وتأريخ اليعقوبى (٧٢/٣) ومروج الذهب (١٤٤/٢) والكمال (٩٠/٦) . وعن عروبة زعماء خراسان المصدر نفسه (١٩١/٥) ، وعن القبائل العربية المقيمة في خراسان من تميم وربيعة واليمن - كتاب الوزراء للجهشياري (٢٦٩) . وعن أحياء العرب في خراسان كلمة لقتيبة بن مسلم في البيان والتبيين (١٩٩/١) . وعن بنى تميم في خراسان كلمة خاطب الأحنف بن قيس قبيلته فيها البيان والتبيين (١٨٤/١) . وعن ضعائن العرب تخرج من مرو الى سمرقند بدون جواز في خطبة لقتيبة بن مسلم العقد الفريد (٣٨٥/٢) .

(٢) مناقب الاثراك (٨-١٢) .

(٣) راجع فيما يتعلق برؤوس النقباء من الموالي - وفي مقدمتهم أبو مسلم الخراساني صاحب الدولة ، وأبو سلمة حفص بن سليمان ، وبكير بن ماهان - (مناقب الاثراك) للجاحظ (١٤) والكمال لابن الأثير (٥/٥٩ ، ٤٥) وعن التنكيل بهؤلاء الدعاة في خراسان الكامل (٥/٦٤ ، ٨٨ ، ٨٩) وعن شجاعتهم وصلابتهم المصدر المذكور (٦٧) .

(٤) كان قحطبة يقارن بأبي مسلم صاحب الدولة ، ولآل قحطبة دالة كبيرة على العباسيين الأول ، ولما وقع أحد المناوئين للمنصور من آل قحطبة أسيرا في يده لم ينتقم منه وقال : « لست أقتل أحدا من آل قحطبة بل أهب مسيئهم الى محسنهم وغادرهم

لوفيهم » . البيان والتبيين (١٥٦/٢) .

(٥) المشهور ابن قريظ لابن طريز .

الذى باشر قتل مروان ، ومن هزم ابن هيرة^(١) وقتل ابن ضبارة^(٢) ومن قتل نباتة بن حنظلة^(٣) الاعرب الدعوة والصميم من أهل الدولة ؟ » .

يحتجون بكلام الجاحظ :

هذا وللجاحظ كلمة كثيرا ما رأينا شدة التاريخ الاسلامى من عرب ومستعربين يحتجون بها فى هذا الباب ، وهى قوله : « دولة ولد العباس أعجمية خراسانية ودولة بنى مروان عربية أعرابية »^(٤) ، ومن رأينا انها كلمة لاتصلح للاحتجاج فيما نحن فيه ؛ لأن صاحبها قالها فى معرض المقارنة بين الدولتين من حيث استخدام الشعر والكلام العربى البليغ لحفظ الوقائع ، وتقيد المآثر وتخليد المحاسن . ومن رأى الجاحظ أن العصر الأموى امتاز بهذا الضرب من الأدب البدوى العربى ، والعرب وهم أميون أحفظ وأوعى لما يسمعون ، وأكثر عناية بالانشاد وضرب الأمثال . ومن رأى كذلك أن أنصار بنى العباس قصرُوا عن الأمويين فى حفظ وقائعهم وتدبير ملوكهم وسياسات كبارائهم فى أهل الشام وما جرى لهم فى هذا السيل من حر الكلام وشريف المعانى فى الدولة العباسية ، الى أن قال : « كان فيما قال المنصور وما فعل فى أيامه وما أسس لمن بعده مايفى بجماعة ملوك بنى مروان »^(٥) .

(١) أنظر عن هزيمته فى خراسان الكامل (١٩٢/٥) ، وعن مقتله فى حرب واسط المصدر نفسه (٢٠٩-٢١١) .

(٢) قتله قحطبة سنة ١٣١ ، وما روى عسكر يجمع شتى المؤن والآلات والذخائر كعسكر ابن ضبارة . وكان يسمى : (عسكر العساكر) حتى كأنه مدينة ، أنظر عن ذلك الكامل (١٨٩/٥-١٩٠) وتاريخ الطبرى (٩/٩٤-٩٥) ونجد لعامر بن ضبارة الغطفانى المرى المشار اليه - وهو من أهل حوران - ترجمة فى تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥٥/٧-١٥٦) .

(٣) أنظر عن مقتل نباتة بن حنظلة ومن معه من أهل الشام على يد قحطبة تأريخ الطبرى (١٠٥/٩-١٠٦) . وهذه الواقعة بين قحطبة وابن ضبارة كسابقتها من الوقائع الحاسمة فى هذا النزاع ، ولا شك أن الكفاح كان مريرا جدا فى خراسان والعراق بين عمال الأمويين وبين أنصار الدعوة العباسية فى هذه المرحلة من مراحل النزاع ، أنظر الكامل لابن الأثير (١٨٤/٥) ، ويراجع عن أخبار قحطبة (١٨٣ ، ١٨٨-١٩٢) من المصدر المذكور ، وتاريخ الطبرى (٩/١٠٤ ، ١١٤ ، ١١٦-١١٧) وعن مكانة القحاطبة فى الدولة العباسية وحرمتهم ودالتهم على المنصور البيان والتبيين (١٥٦/٢) .

(٤) و (٥) البيان والتبيين ، المطبعة العلمية (١٥٤/٢) .

اولع الجاحظ بتكرار هذا المعنى في كتبه^(١) على وجه يؤكد لنا أنه لم يقصد بالكلمة المذكورة الا الناحية الأدبية العربية دون السياسية ، وقد عقد في رسالته التي سماها (مناقب الاتراك) فصلاً قارن فيه بين العرب والعجم من حيث استخدام صناعة الكلام لحفظ الوقائع وتسجيل المثالب والمناقب ، فالشعر ديوان العرب ، وهم أميون لا يتكلمون على الكتب المدونة ، والخطوط المطرسة ، ولبعض هذه العلل صارت نفوسهم أكبر وهمهم أرفع ، وهم من جميع الأمم أفخر ولا يأمهم أذكر^(٢) .

وخلاصة القول : يريد الجاحظ أن بنى العباس اقتبسوا ما اقتبسوه من قواعد الدواوين ورسوم الدول الأعجمية البائدة ، فنقلوه الى دار خلافتهم ، فأصبحت رسوم دواوينهم والقواعد المتبعة فيها شبيهة بتلك العادات والرسوم من بعض الوجوه ، فليس في قوله ما يشين دولة بنى العباس ، وكيف يفعل ذلك وهو أشهر كتاب العصر الأول من عصور الدولة ؟ عاصر المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، أي أنه عاش في أزهى عصور العباسيين أثراً عند خلفائهم وأعيان دولتهم ، ولهم ألف جملة من أحسن كتبه ورسائله ، ومنها كتابه الذي سماه « امامة ولد العباس »^(٣) ، ويعد الجاحظ فيما يراه بعضهم من الغلاة في تعظيم العباسيين ، فقد زعم أن الطواغيت الجارفة زالت عن بنى آدم ببركة بنى العباس ، ولم ير الناس من هذه الطواغيت ما رأوه في دولة بنى أمية .

هذا ما عناه فريق من قدماء المؤرخين والكتاب بقولهم عن الدولة العباسية : انها دولة فارسية ، وعن دولة بنى مروان : انها دولة عربية أو أعرابية . وقد أسىء فهم هذه الأقوال من قبل بعض المعنيين بالتأريخ شرقاً وغرباً ، وعلى هذا الوجه الذي بيناه آنفاً فهمت أقوال الجاحظ في عصره ، وعلى هذا الوجه ينبغي أن تفهم في كل العصور . ومن الخطأ الشنيع ، بل من الظلم الفاحش ، أن تفسر هذه الأقوال بأن الدولة العباسية دولة فارسية في روحها ونزعتها ، وأن دعوة أنصارها من الموالي والخراسانيين وغيرهم كانت موجهة الى الكيد من الأمة العربية ، أو الى بعث المجد الساساني البائد ، وأن النزاع بين الدولتين إنما هو نزاع بين الفرس والعرب ، وأن الموالي حاولوا في تأييدهم للدعوة الهاشمية استرداد مجدهم القديم وأن يكونوا أصحاب الكلمة العليا والسلطان في الدولة الجديدة ،

(١) البيان والتبيين (١/٧٨ ، ١٤٥ ، ١٥٤-١٥٧) و (٢/١٦٩ ، ١٧١) .

(٢) مناقب الاتراك للجاحظ (١٢) وانظر أيضاً (٤٢-٤٣) من هذه الرسالة .

(٣) مروج الذهب (٢/١٤٣) .

الى أمثال ذلك من أقوال واهية ومزاعم مردودة .

كان اقبال الفرس وأبناء خراسان على الدين الاسلامي منقطع النظير حتى استأصل تلك النعرات القديمة من نفوس الشعوب الايرانية والطورانية ، وان لم ينزع كل ما تأصل في الطباع ، أو جرى في الدماء ، أو امتزج بالأرواح بالمرّة ، فلا يصح أن يقال اطلاقا : ان الفرس حاولوا انتهاز الفرصة في العصر العباسي المذكور للرجوع الى عوائدهم وأوابدهم القديمة ، وكل حكم يبنى على هذا الأساس ظاهر البطلان . وما أغنانا عن اثاره الخواطر ، ونش الدفائن ، بمثل هذه الأقوال جريا على طريقة بعض المستعربين من الغربيين ! اننا لا ننكر أن تبقى في العصر العباسي المذكور بقية من نحل فارسية ، أو عادات وثنية ، خصوصا في بعض الأصقاع النائية من الشرق ، بيد أن ذلك لم يكن له أثر يعتقد به في حياة الشعوب المذكورة .

والواقع أن الدعوة الهاشمية قديمة بدأت في عصر معاوية بن أبي سفيان بعد صلح الامام الحسن ، ثم في عصر يزيد بن معاوية بعد مقتل الامام الحسين . بدأ بها الهاشميون وأنصارهم في الحجاز واليمن والعراق ، ثم انتقلت الى خراسان في تكتم شديد (١) .

العباسيون الأول

أبو العباس السفاح

بويح أول الخلفاء العباسيين أبو العباس السفاح فكانت بيعته اجماعية ، أجمع عليها أهل بيته وانصارهم ، وبهذا الاجماع امتازت بيعته على بيعة غيره ممن جاء بعده او خلفه في هذا المنصب ، أي ان عصر السفاح امتاز بعدم ظهور منافس له أو نائز عليه ، ومع ان أخاه وخلفه من بعده المنصور أكبر منه سنا الا انه كان في مقدمة من بايعه .

لم يحدث في خلافة السفاح حدث على أهل بيته او ابناء عمومته ، خلافا لما وقع في خلافة المنصور ؛ لان السفاح كان معنيا باستئصال الامويين في هذا الدور ، وهو دور التأسيس والبناء .

بطش العباسيون الأول بطشة جبارة بنى أمية ، قتلوهم أينما وجدوا ، حتى توارى عن الانظار كل متصل بنسب الى بنى أمية ، بيد ان كثيرا من أهل الشام حاضرهم وباديهم وكثيرا من عرب الجزيرة وديار بكر ، وهم من ربيعة ومضر وتغلب وبكر بن وائل ، ظلوا ناقلين على الهاشميين او العباسيين ؛ لاسباب شتى ، وهم يستظلون بظل الراية العباسية ،

(١) أنظر كتاب الامامة والسياسة (١١٧/٢-١١٨) .

بل أجهد العباسيين بعد ذلك استئصال شأفة كثير من الناقمين عليهم في حواضر الشام والجزيرة وبواديها ، فانطوى هؤلاء على كثير من الغل وفساد النيات •

أصبح هؤلاء الناقمون عوناً لكل نائر على العباسيين ، ولو لم يكن ذلك التأثير من بنى أمية فكثرت الفتن في الشام والجزيرة وفي ديار بكر وربيعة وفي ديار مضر ، وتعدد خروج الخوارج في هذه البلاد ، ولا يخلو تأريخ بلد قديم غلب أهله على أمرهم من محاولة للثورة والانتقاض على الغالب • فقد ثار الحجاز وثار العراق وثار غيرهما من الاقطار على حكم بنى أمية ، فلماذا لا تثور الشام ؟ ولماذا لا تثور الجزيرة على حكم بنى العباس ؟ وقد تعددت الفرص السانحة لمناهضة الدولة الجديدة ومناهضة خلفائها ، ولم تعدم هذه الفرص من ينتهزها من ذوى المطامع والاغراض البعيدة ، وفي البلاد المذكورة - وهى الجزيرة والشام - بقية باقية من أنصار بنى أمية ومن مواليهم الضالعين معهم ، ولنا ان نقول : ان القطر الشامى وما اليه قد استحال بسبب سخط الساخطين وبسبب وجود عدد لا يستهان به من موالى الامويين وأنصارهم الى بيئة صالحة للخروج على بنى العباس وللدعوة الى مناهضتهم وخصومتهم من أية ناحية جاءت هذه الخصومة •

أبو جعفر المنصور

وما ان وافى السفاح أجله ليخلفه أخوه الأكبر أبو جعفر المنصور حتى كثرت الفتن عن انبيائها ، وحتى توالى القلاقل فى دولته ولكنه - أى المنصور - واجهها بما عرف عنه من صرامة وفطنة ودهاء ، وقد تخلص - بموجب خطة رسمها - من خصومه واحدا بعد آخر • تخلص من عمه عبدالله بن على التأثير عليه بأبى مسلم الخراسانى صاحب الدولة ، ثم تخلص من أبى مسلم كما تخلص من زعماء آخرين توسم فى بقائهم خطرا على دولته ، وخلع ابن أخيه عيسى بن موسى من ولاية العهد - وكان السفاح عهد اليه من بعد المنصور - وعيسى هو الذى حارب له الأخوين محمدا وإبراهيم من ابناء الامام الحسن ، فظفر بهما ، فكوفىء بخلعه من قبل المنصور ، وعهد بولاية عهده الى ولده المهدي ثم الى عيسى بن موسى هذا ، والاقربون أولى بالمعروف ، فكان من يبايعه يقبل يده ويد المهدي ثم يمسح على يد عيسى ولا يقبلها ، نقل ذلك ابن تغرى بردى واعقبه بقوله : « ان البلاء والرياء قديمان » ، ثم ان المهدي خلع ابن عمه المذكور من ولاية العهد وعقدها لولده الهادي ، وكانت اول ثورة على المنصور ثورة الامير عبدالله بن على عم الخليفة •

عبدالله بن علي

يعد عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس بين أبنه الامراء العباسيين * وابوه علي - وهو الذي انتشر الخلفاء العباسيون من نسله - ، من اوائل الهاشميين الذين رشحوا للخلافة بعد ان نصبت فكرة الثورة على الامويين واحلال الهاشميين محلهم في هذا الشأن ، وقد اعقب أكثر من عشرين ولدا ذكرا ، من أشهرهم : عبد الله هذا ، وأخواه محمد وصالح أبناء علي ، وكان لكثير من أولاده شأن في تأريخ الدولتين الاموية والعباسية ، الا أن الخلافة العباسية كانت من نصيب أولاد محمد بن علي وهو أكبر من أخيه عبد الله ، ولم يبايع بالخلافة أحد من ولد عبد الله بن علي المذكور ، ثم هو الامير الذي ندبه السفاح لقتال مروان الجعدي فظفر به وبغيره من أمراء بني مروان في واقعة الزاب الأنف ذكرها ، وعلى يده انقرضت دولتهم ، ومن ثم استخلص الشام ومصر ، وكان ساعده الايمن في ذلك أخاه صالح بن علي الذي جهزه السفاح على طريق السملوة فطارده مروان وفلول الجيش الاموي الى مصر وقتله في (أبي صير) ^(١) ، وهو - أعني عبدالله بن علي - بعد ذلك عم السفاح ، لذلك كان يحدث نفسه بالخلافة ، بل كان يرى أنه أحق العباسيين بعد السفاح بأن يكون خليفة * أحق من المنصور وأحق من سائر أمراء بني العباس ، وكان يظن أن ابن أخيه - أي السفاح - لا يعدوه في الوصية بولاية عهده لانه نائبه في الجهاد وقيادة الجيوش وغزو الروم ، ولكن السفاح عهد في مرض موته بولاية العهد الى أخيه المنصور ثم الى ابن أخيه عيسى بن موسى وما ان علم عبدالله بن علي ببيعة المنصور في العراق وكان - كما قلنا - يتحين الفرص للمطالبة بحقه في الخلافة ، حتى جاهر بالدعوة الى نفسه وعدل بجيشه الى العراق ، ولكن خانه الحظ وأخفق في الوصول الى بغيته ، وانتهت حياة بطل الزاب بالموت في سجن ابن أخيه المنصور بعد هزيمته في واقعة « نصيبين » ^(٢) على يد ابي مسلم الخراساني ، هكذا أخفق عبد الله بن علي في الوصول الى غايته المنشودة ، ومرد اخفاقه فيما نراه الى قصر نظره وافتقاره الى شيء كثير من الدربة والحكمة السياسية ، وكان دون

(١) أنظر حياة الحيوان للدميري (١/٦٢) .

(٢) تجد تفصيل هذه الوقائع التي وقعت بين ابي مسلم الخراساني وبين عبدالله بن علي عم المنصور في تاريخ الطبري (٩/١٥٦ ، ١٥٩) ومروج الذهب (٢/١٩٧-١٩٨) والكمال (٥/٢٢٠ ، ٢٢٢) وقد ترجم الخطيب البغدادي لعبدالله بن علي هذا في تاريخ بغداد (١٠/٨-٩) ، وانظر ايضا (ص ٥٣) من الجزء المذكور ، وتجد كيفية حبس عبدالله وقتل أصحابه بعد وصولهم الى المنصور في الكامل (٥/٢٣٦) ، وتجد طرفا من احوال عبدالله بن علي هذا في كتاب الوزراء والكتاب للجهمشياري (٨٥-٨٦ ، ١٠٣ ، ١٣٠-١٣٢)

أخيه محمد بن علي ربان الدعوة العباسية في كل شيء • كان دونه في عقله الراجح ، وكان دونه في حزمه وخبرته الواسعة ، وقد ارتكب في دعوته الى نفسه اغلاطا فظيعة ، فانه أمر بقتل عدد كبير من الخراسانيين كانوا في جيشه لتوهمه بسيلهم الى أبي مسلم الذي ندب لقتاله ، وهم ايضا أن يفتك ببعض القحاطبة وهم من أشهر القواد في جيشه • وكان جل جيشه الباقي مؤلفا من أهل الشام الذين غلبوا على أمرهم في واقعة الزاب ، ولا بد لنا من القول : ان المنصور اضطرب الاضطراب كله في بدء هذه الحركة التي قام بها عمه حتى انه هم بالخروج الى مناجزته بنفسه ، وكان لا يرى من بعده أهلا للقيام بحرب عبد الله الا ابا مسلم الخراساني ، ولذلك قال له : « ليس لهذا الامر الا أنا أو أنت » • فأتمثل أبو مسلم أمر المنصور في قمع هذه الثورة ، ولم تقمع الا بعد أن مضت عليها أشهر غير قليلة ، وهي أول حرب تقع في صدر الخلافة العباسية بين أهل خراسان بقيادة أبي مسلم وأهل الشام في الجزيرة بقيادة عبد الله بن علي المذكور •

دور الطالبين

ومن أهم الاحداث في خلافة المنصور ، ان لم يكن أهمها ، تلك الثورات التي قام بها فريق من زعماء الطالبين • وقد بدأت في خلافة المنصور ، ولم يكن لها أثر في أيام السفاح ، بل لم يحدث في خلافته حدث على الطالبين كما لم يحدث من الطالبين حدث عليه • وقد أقضت هذه الاحداث مضاجع الخلفاء العباسيين الاولين ، خصوصا وهم يعلمون أن النفوس في كثير من الاقطار الى خصومهم أميل ، وأن الرأي العام فيها ينجح الى تفضيل آل أبي طالب على بني العباس ، وكان المنصور يعرف أن لآل أبي طالب مكانة مكيمة في نفوس الجمهور لا يحلم بها أكثر العباسيين ، فكان يخشى - لذلك - جانبهم ، ومطالبتهم بحقوقهم التي يعصدهم كثير من الناس في المطالبة بها ، ومن هنا جاء حقد المنصور على الطالبين وقتل من قتل منهم من ساداتهم واشياخهم الثائرين وعاملهم بقسوة منقطعة النظر • جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي مانصه : « وفي سنة ٤٥ كان خروج الاخوين محمد وابراهيم أبنى عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي ، فظفر بهما المنصور فقتلهما وجماعة كثيرة من اهل البيت ، فانا لله وانا اليه راجعون • وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين ، وكانوا قبل ذلك شيئا واحدا » (١) • وقال أيضا : « وممن أقتى بجواز الخروج مع محمد على المنصور مالك بن أنس ، وقيل له : ان في اعناقنا بيعة للمنصور ، فقال : انما بايعتهم مكرهين ، وليس على مكره يمين » •

(١) تاريخ الخلفاء : (١٠٢) •

كانت ثورات الطالبيين مصدر قلق للطبقة الاولى من خلفاء بنى العباس ، وقد ألحقت بهم ما ألحقت من الاضرار البليغة بالارواح والاموال ، وقد حاول قوم من المحدثين المعنيين بالتأريخ أن يعدوا ثورات الطالبيين المتوالية على أبناء عموتهم من بنى العباس من جملة العوامل الفعالة فى زوال الدولة العباسية ، وفى هذا رأى ما فيه من التكلف والمبالغة ؛ لأن أخطر تلك الاحداث والبشوق التى انبثقت من ناحية الطالبيين انما وقعت فى صدر الدولة العباسية وفى خلافة خلفائها الاول كالمصور والمهدى والهادى وآخرين من القوم ، وقد تمكن العباسيون الاولون من قمعها بشئ غير قليل من الغدر والقسوة والغلظة المتناهية على بنى العمومة المذكورين ، على اننا نرى أن شيوخ هذين البيتين من طالبيين وعباسيين عاشوا فى صفاء تام فى معظم عصور الدولة العباسية الاخيرة ، وهى العصور التى منيت فيها الدولة المذكورة بالضعف الشديد . وفى هذه العصور أحدث منصب نقابة الطالبيين ، وهو من المناصب الجليلة ، وقد تولاه كثير من أشياخ الطالبيين ووجوه العلويين فى العصور العباسية المذكورة ، لذلك لا يصح القول اطلاقا بوجود علاقة أكيدة أو صلة مباشرة بين الثورات الطالبية المشار اليها وبين انحلال الدولة العباسية .

وقد خصص ابو الفرج الاصفهاني الشطر الاكبر من كتابه المسمى : «مقاتل الطالبيين» بذكر زعماء آل أبى طالب الذين قتلوا فى عصور الدولة العباسية عصرا عصرا ، وقد ابتداء بمن قتل منهم فى خلافة المنصور الذى بز جميع العباسيين فى ذلك ، وقد حفلت عصورهم بهذه الاحداث اذا استثنينا عددا قليلا من خلفائهم كالسفاح والامين والواثق بن المعتصم والمنتصر مالوا الى محاسنة الطالبيين ، وكان المتوكل شديد الوطأة على آل أبى طالب . قال أبو الفرج الاصفهاني : « بلغ منهم مالم يبلغ أحد من الخلفاء قبله الى أن قتل ، فعطف عليهم ابنه المنتصر . كان يرى مخالفة أبيه المتوكل ، ويظهر ذلك العطف على أهل البيت ، فلم يجز عليهم مكروه فى خلافته » .

كانت غلظة المتوكل فى هذا الباب من الاسباب التى استحل بها ولده المنتصر هدر دمه كما هو معروف^(١) وكان المتوكل يكره كل عباسى قبله ظهر منه شئ من الميل الى

(١) أنظر عن الفرق بين سيرة المتوكل وسيرة ابنه المنتصر فى هذا الشأن مقاتل الطالبيين (٥٩٧-٥٩٩ ، ٦٢٦) من طبعة القاهرة ، ومروج الذهب (٢/٢٨٤) ، وتأريخ الامم والملوك للطبرى (١١/٨١) ، والكامل لابن الاثير (٧/٢٠ ، ٣٩) ، وتجد أخبار خروج الطالبيين والعلويين على العباسيين فى الكامل (٥/٢٤٣-٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧١) . وقد عنى غير واحد من المؤرخين باخبار الطالبيين والعلويين التأثيرين وتأريخ مقاتلهم ، ومن أشهرهم فى ذلك الطبرى والمسعودى وابن الطقطقى صاحب الآداب السلطانية .

آل أبي طالب ، وقد روى بعض المؤرخين أن الفقهاء أشاروا على المنتصر بقتل أبيه بعد أن حكى لهم عنه أمورا قبيحة (١) .

ومن الخلفاء العباسيين الذين اقترن تاريخهم بشدة الوطأة على الطالبيين - كما جاء في كتاب المقاتل - المهدي والهادي والرشيد والمأمون والمستعين والمعتز والمهتدي . وهكذا إلى خلافة المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠) ، وحسبك أن مصارع اسبيين في عصور الخلافة العباسية استوعبت جل كتاب المقاتل على ضخامة حجم الكتاب المذكور .

هذا ويحسن بالمؤرخ في هذا المكان الامام بتاريخ هذا الخلاف أو النزاع بين اعيان هذين البيتين الهاشميين والوقوف على علله وأسبابه ، وذلك على الصورة الآتية :

أصل الدعوة وصيغتها العامة

كانت الدعوة إلى انتزاع السلطان من بني أمية هاشمية عامة في أصلها ، شارك فيها الهاشميون : الطالبيون منهم والعباسيون ، وكانت الجمعيات السرية القائمة بها في أواخر عصور الدولة الأموية تتألف من وجوه العلويين والعباسيين ، وممن حضرها السفاح والمنصور ، وكانت الدعوة تبث أو تعلن بشكل يتناول الهاشميين جميعا ، أي أن الدعوة كانت تعلن بالإضافة إلى (آل محمد أو أهل البيت) . وقد بويع من بويع من وجوه الفاطميين بالخلافة سرا ، بايعه العباسيون أنفسهم ومنهم السفاح والمنصور ، فكانت الدعوة الهاشمية المذكورة في أخريات عصور الدولة الأموية على جانب عظيم من التنظيم والقوة . وقد امتاز الدعاة الهاشميون بدهائهم وخبرتهم (٢) الواسعة .

اتجه الدعاة في أول الأمر بعد سبر أحوال بني العباس والمقارنة بينهم وبين الطالبيين إلى تفضيل الطالبيين ، ولكن سادات أهل البيت من الطالبيين كانوا على جانب كبير من الورع فلم يعبأوا بالأمر ، وقد رفض بعضهم مقترحات الدعاة بشأن البيعة ، وكان الأمويون على وشك الاستفادة من انقسام الهاشميين لولا أن الدعوة نمت نموا هائلا وسرت مسرى النار في الهشيم ، وذلك لملاءمة البيئة لها ، وهي بيئة مشبعة بالسخط والثورة النفسية على

(١) انظر رواية ابن الاثير في الكامل (٤٣/٧-٤٤) .

(٢) يرجع في مايتعلق بكفاية رجال الدعوة إلى الآداب السلطانية لابن الطقطقي

(١١٢-١١١) ط الرحمانية في القاهرة

سياسة الامويين ، وهكذا كانت الدولة من نصيب بنى العباس (١) .
هذا على ان بعض المؤرخين ، واكثرهم من الفرنجة المستشرقين يغمزون العلويين
بالعجز عن انتهاز الفرص ، وان العباسيين فاقوهم بالحزم والمضاء وبعد النظر فى هذه
الناحية .

والواقع : ان الطالبيين أكرهوا على الثورة فى كثير من الاحيان لشدة طلب العباسيين
لهم ، الى ان صارت الثورة على حكم العباسيين شعارا لهم كما كانت من قبل على حكم
الامويين . وقد انتهز بعض الطالبيين والعلويين طغيان الموالى والاتراك فى الدولة العباسية
واضطراب الامور فيها بعد ذلك فقاموا بثورات عدة وحاولوا الاستقلال بجزء من البلاد
الخاضعة للدولة العباسية ، وقد نجح بعض زعمائهم فى انشاء دولة لهم بطبرستان ، وهى
الدولة الزيدية العلوية عاشت أكثر من مئة سنة (٢) .

المهدى - الهادى - الخيزران

أربت الفترة الواقعة بين موت المنصور وبيعة حفيده هارون الرشيد على عشر
سنوات قليلا . بويح خلالها المهدي والهادى ، وتعتبر هذه الفترة - على الاكثر - امتدادا
لخلافة السفاح والمنصور اذا استثنينا عناية المهدي بفتح بعض الطرق العامة وتوسيع
عاصمته بغداد حتى ازدهرت فيها الصناعة والتجارة ، وغنى المهدي فيما غنى بنظام البريد
فى المملكة (٣) ، وكان شديدا فى مؤاخذه المتظاهرين بالمذاهب الشاذة ، كما كان ابوه
يعيبه بالاسراف والتبذير وينسب ذلك الى ضعفه وحدائته واستيلاء أعوانه عليه ، ومما
لاشك فيه أن المهدي كان مغلوبا على امره لزوجته الخيزران اذ كانت تدخل أنفها فى
كثير من الامور العامة الى ان حجر عليها ابنها الهادى بعد وفاة ابيه .

كانت الخيزران خائفة على نفسها من ابنها الهادى شاعرة بأنه يحاول الفتك بها ،
فانها رأت فى نفسها الكفاية للمساهمة فى ادارة شؤون الدولة ، وقد كثرت الغاشية

(١) يرجع الى الآداب السلطانية عن اتجاه الدعوة وكيف أعرض عنها الطالبيون وكيف
بويح العباسيون ، وانظر عن انتقال الامر الى اوائل بنى العباس من ابناء عمومهم
المصدر المذكور (١١٩-١٢٠) .

(٢) تجد أخبار هذه الدولة فى التاريخ الكامل (٤٩/٧-٥١) . وانظر ايضا مادة

طبرستان فى معجم البلدان .
(٣) انظر عن عنايته بنظام البريد تاريخ الخلفاء للسيوطي (١٠٧) .

وازدحمت المواكب على بابها بعد موت زوجها المهدي ، ومرد ذلك على الاكثر الى حادثة سن ابنها الهادي ، اذ بويغ بالخلافة وعمره نيف وعشرون سنة ، فارادت مشاركته في سلطانه وحاولت غلبته على اموره ، وكانت صلة رجال الدولة بها وصلت بها بهم حديث المحافل في البلاد ، كما كان الهادي يطوى نفسه على كثير من الاشجان والالام من اجل ذلك ، فهو معروف بشدة الغيرة على حرمه ، ولكن هذا الخليفة الشاب سرعان ما تنكر لاهله بل ثار عليها ثورة صاخبة وخطبها بعبارات جارحة فاضت على لسانه وكلها عدل وتقريع وتهديد ووعد ، ومن اجل ذلك - على مايقول فريق من المؤرخين - سعت امه في الفتك به قبل فتكه بها . وذلك في مستهل السنة الثانية من خلافته (١) .

هارون الرشيد

بلغت بغداد ، بل بلغت الدولة العباسية أوج عظمتها وحضارتها في عهد الرشيد ، وهو عهد امتاز بالرخاء والرفاه والغنى واليسار ، حتى ضربت بذلك الامثال وحتى وضعت في ترف العباسيين وبذخ اعيان دولتهم قصص معروفة بعضها من نسج الخيال . كان هارون الرشيد - كجده المنصور - من ابعد العباسيين نظرا واثقهم فكرا خيرا بنزعات الشعوب والاقطار الداخلة في حكم بني العباس مطلعا على معظم مايجرى في البلاد المذكورة اذا استثنينا اغلاطا سياسية وقعت له - كما ستري ذلك - .

معسكر الرقة

قواعد حربية للعباسيين

كان الخطر ماثلا امام الرشيد والفتنة واقعة لامحالة من ناحية البلاد المأهولة بعدد غير قليل من انصار الامويين والقبائل الموالية لهم ، وفي مقدمة تلك البلاد : ديار بكر وربيعة في الشرق والشمال ، وديار الشام في الغرب ، بل كان الرشيد يعرف من ينسج غزل هذه الفتن من بني العباس الموتورين انفسهم فضلا عن غيرهم ، ولذلك فكر المنصور وفكر بنوه واحفاده - وفي مقدمتهم الرشيد - في اتخاذ قاعدة عسكرية كبرى تكون على مقربة من الشام او متوسطة بينها وبين الجزيرة ، ومن هذه القاعدة يشرف بنو

(١) انظر عن قصة الخيزران وعلاقتها بموت الهادي وتضارب اقوال المؤرخين في ذلك تاريخ الطبري (٣٣-٣٤/١٠) والمروج (١٨٤/٢) والكمال (٤٠-٤١/٦) وقد روى المؤرخون المذكورون نص خطاب الهادي لاهله الخيزران الذي احفظها عليه .

العباس على مايجرى فى البلاد الواقعة شرقى الفرات وغريبه فاختار الرشيد « الرقة » (١)
وزاد فى ابنتها التى بناها المنصور واكثر من الاقامة فيها .

وصف المؤرخون طيب هواء « الرقة » و « الرافقة » كما لو كان طيب الهواء
وعذوبة الماء فيهما علة العلل فى انتقال الرشيد اليها . مع ان الرقة لم تكن الا قاعدة
من جملة قواعدهم العسكرية تشحن بالمقاتلة لدرء الاخطار التى قد تتجم من الغرب
او الشرق ، ولولا ذلك مفارق العباسيون عاصمة ملكهم بغداد (٢) .

حنين العباسيين الى بغداد

كانت أغراض العباسيين العسكرية - كما قلنا - تفرض عليهم الصدود عن بغداد
والاكتار من الاقامة فى الرقة كما فعل المنصور وهارون الرشيد وغيرهما من خلفاء بنى
العباس ، وقد اشار الرشيد نفسه الى هذا الموقع العسكرى الممتاز الذى انفردت الرقة
وتميزت به على بغداد . وذلك لما اجتاز بغداد وعبر جسرهما فى طريقه من الرى الى
الرقة رأسا دون ان يقيم فى العاصمة وذلك سنة ١٨٩ فقال ماهذا نصه : « انى لا طوى
مدينة ماوضع بشرق ولا غرب مدينة أيمن ولا أيسر منها ، وانها لدار مملكة بنى العباس
مابقوا وحافظوا عليها . مارأى احد من آبائى سوء ولا نكبة فيها . ولنعم الدار هى ولكن
اريد المناخ على ناحية اهل الشقاق والنفاق والبغض لائمة الهدى والحب لشجرة اللعنة
مع مافىها من المارقة والمتلصصة ومخيفى السبل ، ولولا ذلك مفارقت بغداد » (٣) ، من
هذه الجملة يتجلى رأى العباسيين فى فضل بغداد وحنينهم الى الاقامة فيها وحسرتهم على
مفارقتها لولا مايعنيهم من الاشراف عن كتب على مايجرى فى بلاد الشام او مايجرى فى ديار
الجزيرة شرقى الفرات والاهتمام بقمع الفتن الناجمة من هناك ، فما ان مات ابو العباس
السفاح سنة ١٣٦ حتى طلعت الفتن بعضها فى اثر بعض من تلك الاقطار طبقا لما
توقعها الرشيد .

الفتن تترى

وهاهى الاحداث تترى على عدوتى الفرات الاعلى وما وراءهما شرقا وغربا بحيث

- (١) تجد سبب اقامة الرشيد فى الرقة فى الكامل (٧٦/٦-٧٧) .
- (٢) انظر عن الرافقة والرقة وعناية المنصور والرشيد بهاتين الحاضرتين معجم
البلدان (٧٣٤-٧٣٥) ط « لايبسك » وانظر الكامل لابن الاثير (٧٦/٦-٧٧) .
- (٣) انظر رواية ابن الاثير لهذه الكلمة فى الكامل (٧٧/٦) .

لم يخل منها عصر من عصور العباسيين الاول بعد السفاح . فمن خلع الى خلاف في ايام
ابى جعفر المنصور الى فتن عادت جذعه بين القيسية واليمانية في الشام ، ومن مؤامرات
لخلع الرشيد ، الى قتال دام بين الابناء المجندين من العجم وبين قبائل العرب ، الى احداث
اخرى تدل على ان هؤلاء الخلفاء الاول من بنى العباس كانوا على صواب في تخوفهم
من القلائل الناجمة عن تلك الاصقاع وفي استعدادهم لمواجهتها ، ونحن نقص عليك
قصصها في مواضعها من هذا الكتاب .

خلع المنصور

ظهر القطر الشامى بأسره تقريبا بمظهر المناوىء للعباسيين بعد قيام دولتهم بسنوات
قليلة ؛ فما ان بلغ اهل دمشق موت السفاح حتى اعلنوا بيعتهم لامير اموى - يدعى هاشم
ابن يزيد ، وهو من احفاد يزيد بن معاوية بن ابى سفيان - وخلعوا المنصور وكان ذلك
سنة ١٣٦ و قيل سنة ١٣٧ ، حيث خرج اليهم صالح بن على عم المنصور - وهو على ولاية
مصر - فهرب اهل دمشق وملك صالح البلد المذكور ، وقد ورد ذكر هذه الحادثة
في كتاب النجوم الزاهرة ^(١) ، وجاءت في كتاب « الولاة وكتاب القضاة » ^(٢) للكندي
اشارة الى حادثة شبيهة بحادثة دمشق ولكنها وقعت في فلسطين حيث اعلن القائمون بها
خلع المنصور فاستطاع الامير صالح بن على العباسى أن يقمع - ايضا - هذه الحركة
بعد مقتلة عظيمة ، ولم يرد لحادثة دمشق ذكر في الكامل لابن الاثير ولا في تاريخ
الطبرى ، وفي هذه السنة نفسها - اعنى سنة ١٣٧ - دعى عبدالله بن على المار ذكره - وهو
من اكبر اعمام المنصور - الى نفسه وايده كثير من اهل الشام ، ولكن ابا مسلم الخراساني
واقعه في « نصيين » فالتجأ بعد هزيمة منكرة الى اخيه سليمان بن على وهو والى البصرة ،
وقد مرت الاشارة الى هذه الحادثة ^(٣) .

لاغرو اذا تنكر المنصور بعد قيام عمه عليه ودعوته الى نفسه ، ولا عجب اذا اصبح
كثير الشك والارتياب بنيات اعمامه وابنائهم وذويهم . وفيهم الامير صالح بن على أخو
عبدالله بن على ، وكان الامير صالح واليا على مصر والاقطار المغربية ، فشدد المنصور

(١) (١/٣٣٢-٣٣٣) .
(٢) (١٠٣-١٠٤) ط بيروت ١٢٧٠ .
(٣) في الصفحة (٤١) (١٠) .

رقابته وبث عليهم العيون والارصاد وشرع في الحد من سلطانهم وفي تقليص اعمالهم
وصرف غير واحد منهم عن الولايات الجلية^(١) واكتفى بتقليدهم بعض الاعمال الضئيلة ،
وكان نصيب بعض ابنائهم السجن والاضطهاد في عصر الرشيد .

حزب آل علي

ولا بدع اذا تكون من العباسيين حزب قوامه آل علي المذكورون . اعمام السفاح
والمنصور وابنائهم واشياعهم ، وهو حزب يطالب بنقل الخلافة الى هذا الفرع من بني
العباس ويتحين كل الفرص السانحة لاستفزاز شعور العرب في الشام والجزيرة وفي
ديار مصر وربيعة وتأليبهم على العجم واهل خراسان .

كان لهذا الحزب العباسي - وجل انصاره من قبائل العرب - ضلع قوى في فتنة
الامين والمأمون ، وكان لزعمائه شأن يذكر في هذه الحادثة وتأييد اول الاخوين على
اخيه الثاني ، كما ستراه في بعض الفصول الآتية :

العصية بين المضرية واليمانية

نسبت الفتنة وهاجت العصية بين المضرية واليمانية في مصر ودمشق بعد مضي ست
سنوات على بيعه الرشيد - اى في سنة ١٧٦ - ، وفي تجدد هذه الفتنة في الشام أقوال
وفي رواية نصوصها اختلاف^(٢) ، ولم يتم الاصلاح الا في سنة ١٨٠^(٣) ، وهذه الفتنة
ليست الاخيرة في عصر الرشيد فقد هاجت مرة اخرى سنة ١٨٧^(٤) ، ثم ظهرت فتنة
كبرى بين المضرية واليمانية في الموصل^(٥) قتل فيها خلق كثير من الفريقين ، وثار
القيسية بدمشق في خلافة المعتصم^(٦) ، اصف الى ذلك احداثا اخرى شهدتها ديار ربيعة

(١) عزل المنصور عمه صالح بن علي ثلاث مرات في سنة واحدة ، وتجدد تفاصيل
ذلك في كتاب الولاة للكندي : (١٠٦) وكان نصيبه السجن الشديد في خلافة الرشيد
ولم يفرج عنه الا بعد بيعه الامين .

(٢) تجد اخبار هذه الفتنة في تاريخ الطبرى (١٠٠/٥٩-٦٠) وفي الكامل
(٥٤-٥١/٦) وقارن بين روايات المؤرخين ولاحظ الاختلاف بينها في الكتابين المذكورين .
(٣) في هذه السنة سار جعفر بن يحيى البرمكى الى الشام ومعه القواد والعساكر
والسلاح والاموال فأطفأ النائرة ، انظر الكامل (٦١/٦) ، قال ابن تغرى بردى : (وهذه
الفتنة هي سبب العداوة بين قيس واليمن الى يومنا هذا) (١٠٠/٦١٠)

(٤) ارجع الى المصدر نفسه (٨٦) .

(٥) تجد أخبار هذه الفتنة في المصدر المذكور (١٢٣) .

(٦) المصدر المذكور (٢١٧) .

ومضر وشهدتها الشام في هذه الفترة : مثل خروج السفيناني في الشام والتفاف موالي الامويين حوله ومعاونة كلب وغيرها من قبائل البادية له^(١) ، وخروج المبرقع الاموي في عصر المعتصم^(٢) ، الى غير ذلك ، واذا تأملنا تاريخ الدولة العباسية ظهر لنا أنه تأريخ حافل باحداث القيسية واليمانية من العراق شرقا الى الاندلس غربا ، اذ كان ولاية بني العباس في عناء دائم مع القبيلين المذكورين خصوصا من استقر منهم في المملكة المصرية^(٣) .

عمال الرشيد في المشرق :

الفضل بن يحيى

كانت الدولة العباسية على عظمتها وسعة رقعتها في عصر الرشيد او في سنة ١٧٦ تحكم بالبرامكة ، فكان الغرب كله من حدود الانبار الى المغرب الاقصى مردودا الى جعفر ابن يحيى بن خالد البرمكي ، كما كان المشرق كله من حدود النهر وان في العراق الى اقصى بلاد الترك مردودا الى الفضل بن يحيى ، وهو - اي الفضل - رضيع الرشيد اذ كانت امه ظفرا له . وقد نشأ الامين بن الرشيد في حجر الفضل المذكور . شخص الفضل الى عمله في المشرق سنة ١٧٨ ولم تطل مدة ولايته ، بيد ان المؤرخين أثنوا على سيرته في المشرق وفي خراسان ونوهوا بأعماله وفتوحه^(٤) ، ويستتبع من اقوالهم ان الفضل كان على جانب لا يستهان به من الكفاية والحقق السياسي كارها لسفك الدماء ميالا الى معالجة المشكلات السياسية بوسائله السلمية ، وقد استعان على ادارة الشؤون في اعماله بسخاء ضربت به الامثال . وبذلك صلحت نيات الرؤساء وطابت قلوبهم كما تشهد بذلك سيرته وأخباره^(٥) ، ولكن الرشيد لم يلبث حتى سخط عليه ،

(١) الكامل (١٠٠/٦) .

(٢) المصدر عينه (٢١٧) .

(٣) انظر عن حوادث القيسية واليمانية في مصر تاريخ ابن خلدون (١٢٤/٤)

ط. مصر ، والنجوم الزاهرة (٢٤٧/٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٨٠ ، ٢٩٩) .

(٤) يرجع الى تاريخ الطبرى (٦٤-٦٥) ومروج الذهب (٢٠١-٢٠٢) وكتاب

الوزراء للجهشياري (١٩١-١٩٢) ، وتجند اوسع ترجمة للفضل بن يحيى في تاريخ

الخطيب (٣٣٤-٣٣٩) ووفيات الاعيان (٤٠٨-٤١٢) .

(٥) انظر عن بعض اساليبه السياسية تاريخ الطبرى (٥٤-٥٩) وكتاب

الوزراء والكتاب للجهشياري (١٠٩) ومقاتل الطالبين للاصبهاني (٣٠٨-٣٢٢) ط النجف

ويرد بعض المؤرخين هذا السخط الى وشايات الحساد ، وبعضهم الى تهاونه في الجباية ، وآخرون الى الفرق بعض العلويين والطلبيين .

ابن ماهان : والي خراسان الجديد

استشار الرشيد نصحاء فيمن يخلف عامله البرمكي المعزول عن الولايات الشرقية . وكانت من اهم ولايات الدولة واغناها ، فرشح الفضل بن الربيع صاحبه على بن عيسى بن ماهان وخالفه يحيى بن خالد وهو والد الوالي المعزول ، وكان من رأى يحيى أن ابن ماهان لا يصلح لولاية خراسان خلفا لابنه ^(١) ، بيد أن الرشيد أخذ برأى ابن الربيع واغفل رأى يحيى ، وهكذا أصبح ابن ماهان خلفا للفضل البرمكي على الولايات الشرقية . يعد على بن عيسى بن ماهان من جبابرة العصر العباسي الاول ، نشأ في عصر الرشيد وعاش الى عصر الامين والمأمون وشارك في الفتنة بينهما ، وكان الى جانب الامين فيها لانه هو وصاحبه الحميم الفضل بن الربيع وزير الرشيد من اعدى أعداء المأمون ، ومرد هذه العداوة الى ان المأمون لم يكن يرى رأيهما في كثير من الشؤون السياسية ، ومنها - على الغالب - نكبة البرامكة فان للمأمون فيها رأيا آخر . اذ كان يفضل التخلص من البرامكة بطريقة اخرى . كما كان غير واحد من اقطاب الدولة يرون رأى المأمون في ذلك ، ومنهم بنو سهل وزرأوه ، ولما نكب ابن ماهان في أواخر خلافة الرشيد أظهر عبدالله المأمون اغتيابه بذلك ، هذا اذا لم نقل ان له يدا في هذه النكبة ، ولما مات الرشيد تجلت هذه العداوة بين الفريقين ، ذلك ان ابن الربيع - وكان يصحب الرشيد في رحلته الى خراسان - ذهب الى ابعد حدود الغطوسة والعناد والاعناد بالنفس ، فانه - عند منصرفه من خراسان - لم يشأ ان يودع ولي العهد وقد أوشك ان يبايع بالخلافة ، ويعد ذلك بمثابة انكار لبيعة المأمون حتى أنه - أي المأمون - حاول رد ابن الربيع عن وجهته الى العراق قسرا ثم أعرض عن ذلك .

فتنة الاخوين :

استهل ابن الربيع أعماله فور وصوله الى بغداد بخلع المأمون ومبايعة الامين ، وكان في مقدمة من بايع صاحبه ابن ماهان ، بيد ان حفلة البيعة - وفيها تم تعيين ابن ماهان قائدا لحرب المأمون - كانت فاترة جدا لم تخل من المعارضين لخلعه ، وفي الحفلة

(١) تاريخ الطبري (٩٥/١٠) .

المذكورة نهى الامين عن زج الجيش وقواده فى السياسة • فان قواد الجيش اذا اجترؤا على خلع الخلفاء لم يفرقوا بين هذا وذاك ، وهكذا كان (١) ، وقد ارتكب الامين فى اختياره لابن ماهان ليقوم بحرب المأمون غلطة منكرة ، فان لهذا القائد سمعة سيئة فى خراسان ، ويقول بعض المؤرخين : انها مكيدة وقع فيها الامين وانها من صنع رجال المأمون (٢) ، وليس ذلك بعيدا على رجل اشتهر بالغفلة وقلة الحنكة كمحمد الامين • لم يكنف ابن ماهان واصحابه بخلع المأمون بعد بيعة الامين ، بل حرموه من ولاية العهد ، وعقدت هذه الولاية لطفل من اطفال الامين كان فى حجر ابن ماهان ، وقد قوبلت هذه الاعمال بشيء غير قليل من الاستنكار ، واعتبر سلوك الامين وتصرف حزبه بمثابة الخيانة ، وهو سلوك أضر ضررا بالغا بمصلحة الامين فانحرف الناس عنه • انحرف عنه العراقيون وانحرف عنه المصريون فبايعوا المأمون بيعة عامة فضلا عن اهل خراسان ، ويلاحظ ميل ظاهر من جانب القواد الى المأمون (٣) ، وقد سارت لادباء بغداد وشعرائها فى هذه المحنة اقوال ، وابدع بعضهم فى وصف هذه المأساة التاريخية وما تركته من الاسى فى النفوس (٤) •

من ذلك يتجلى لنا ان ابن ماهان كان طاغية حدثته نفسه بنصب نفسه حاكما مطلقا فى دولة بنى العباس ودار فى خلدته - كما دار فى خلد صاحبه ابن الربيع - ان يحل محل البرامكة ولا عجب ، فانه فى مقدمة المساهمين بنكبتهم بلا ريب ، ولم يخامرهم اليأس من الظفر ببغيته حتى بعد نكبة الرشيد له وعزله عن عمله فى خراسان ، ومن اجل ذلك أجمع رأيه ورأى شريكه ابن الربيع على خلع المأمون •

فترة انتقال فى خلافة الرشيد :

كان عزل الفضل بن يحيى البرمكى بعلى بن عيسى بن ماهان فترة انتقال فى تاريخ خلافة الرشيد ، انتقلت خلالها الولايات الشرقية من حال الى حال ، فهى فترة عصية تتابعت

(١) تجد وصف الحفلة المذكورة ونصوص الرسائل المتبادلة بين الاخوين المتنازعين فى تاريخ الطبرى (١٠/١٣٨ ومايليها) ومروج الذهب (٢/٢١٠ - ٢١٢) والكامل (٦/٩٦ - ٩٩) ووفيات الاعيان (١/٣٣١) ط باريس •

(٢) نقل ذلك الجهمشيارى فى كتاب الوزراء والكتاب (٢٢٨) •

(٣) المصدر نفسه (٢٩٢) والكندى فى كتاب الولاة والقضاة (١٤٨-١٤٩) •

(٤) تجد بعض القطع الشعرية المنظومة فى هذا الباب فى مروج الذهب (٢/٢١٤)

فيها فتن واضطرابات دفع هذا الخليفة ثمن استئصالها غالبا ، وهو حياته نفسها ، فانه غادر معسكره في الرقة بنفسه لقمع ثورة خطيرة مردها الى قسوة عامله الجديد وسوء سيرته في تلك الولايات الشرقية ، وكان ذلك سنة ١٩٣ وفيها وافى الرشيد أجله في خراسان .

لم يكن ذلك فحسب ، بل تلت الفتنة المذكورة سلسلة من الفتن اشهرها فتنة الامين والمأمون وهي فتنة كانت سياسة الفضل بن الربيع وصاحبه ابن ماهان من العوامل الفعالة في حدوثها كما قلنا ، ولنا ان نقول : ان سياسة هذين الرجلين كانت سياسة هدامة في كيان الخلافة العباسية . وهي السبب الاول في كل ماوقع من فساد وسفك دماء ودمار في فتنة الاخوين .

جريدة ابن ماهان على الرشيد :

لم تكن ولاية ابن ماهان على خراسان وماوراء النهر - وهي من اغنى اقطار الدولة العباسية كما قلنا - قصيرة الامد ، فانها تاهزت عشر سنوات ، وهي مدة غير قليلة رسخ فيها سلطان هذا الوالي وزادت مكنته ، ومن اجل ذلك حصلت له من هذه الولاية كما حصل لاهله واتباعه ثروة بالغة يخطئها الاحصاء .

حصل آل ماهان واتباعهم على اكثر هذه الثروة من وجوه غير مشروعة غالبا كالغصب والمصادرة والمظالم والرشا والهدايا وما الى ذلك ، ومجمل القول : نجا الوالي الجديد في سياسته نهجا يخالف نهج سلفه اذ كان هذا يميل الى الرفق وكان الوالي الجديد يميل الى الشدة في الجباية والعسف في اخذ الخراج ، وفي هذا السيل قتل صناديد خراسان وطراختها (١) وحمل اموالهم وكانت اموالا طائلة الى بغداد فاغتبط الرشيد بوصولها ظانا بأن عامله جبي تلك الولايات ونفوس اهلها طيبة ، ولم يعلم ان الامر على خلاف ماظن وان العامل ادهق الرعية واساء السيرة وخان الامانة ، علم ذلك بعد حين فاضلمت الدنيا في عين هذا الخليفة وثار على عامله المذكور ، وتتجلى ثورة الرشيد النفسية اذا لاحظنا نص رسالته الى العامل فانها رسالة منقطعة النظير في شدة اللهجة (٢) ومن هذه الرسالة يتضح ان ابن ماهان ماكان يصدر عن رأى الرشيد في كثير من اعماله بل كان نابذا لوصاياه .

(١) نقل ذلك الجهشيارى في كتاب الوزراء والكتاب (٢٢٨) .

(٢) تجد نص هذه الرسالة في تاريخ الطبرى (١٠/١٠٢-١٠٣) .

حوار في السياسة :

هذا على ان يحيى بن خالد البرمكى وهو والد الفضل المعزول استهجن بمحضر الرشيد سياسة الوالى الجديد فى محاوره جرت بينهما (١) ولم يطب له اغتباط الرشيد بحمل المال من الولايات الشرقية الى بغداد ، وكان من رأى البرامكة ان اصلاح المشرق يستدعى حمل المال الى تلك الولايات لانها فى ذلك الحين ، وقد ساق المؤرخون نص تلك المحاوره بين الرشيد ويحيى فى هذا الشأن ، ومما قاله الثانى للاول : ان هذا المال مهما كثر لا يكفى لرتق الفتوق ورأب الصدوع الناشئة عن السياسة الهوجاء سياسة ابن ماهان ، وكان الامر كما قال . فان سياسة الوالى افضت الى ثورة كبرى فى المشرق انفق الرشيد على قمعها ماجبى له من خراسان وغيره أضعافا مضاعفة .

يستغيثون بالخليفة :

طلب أعيان المشرق من عرب وعجم وترك غوثا عاجلا من الرشيد وشكوا اليه عسف ابن ماهان . فعنى بمطالب القوم ولم يسعه الا الخروج الى الرى لان نار الثورة كانت وشيكة الاندلاع فى تلك البلاد ، وفى حدوث هذه الثورة من ناحية المشرق ما فيه من الاساءة الى سمعة بنى العباس . فان خراسان مهد الدعوة وموئل الاولياء والانصار ، خرج الرشيد الى خراسان سنة ١٨٩ عازما على معاقبة عامله اذا أسفر التحقيق عما يستوجب ذلك ، بيد ان ماهان وافى الرشيد كما وافى ولده واهل بيته وقواده على قدر مراتبهم بهداياه ، وقوام هذه الهدايا طرائف خراسان من متاع وآنية الذهب والفضة وجواهر وسلاح ودواب ورقيق وثياب لم ير مثلها قط (٢) ، الى غير ذلك مما عظم قدره فى عين الرشيد ولم تصح عنده كل التهم المنسوبة الى عامله ، وبدا له ان هناك غلوا فى اسناد التهم الى ابن ماهان ، فرضى عنه وردده الى عمله واقره على سياسته ، بل خرج مشيعا له لما اراد الرجوع الى خراسان .

هذا كل ما فعله الرشيد بعامله بعد نزوله فى الرى اغاثه لرعاياه من سكان الولايات

(١) تجدد هذا الحوار أو المقارنة بين سياسة ابن ماهان وسياسة الفضل بن يحيى البرمكى فى كتاب الوزراء والكتاب (٢٢٨) وتاريخ الطبرى (٩٥/١٠ - ٩٦) ومنها يظهر ندم الرشيد على ثقته بابن ماهان .

(٢) تاريخ الطبرى (٩٦/١٠) والكمال (٧٦/٦) والنجوم الزاهرة (١٢٧/٢) .

الشرقية ، ولنا ان نعتبر ذلك ضعفا بالغاً في سياسة الخليفة ، ولا شك انه تأثر بأراء بعض قواده واصحابه الذين امتلأت ايديهم بالنفائس والجواهر الكريمة ، وقد لاحظ بعض المؤرخين هذه الناحية من نواحي الضعف في سياسة الرشيد وبطانته مع ابن ماهان ، ومنهم ابن تغرى بردى المؤرخ المشهور (١) .

عاد اهل الولايات الشرقية الى التذمر من سيرة عاملهم اكثر من الاول ، ووصلت الى الرشيد انباء جديدة عن عتو ابن ماهان وجبروته وتماديه في تحيف الرعية وجمع الاموال وأخذ الرشا ، وهى انباء اكيدة وافى الرشيد بها أناس يوثق بهم ، ولم يبق معها شك في خيانة هذا العامل ولؤمه ، ولذلك راح الرشيد يستشير اصحابه بمن يعزل به ابن ماهان من ذوى الكفايات . اذ ليس من السهل عزل مثل هذا الوالى الطاغية .

هرثمة بن أعين :

كان هرثمة بن أعين بن نصر بن المسيب الضبى من ذوى الاقدار فى دولة الرشيد ومن كبار قاداته الذين يدخرهم للأيام العصيبة والمهام الخطيرة ، ويدلنا تصفح سيرته انه بطل ممتاز قمع فتناً كثيرة فى عصر الرشيد . ولى مصر وتقلد أعمالاً جليلة فى افريقية والمغرب والقيروان والعراق وخراسان ، وهو بعد ذلك منقطع النظر فى جرأته وفى شعوره العميق بكرامته وفى اعتزازه بنفسه ، وقد قتله هذا الشعور الفياض فى خلافة المأمون (٢) - وكان من أكبر قواده - فى حصار بغداد والتغلب على اخيه الامين (٣) على هرثمة هذا وقع اختيار الرشيد لرتق الفتوق فى ثغور خراسان بعد ان اشتور فى الشخص الذى يعزل به عامله ابن ماهان ، وقد طلب الرشيد ان يستصفى اموال الرجل

(١) انظر ما قاله ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة (١٢٧/٢) . وهذا نصه : قلت : والله در القائل فى هذا المعنى :

بعثت فى حاجتى رسولا
ولو سواه بعثت فيها
يكنى « أبا درهم » فتمت
مانالت النفس ماتمت «

(٢) تجد نبذة من أخبار هرثمة فى كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري وفى تاريخ الطبرى (٦٨-٦٢/١٠) والكامل (٥٧-٥٥/٦) والمروج (٢١٧/٢) وكتاب الولاة والقضاة للكندى (١٣٦ ، ١٤٣) ومعجم البلدان (٣٤٧/١) و (٥٢٢/٣) و (٦٦١/٤) من طبعة لايبسك وراجع النجوم الزاهرة ٨٨/٢ - ٩٢ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٢٢٩ .

(٣) مروج الذهب (٢١٧/٢) .

وان ينصف المظلومين منه ومن اتباعه ويرد اليهم حقوقهم المهضومة (١) .
 حالف النجاح هرثمة في مهمته ، فتغلب على غريمه ابن ماهان وانفذ فيه وفي
 اصحابه أوامر الرشيد وتمكن من مصادرة امواله واموال اهله واتباعه كافة ، ويقال : انه
 صادر منهم ماحمولته الف وخمسماية جمل ، وقد تم ذلك كله دون ان تسفك قطرة دم ،
 ثم سير ابن ماهان نفسه على بعير بلا وطاء الى العراق (٢) وقد اكتفى الرشيد من عقوبة
 عامله المجرم بهذه الاهانة - وهي عقوبة خفيفة - ، والغالب ان ابن ماهان مدين بالابقاء
 على حياته الى صاحبه الفضل بن الربيع وزير الرشيد في بغداد . فان مستقبل البلاد يحمل
 في طياته فتنا اخرى لا يستغنى ابن الربيع في مواجهتها عن صاحبه المذكور .
 هذا وقد بقي على هرثمة - بعد ظفره بابن ماهان (٣) ان يعمل بأوامر الرشيد
 في قمع الثورة التي اعلنت في الشرق بسبب سوء ادارة العامل المذكور .
انتفاض المشرق على الرشيد :

لم يكن لاهل ماوراء النهر واهل خراسان بد من الانتفاض على ابن ماهان ،
 وكانت الثورة هينة في اول امرها لولا مساهمة البقية الباقية من أنصار الامويين وأشباعهم
 في المشرق بقسط لا يستهان به من الحركة ، فقد بقيت لنصر بن سيار آخر ولاية الامويين
 في خراسان ذرية واتباع يقودهم حفيده رافع بن الليث بن نصر ، وبذلك تطور الخلاف
 الى ثورة أموية على الخليفة العباسي لم يجد الرشيد بدا من النهوض لقمعها بنفسه من
 معسكره في الرقة .

اعلن رافع بن الليث ثورته ، ولا سبب لها في الظاهر الا مظالم عمال الرشيد
 وسوء سيرتهم ، حتى قيل : ان رافعا لم يخلع البيعة ولم يعلن الثورة خصومة لبني
 العباس وجنوحا الى بني أمية ، بل استنكارا لسيرة ابن ماهان الذي سامه وسام اتباعه
 ماسامهم من مكروه (٤) ، وما كان هذا المكروه الذي اشار اليه المؤرخون الا التفريق

(١) تأريخ الطبرى (١٠/١٠٧) .

(٢) الكامل (٦/٧٢) .

(٣) تجد طرفا من أخبار ابن ماهان في تاريخ الطبرى (١٠/١٠٠-١١١) ، وفي كتاب
 الوزراء والكتاب للجيشياري (١٦٧ ، ٢٠٥ ، ٢٢٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٩١ - ٢٩٤) ،
 والكامل (٦/٧٦ - ٧٨) ، والنجوم الزاهرة (٢/١٠٦ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ،
 ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٩٧) .

(٤) يراجع عن ذلك تاريخ الطبرى (١٠/١٠٣) .

بينه وبين امرأة كانت له بها صلة غير مشروعة ، وقد تم ذلك على يد ابن ماهان بشيء غير قليل من الفضيحة والتشهير ، ويعمل بعض المؤرخين خروج رافع بدافع من العاطفة القومية . فقد عظم عليه تحامل ابن ماهان على عرب خراسان واطهار الجور وسوء السيرة فيهم فأراد بحركته رفع الضيم عن قومه (١) ، ويفهم من بعض النصوص التاريخية أن ابن ماهان كان حقودا لايهون عليه تقدم العرب على غيرهم في الدولة العباسية ولكنه انحاز فيمن انحاز من العرب الى جانب الأيمن متأثرا بمصالحه الشخصية .

لا يخامرنا أدنى شك بما أصاب رافعا وغير رافع من المكروه على يد ابن ماهان ، كما لا يساورنا أدنى ريب بأن رافعا لم يكن خيرا من ابن ماهان ، وإذا صح مارواه المؤرخون جاز لنا ان نقول : بأن لصلته بالمرأة المذكورة شأننا في اعلان هذه الثورة (٢) .

والخلاصة: كانت هذه الحركة على جانب كبير من الخطر ، جمع لها رافع فلول الضالعين مع بنى امية من عرب وعجم واستولى على كثير من نواحي خراسان ، وطابقه على رأيه اهل ماوراء النهر ، وبسبب ثورته عزل ابن ماهان

ضيق هرثمة الخنق على رافع ، وكان الظفر حليفه في أكثر وقائعهم في سمرقند وبخارى ، ومنها واقعة اسر فيها اخ لرافع اسمه بشير وقعت سنة ١٩٣ ، وقد طال الحصار على رافع بسمرقند وضايقه قادة العباسيين حتى فتحت تلك البلاد وقتل رافع وجماعة من اهله ، وكان ذلك سنة ١٩٥ ، أى بعد وفاة الرشيد بسنتين .

أمير مصر يتهم بالخلاف

ولى مصر للرشيد موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن العباس ، وهو أمير مضي لوالده عيسى شأن خطير في تأريخ الدولة العباسية . اذ كانت رتبته تلى رتبة أبي جعفر المنصور في الدولة ، وقد بويع - أعنى والد الأمير - بولاية العهد غير مرة وخلع غير مرة في أحداث وأحوال عجيبة - كما ستراه عن قريب - ، وولى ابنه هذا اماراة مصر للرشيد فيما بين سنة (١٧١-١٨٠) ثلاث دفعات ، وليس له في أمراء بنى العباس على مصر نظير

(١) الأخبار الطوال لابی حنيفة الديوري (٣٦٩ - ٣٧٠) .

(٢) غمز المؤرخون رافعا بهذا بالفجور ، انظر في هذا الصدد رواية الطبرى في تاريخه (٩٨/١٠ - ١٠٨) ، وابن الاثير في الكامل (٧٨/٦) وابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة (١٣٢/٢) ، وفي هذا المصدر نبذ تاريخية عن رافع تجدها في الصفحات التالية (١٠١ ، ١٣٢ ، ١٤٢) .

من هذه الناحية ، بيد أن الأمير حدثه نفسه - على ما يقول المؤرخون - بالخلاف فعزله الرشيد بدون اشارة في الغالب الى كيفية ذلك الخلاف ، ويرد بعضهم عزله الى اتصال السعيات به وكثرة تظلم المصريين منه^(١) ، وقد استعمل المؤرخون عبارات مجملة او موجزة عن خلاف الأمير مثل قولهم : « عازم على الخلع » أو « عازم على الخلاف »^(٢) ، ولم ينسب اليه عمل غير ذلك ، وقد اعتبرت هذه العزيمة تهمة في ديوان الرشيد ولكنها لم تدعم بينة ، ومع ذلك عوقب موسى بال عزل ، فهو عقاب على مجرد النية ، ونية المرء غير عمله ، والدليل على ذلك أنه عاد بعد عزله مرة أخرى الى اماره مصر بأمر الرشيد نفسه^(٣) ، وكان بعض بنى العباس يعاقبون على التهمة قبل قيام البينة اذا بلغهم مثل هذا الخلاف ، وذلك لكثرة حوادث التمرد في تلك العصور .

من رأينا أن الشك في أخلاص هذا الأمير ناشئ عن نزاع قديم بين أبيه عيسى والمنصور ثم بينه وبين المهدي ، وهو نزاع معروف في التاريخ مداره حق عيسى المذكور في البيعة بعد عمه المنصور ثم بعد ابن عمه المهدي ، وقد شهد هذا الأمير مراحل ذلك النزاع الخطير ، وأوشكت الخصومة العنيفة في بعض المراحل المذكورة أن تعصف بحياة أبيه وحياة أبنائه وذويه ، ولكن الولد نجح في حمل والده على التسليم وحسم النزاع بدون أن تراق قطرة من دماء بنى العباس في هذا السبيل .

عيسى ولي عهد السفاح

عقد السفاح ولاية العهد قبل وفاته سنة ١٣٦ لاثنين من العباسيين . او لهما أخوه المنصور وثانيهما ولد أخيه عيسى بن موسى المشار اليه ، وقد أخذت البيعة للثاني وهو أمير على الكوفة ، ويبدو لنا من التأمل في تأريخ الطبقة الأولى من بنى العباس أن صلة عيسى ابن موسى بأعمامه كانت صلة وثيقة منذ فجر شبابه . فانه ترعرع في كنف أعمامه وهو يتيم في الحميمة . وصحبهم بعد ذلك في حلهم وترحالهم . وشاركهم في سرائرهم وضرائهم . صاحب أعمامه في رحلتهم من الحميمة الى الكوفة وفيهم السفاح والمنصور - بعد حبس

(١) الجهمشياري في كتاب الوزراء والكتاب (٢١٧) .

(٢) قف على هذه العبارات في تأريخ الطبرى (٦٠/١٠ - ٦١) والكامل (٥٠/٦)

والنجوم الزاهرة (٧٨/٢) .

(٣) راجع عن ولايته الثالثة لمصر النجوم الزاهرة (٩٨/٢) .

ابراهيم الامام في « حران » - ، وهي رحلة اهتز لها كيان الدولة الأموية . لأن القوم خرجوا متكئين خائفين الى أوليائهم وأنصار دعوتهم في الكوفة (١) . حيث ظهر أمرهم وخطب السفاح في الكوفيين وأخذت البيعة له في يوم مشهود .

يغامرون في طلب الحرية

وتعد هذه الحركة أو الرحلة - ومردّها الى طغيان الأمويين واضطهادهم للمهاشميين - من اشهر المغامرات الجريئة في التاريخ ، اذ ما عسى أن تصنع شردمة عدتها أقل من عشرين في قطر تسيطر عليه جيوش جراره للأمويين يقودها رؤساؤهم وكبار رجالهم ، فهذا مروان بن محمد يطل على العراق من « حران » ، وهذا ابن هبيرة (٢) أمير العراقيين من قبله يدافع عن واسط قلب العراق ، ولكنها الحرية يعشقها أقوام ، ومن عشق شيئاً غامر في سبيله ، ولكنه طلب السؤدد لامناص من المخاطرة فيه ، ومن طلب الحسنة لم يغله المهر .

غربة المغامرة

كانت حركة القوم من الحميمة يريدون الكوفة مدعاة للاستغراب ، استغرب القيام بها فريق من مشيخة بنى العباس انفسهم ، وفي مقدمتهم داود بن علي عم السفاح ، وفي هذا الباب يقول هذا الشيخ العباسي الكبير للسفاح : « يا أبا العباس تأتي الكوفة وشيخ بنى أمية مروان بن محمد بحران مظل على العراق في أهل الشام والجزيرة ، وشيخ العرب ابن هبيرة بالعراق » (٣) .

(١) راجع عن هذه الرحلة كتاب الوزراء والكتاب للجهمي (٨٥) ، وتجد أخبار الرحلة المذكورة من الحميمة الى الكوفة وأسبابها وأسماء من رحل فيها تاريخ الطبري (١٢٤/٩ - ١٢٥) ومروج الذهب (١٥٠/٢) وفي هذا المرجع تفصيل لا يوجد في غيره ، وراجع (١٩٥/٥) وانظر مادة « الشراة » في معجم البلدان .

(٢) أنظر عن أخبار يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري وحصاره بواسط كتاب الوزراء والكتاب للجهمي (٥٨/٩) والكمال (١٩١/٥ ، ٢٠٩) ووفيات الأعيان (١٨٥/١) ط باريس ، و (١٦٤/٢) ط مصر ، وقف على تسليم ابن هبيرة وقدمه على المنصور بأمان منه ومقتله بعد ذلك في كتاب الامامة والسياسة (١٣٨/٢ - ١٤٢) وانظر عن نسب ابن هبيرة وعن تاريخ المدينة العراقية التي تسمى قصر ابن هبيرة معجم البلدان (١٢٣/٤ - ١٢٤) .

(٣) قف على كلمة داود بن علي هذه لابن أخيه السفاح في تاريخ الطبري (١٢٧/٩ - ١٢٨) ، وفي المروج (١٥٠/٢) ، وفي الكامل (١٩٨/٥) ، ولاحظ الاختلاف في رواية النصوص وهو اختلاف يسير ، وفي النص المروي في المروج اغلاط ، ويعد داود بن علي هذا من رجالات بنى العباس الأول رحل في أواخر عصر بنى أمية الى دمشق غير مرة وولى الولايات الجليلة للسفاح ومات في السنة الأولى من دولة بنى العباس ، ويعد من أبلغ =

اوقفناك - فيما مر - على رأى داود بن على عم السفاح فى رحلة ابن أخيه ، ولننظر الآن الى رأى الزعيم الكوفى المسؤول عن القيام بالدعوة الهاشمية فى المشرق ، وهذا الزعيم هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال أول وزير للسفاح فى الكوفة ويقال له « وزير آل محمد »^(١) فانه لم يكتف خوفه ولا وجله على هؤلاء النفر المغامرين ، وقد جاهر بأن رحلتهم مبتسرة أو سابقة لأوانها ، وعشا حاول أبو سلمة ابقاءهم فى البادية ولكن من يضمن لهم الأمن فيها ، ومن يمنع جيوش الأمويين منهم اذا قصدتهم فى الصحراء ! وأخيرا لم يسعه الا الاذن لهم فى الدخول الى الكوفة على كره منه فان جيش العدو منهم غير بعيد ، وهذا الجيش مرابط بهيت ، وكم أبو سلمة أمر القوم شهرين فى الكوفة محتجا بالخوف ، ولا خوف يعتد به فى تلك الأيام^(٢) .

نقل البيعة الى العلويين

لم يكن ذلك رأيا من أبى سلمة وانما كان يتعلل بعلى مختلفة وينتحل أعذارا شتى قائلا للعباسيين ان امرهم لم يتم بعد وان بنى أمية فادرون على الحرب ، الى معاذير أخرى لاغنى له عن كسب الوقت فيها^(٣) ، وكان أبو سلمة فى هذه الفترة العvisية يسبر غور العباسيين ويوازن بينهم وبين العلويين اذ كانت فى عنقه بيعة لابراهيم بن محمد الامام ولكنه فى حل منها الآن لأن ابن ابراهيم بن محمد قد مات ، فهو يريد أن يخلص الى رأى قاطع بعقد البيعة من بعد ابراهيم كما خلس قبل ذلك الى رأى قاطع بشأن الدعوة فجعلها

= خطبائهم ، وهو الذى انقذ موقف ابن أخيه المذكور لما ارتج عليه على منبر الكوفة فوثب الى المنبر وارتجل خطبة بليغة تجد نصها فى تاريخ الطبرى (١٢٦/٩ - ١٢٧) ، وتجد بعض أخباره فى تاريخ بغداد للخطيب (٧٧/١) وفى معجم البلدان (٦٨٤/١) ط لا يمسك ، وراجع عن قصته فى خطابه المرتجل بالكوفة مروج الذهب (١٥١/٢) ، وفوات الوفيات للكتبى (١٩٦/١) والنجوم الزاهرة (٣٢١/١) ، وتجد نبذة من أخباره فى الصفحات الآتية من كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (٨٥ - ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٥) .

(١) قال ابن الطقطقى فى الآداب السلطانية ما نصه : « لقب أبو سلمة : وزير آل محمد ، وفى النفس أشياء » ويريد ابن الطقطقى أن يقول : ان هذا اللقب لا ينطبق على الحقيقة ، ولابن الطقطقى نزعتة المعروفة ، وهى نزعة علوية بحتة .

(٢) انظر كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (٨٤ - ٨٨) .

(٣) قف على بعض هذه العلل فى كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة (١٢٨/٢) .

للهاشميين عامة للعباسيين خاصة ، والظاهر ان أبا سلمة خلع الى ذلك الرأي فهو يريد نقل البيعة الى العلويين وهو يبعث الى ساداتهم المقيمين في المدينة بكتبه يعرض عليهم ذلك ، ولكن هذا الانحراف جاء متأخرا عن وقته فان البيعة عقدت للسفاح في الكوفة بأشراف أهل بيته وذويه وأنصاره ، وفي مقدمتهم عمه داود بن علي ، وكان أبو سلمة آخر من بايع نزولا على حكم الأمر الواقع واعتذر من أبي العباس (١) .

لم تخف محاولات أبي سلمة على أبي العباس وأخيه أبي جعفر فقتل في الكوفة ، ولم يقتل الا بعد استشارة أبي مسلم الخراساني ، فأبو مسلم شريك في مقتل أبي سلمة وزير السفاح بلا شك ، وقد شارك بمقتله وكان رأي من رأى داود بن علي - وهو من أهل الرأي والمشورة - (٢) ويروى ابن قتيبة ان السفاح أمر بصلب أبي سلمة بعد ذلك (٣) وهكذا قتل أول وزير لأول خليفة من العباسيين .

نجاح المغامرة

وعلى كل حال فان مغامرة العباسيين في الوصول الى الكوفة عبر بادية الشام تمت بنجاح ووصلت القافلة المخاطرة اليها بين مظاهر الحماس البالغ الذي غلب على شباب بني العباس وأنصار دعوتهم ، فكان عيسى بن موسى اذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة قال : « ان نفرا اربعة عشر رجلا خرجوا من ديارهم يطلبون ما طلبنا لعظمة همتهم كبيرة نفوسهم شديدة قلوبهم » (٤) .

المباشرة بالعمل

وعنى أبو العباس أول ما عنى به فور أخذ البيعة له وانفراده بالسلطة في الكوفة بعد

(١) قف على أخبار أبي سلمة ومحاولاته في صرف البيعة الى العلويين وتأخره عن بيعة السفاح ومقتله بسبب ذلك في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة (١٢٩/٢) وفي مروج الذهب (٥٠/٢) وفي كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (٩) والكمال (١٩٥/٥) ، وتجد له ترجمة مفصلة في كتاب الآداب السلطانية لابن الطقطقي (١١١ - ١١٣) .

(٢) انظر عن مشاركة أبي مسلم الخراساني في مقتل أبي سلمة برأى داود بن علي كتاب الامامة والسياسة (١٣١/٢) والكمال (٢٠٨/٥) .

(٣) كتاب الامامة والسياسة (١٣٢) ، ويراجع عن قتل عمال أبي سلمة بفارس الكامل (٢١١/٥ - ٢١٢) .

(٤) قف على كلمة عيسى بن موسى هذه في تأريخ الطبري (١٢٨/٩) وفي الكامل (١٢٨/٥) ، والكلمة في رواية السيوطي منسوبة الى عيسى بن علي عم السفاح ، والأول أرجح ، انظر تاريخ الحلفاء للسيوطي (١٠٠) .

يقتل أبي سلمة بتنظيم معسكره وتوزيع رفاقه على ميادين الحرب والثورة ، وكانت واسط محاصرة يدافع عنها يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراقيين من قبل مروان بن محمد ، ويشدد الحصار عليها الحسن بن قحطبه من أشهر قواد السفاح ، فانضم الأمير عيسى بن موسى الى هذا القائد بأمر السفاح ، وشارك في حصار واسط ، وهو أول عمل يقوم به عيسى بن موسى بعد إعلان الثورة على الأمويين في العراق ، ومما هو جدير بالذكر ان ابن هبيرة سلم واسط لابن قحطبه بعد قتال دام سنة تقريبا ، وسلم معه قواد جيشه ، وقدم على المنصور بآمان منه ثم قتل هو وقواد جيشه بعد ذلك ، وهو عمل يلام عليه السفاح وقد عده محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية وصمة في تأريخ الدولة العباسية (١) وولى عيسى بن موسى الكوفة بعد الفراغ من أمر واسط فحل محل داود بن علي الذي نقل الى ولاية المدينة في السنة الاولى من خلافة السفاح .

عيسى سند المنصور

كان عيسى وهو في عنفوان شبابه مستودع أسرار أبي العباس السفاح . وقد ائتمنه على وثيقة سجل فيها عقد الولاية لمن بعده ، وبموجب هذه الوثيقة أخذت البيعة للمنصور ، أخذها له في الحجاز حاجبه الربيع بن يونس ، وأخذها - وكان حاجا - في العراق عيسى بن أخيه هذا ، وكتب بذلك الى الأمصار وقام بأمر الناس (٢) ، ثم شرع في ضبط الدواوين وحفظ الخزائن والأموال حتى تسلمها المنصور ، ولنا أن نقول : ان أبا جعفر المنصور مدين - الى حد ما - بيعته واستقراره في دست الخلافة خلال هذه الفترة لابن أخيه عيسى بن موسى ، وكان أميرا على الكوفة من عهد السفاح الى أيام المنصور ولا تقل مدة امارته عليها عن ثلاث عشرة سنة ، ثم صار واليا على المدينة ، وتتضارب الروايات بشأن موقف عيسى بن موسى هذا بعد موت أبي العباس السفاح في الأتبار وقبل مجيء ولي عهده المنصور من مكة ، ومرد هذا الاضطراب في الروايات الى سقم الأصول وكثرة الأغلاط فيها (٣) .

- (١) تجد تفصيل محاصرة ابن هبيرة في واسط وما جرى عليه بعد ذلك في الكامل (٢٠٩/٥ - ٢١١) .
 (٢) قف على كيفية أخذ البيعة للمنصور على يد عيسى بن موسى في تأريخ الطبري (١٥٤-١٥٥) ، وفي الكامل (٢١٩/٥ - ٢٢٠) .
 (٣) انظر رواية ابن قتيبة في كتاب الامامة والسياسة (١٤٤/٢ - ١٤٥) ورواية أبي حنيفة الدينوري في كتاب الأخبار الطوال (٣٥٨) .

مات السفاح وبويع أخوه المنصور وعيسى بن موسى ابن أخيهما على ولاية الكوفة ، وقد كثرت الفتوق والاحداث في السنوات العشر الاولى من خلافة المنصور ، ومن أشهرها خروج محمد بن عبدالله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية في الحجاز ، ثم خروج أخيه ابراهيم في العراق ، وقد عظمت شوكة ابراهيم هذا ، وانضم اليه وهو يطلب بثار أخيه جل أهل العراق ، وارجف المرجفون بمصير الدولة العباسية الناشئة في العراق ، وضويق المنصور - وهو في معسكره بالكوفة - مضايقة شديدة ، وكان هذا المعسكر محاطا بما لا يقل عن مائة الف من انصار العلويين يتربصون الدائرة بالمنصور حتى تحدث المتحدثون بخروجه من العراق الى بلاد فارس ، وقد حفظت لنا كتب التاريخ مراسلات دارت بينه - أي بين ابي جعفر المنصور - وبين العلوي الثائر في الحجاز ، وتعد من عيون الرسائل ، ومن محاسن الكتب في معناها وهو لا يخرج عن الآداب والتأريخ والانساب (١) والواقع ان ثورة محمد بن عبدالله من اخطر الثورات التي واجهها المنصور ، وقد اضطرب لها جدا ، ولم يبق احد من أهل الرأي الا اشتشاره في كيفية التغلب على الثائرين (٢) .

في هذه الفتوق وما اليها ندب المنصور ابن أخيه هذا الى قتال العلويين الثائرين في الحجاز وفي العراق بعد ذلك ، وقدر لعيسى ان يتغلب على الاخوين محمد و ابراهيم بعد معارك طاحنة تجلى فيها اخلاص هذا الأمير لعمه وللدولة العباسية .

كم الافواه ومناهضة المعارضة

وركن عمال بنى العباس وولاتهم - وفي مقدمتهم عيسى هذا والى الكوفة ، وجعفر ابن سليمان بن على والى المدينة - الى الشدة المتناهية في مناهضة المعارضين لاساليبهم في قمع تلك الثورات فحاول الأول ان يفتك بابى حنيفة في الكوفة لمجاهرته بأرائه في الخلاف ثم اشخصه منها الى بغداد ، وفعل الثاني ما فعل بفريق من فقهاء المدينة ، وفي مقدمتهم مالك ابن أنس . بيد ان اخلاص هذين الأميرين كان وخيم العاقبة عليهما فعزلا واوديا ايذاء شديدا بعد ذلك ، حرم جعفر بن سليمان من مال طائل جاءه عن طريق الأثر (٣)

- (١) قف على هذه الرسائل في تأريخ الطبرى (٢١٠/٩ - ٢١٣) .
 (٢) انظر كيف اشتور المنصور في التغلب على محمد بن عبدالله تأريخ الطبرى (٢١٦-٢١٧) ومروج الذهب (١٦٩/٢-١٧٠) .
 (٣) قف على حزم الرشيد ويقتضه في هذه المصادرة في الكامل (٤٨/٦) والنجوم الزاهرة (٧٤-٧٣/٢) وانظر أيضا تأريخ الطبرى (٥٦-٥٢) .

وخلع الثاني من ولاية العهد ، قال السيوطي وهو يذكر المنصور " كان عيسى هو الذي حارب الاخوين فظفر بهما فكافاه بأن خلعه مكرها وعهد الى ولده المهدي " (١) .

اثارت سياسة المنصور في شدتها وصرامتها ، وأثار اسراف قادته وعماله في سفك الدماء سخط جمهرة من اعلام عصره ما في ذلك من شك حتى تعرض من تعرض منهم الى صنوف من الأذى والمحن ، ويقول لنا السيوطي في هذا الصدد « آذى المنصور خلقا من العلماء ممن خرج معهما - أي محمد و ابراهيم - أو أمر بالخروج قتلا وضربا وغير ذلك ، منهم أبو حنيفة وعبد الحميد بن جعفر وابن عجلان » (٢) .

أجمعت كلمة المؤرخين على أن عهد المنصور كان عهد مخنة لهؤلاء العلويين ولا نصارهم من أهل الفقه والعلم على اختلاف مذاهبهم - كما رأيت في قول السيوطي - ، ولكن هؤلاء المؤرخين وبعض المحدثين والمؤلفين اختلفوا في ماهية الأسباب ، منهم من يجعلها أسبابا سياسية ومنهم من يردها الى غير ذلك .

معركة بين النظر

ودارت معركة حامية الوطيس بين النظر في هذا الشأن تضاربت فيها وجهات النظر فمنهم من ينفي عنهم الخوض في السياسة وينفي الروايات والأخبار المشعرة بصدور فتوى صريحة أفتاها هؤلاء الفقهاء بجواز الخروج على المنصور مع من خرج عليه من العلويين والسادات أو في جواز التحلل من بيعته . لما في الخروج على السلطان من المفساد - وان كان السلطان جائرا - فهو الذي يحمي الثغور ويحفظ السبل ويقيم الشعائر ، والخروج عليه ينافي أصولا معروفة في العقائد على ما يدعون ، فهؤلاء يقولون : ان مالكا ما كان يخوض في السياسة ولا كان يحرض على السلطان ، وأنه لزم بيته في النزاع بين المنصور والعلويين ، أي انه كان على الحياد ، ولم يقصد بفتواه في يمين المكره وفي طلاق المكره الدعوة الى التحلل من بيعة المنصور ، وان حملت هذه الدعوى على ذلك واحتج بها عامل المدينة على ضربه في محنته المعروفة ، أما أبو حنيفة فانه - على أصح الأقوال - أشد واعنف من صاحبه لم يتردد في الجهر بالخلاف ، كما ستقف عليه مفصلا بعد قليل .

العامل السياسي في النزاع

لا يجوز فيما نرى اغفال العامل السياسي قط فيما نحن فيه ، ولا يصح تجاهل

(١) تأريخ الخلفاء للسيوطي ١٠٢ .

(٢) تأريخ الخلفاء للسيوطي (١٠٢) .

روح العصر الذى عاش فيه اولئك الفقهاء الاعيان من حجازيين وعراقيين ، وهذا العصر العصب عبارة عن الفترة الواقعة بين أواخر الدولة الاموية واوائل العباسية ، وفيها ساءت الاحوال السياسية وتتابعت الفتن واستشرى الشقاق ، وهى بعد ذلك فترة يتناقل المحدثون من ابنائها عن آباءهم أو يروون عن اجدادهم وقائع الطف والحرة واستباحة الحرمين ، وفتنة ابن الزبير والثورات القبلية بين عرب الشمال وعرب الجنوب وغير ذلك من الوقائع التى استبيحت فيها كثير من المحارم ، وانتهكت الحرمات ، وفى هذه العصور انقلبت الخلافة الراشدة الى ملك عضوض ، تقطعت بسببه الارحام وسفك الدم الحرام ، فلا غرو اذا راينا كثيرا من فقهاء هذا العصر وأئمة ناقلين على الدولة ، ساخطين على الساسة والحكام ، نافرين من تقلد الأعمال العامة فى تلك الايام .

جعفر بن محمد ، وأبو جعفر :

تروى أخبار الامام الصادق جعفر بن محمد^(١) مع أبى جعفر المنصور بكثرة فى كتب الحديث وفى الكتب المعنية بسيرة أهل البيت ، ويلاحظ أن كتب التاريخ المشهورة كتاريخ الطبرى ومروج الذهب والكامل وتواريخ الخلفاء العباسيين خلت من الاشارة الى اخباره فى هذه المحنة الا نادرا مع أنه أنه السلالة العلوية ذكرا فى عصره بالمدينة ، عاصر المنصور فى السنوات العشر الأولى من ملكه ، وقد أجمعت كلمة المؤرخين والمحدثين على رواية مالك وأبى حنيفة وتحملهما عنه ، عاش أبو حنيفة من بعده مدة وعاش مالك أكثر من عشرين سنة ، وكلاهما تحمل عنه فى المدينة فأما أبو حنيفة فانه كان نزيل المدينة هاجر اليها من العراق مضطهدا من قبل ابن هبيرة عامل بنى أمية على الكوفة ، وأما مالك فانه - كما لا يخفى - من أهل المدينة .

(١) قف على اخباره مع المنصور فى الكتب الآتية : أمالى الشيخ الطوسى ، الغرر للوطواط (٢٦٢) ، تذكرة ابن حمدون ، معالم العترة للجنابنى ، مطالب السؤل لمحمد بن طلحة ، مناقب ابن شهر آشوب ، مهج الدعوات لرضى الدين بن طاووس ، عمدة الطالب لابن عنبه ، الارشاد للشيخ المفيد (٢٥٠ - ٢٥١) ط طهران ، أصول الكافى للكلينى (٣٥٨-٣٦٠) ط تبريز ، أعلام الورى للطبرى (١٦٢) ، صفوة الصفوة لابن الجوزى ط حيدر آباد (٩٦/٢-٩٧) كشف الغمة لعلى بن عيسى الاربلى (٢٢٣-٢٢٨) ، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى (٣٥٣-٣٥٤) ، الفصول المهمة لابن الصباغ (٢٠٦-٢٠٩) ، عين الأدب والسياسة لابن هذيل (١٨٢) ، بحار الأنوار للمجلسى (١١) .

لم يقل لنا أحد من المؤرخين ان جعفر بن محمد حبس أو أودى في المحنة - كما ضرب أو حبس غيره بأمر من المنصور أو من عامله على المدينة - ، وليس معنى هذا السكوت من المؤرخين في الغالب أن الامام سلم من المحنة مطلقا ، والحق أن موقفه كان غاية في الدقة بين العلويين الذين يطالبون بحقهم ويحاولون درأ المظالم عنهم وبين العباسيين الذين انقادت لهم الأمور في العراق وخراسان ، أي ان محنته كانت من نوع آخر فانه عاش عيشة مشوبة بالكدر منغصة بالوعيد والتهديد محاطة بالعيون والجواسيس (١) في عصر أبي العباس السفاح وعصر أخيه أبي جعفر المنصور ، وقد عانى من بعض الولاة والأمرء العباسيين في عصر السفاح ما عانى من الأذى والكيد . لان الوشائات اليه كانت أسرع من السيل الى المنحدر . وستطلع على أسباب ذلك .

أمير المدينة في دولة السفاح :

بالغ الأمير داود بن علي عم السفاح وواليه على المدينة في اضطهاد الطالبين المقيمين فيها ، ومرد هذا الاضطهاد الى شعوره بأن هناك وثبة لا بد من قيام الطالبين بها على الدولة العباسية (٢) ، فكان يلاحق أتباع العلويين وأنصارهم ويضايقهم ، وفي أيامه وبأمر منه قتل « المعلى بن خنيس » من أتباع جعفر بن محمد وصودرت أمواله ، وفي سبب قتله أقوال منها : أن المعلى المذكور امتنع من رفع قائمة باسماء شركائه في رأيه فقتله « السيرافي » صاحب شرطة الأمير والى المدينة في قصة تدل على تفاني المعلى في طاعة الامام المذكور وفي اخلاصه له (٣) ورد بعضهم قتله لقيامه بالدعوة لمحمد بن عبدالله

(١) انظر حديثا في هذا الباب نقله ابن قاسم العاملي في كتاب « الاثنا عشرية في المواعظ العديدة » .

(٢) قف على سيرة هذا الوالى وارهاقه للطالبين في المقاتل لأبى الفرج (٢١١) ، (٢٤٧) ط. القاهرة ، وقد ترجم له الذهبي في ميزان الاعتدال (٢٢١/١) ونقل بعض الأقوال في سيرته وأنه ليس حجة في الرواية ، وراجع أيضا ذيل الصفحة (٥٩ - ٦٠) من هذا الكتاب ، والمفهوم ان السفاح ولى عمه المذكور جزيرة العرب برمتها ويدخل في ذلك الحجاز واليمن ونجد أو اليمامة واتخذ من مكة قاعدة لهذه الامارة ، راجع شفاء الغرام في اخبار البلد الحرام للفاسي (١٨١) ط لايبسك .

(٣) ترجم له الكشي في كتاب أخبار الرجال (٢٤١ - ٢٤٢) ط بمبى وذكر قصته مع داود بن علي وضعفه النجاشي وابن الغضائري بسند ان الشيخ الطوسي أثنى عليه في كتاب الغيبة ، وفي الفهرست (١٦٥) ط النجف كلمة ميمجلة عنه ، وتجد له ترجمة =

النفس الزكية^(١) .

كان لهذه الحادثة أسوأ الأثر في نفس جعفر بن محمد ، وقد رأى في هذا الاعتداء اعتداء على حقه وحرباً معلنة عليه ، يدل على ذلك عنف الاحتجاج الذي احتج به على الأمير والتهديد الذي هدد به ، فقد أجمعت روايات الباحثين في سيرته أنه مشى الى ديوان الأمير وهو محنق على خلاف عادته وألقى خطاباً موجزاً قال فيه : « قتل مولاي وأخذت مالي أما علمت ان الرجل ينام على الشكل ولا ينام على الحرب ! »^(٢) ، وقد جرى اثر الخطاب أخذ ورد - بين الأمام والأمير - لا يخلوان من العنف ، ولكن الأمير حاول التوصل وحالة التقصير على صاحب شرطته فكانت الحجة واهية ولم يكن للأمير مهرب من القود ، فأمر بقتل « السيرافي » ولما أخذ ليقتل صرخ قائلاً « يأمروني بقتل الناس فأقتلهم لهم ثم يأمرون بقتلي »^(٣) ، وهي كلمة تدل على ان القاتل كان مأموراً بازهاق روح « المعلى بن خنيس » وانه امتثل أمر الأمير داود بذلك ، فيالها من كلمة تدل على منتهى الشعور بسوء المنقلب وبأنه - اعنى السيرافي - اطاع المخلوق بمعصية الخالق ويا له من اسراف في سفك الدماء واستخفاف بحرمة الارواح .

هذا وفي كتب أصحاب السير أقوال مضطربة في تأريخ هذه الحادثة ، قيل : انها رقت في خلافة المنصور - وهذا مستحيل - ، والصحيح أنها وقعت في عصر سلفه أبي العباس السفاح ، فقد أجمعت كلمة المؤرخين على ان داود بن علي مات في خلافة ابن أخيه السفاح بعد الحادثة المذكورة بقليل ، ومرد هذه الأوهام في كتب أصحاب السير والمؤرخين الى سقم الأصول ، وقد تكون من أوهام المؤلفين المتأخرين .

= في الخلاصة للعلامة الحلي (١١٧) ط طهران ، وقد لخص صاحب الخلاصة أقوال القادحين والمادحين فيه ، وتروى قصته في كتاب الارشاد للشيخ المفيد (٢٥٣) ، وفي كتاب أعلام الوري للطبرسي (٢٦١ - ٢٦٢) ، وفي مهج الدعوات لابن طاووس ، وفي كشف الغمة للاربلي (٢٢٧) ، وفي خاتمة مستدرك الوسائل للمحدث النوري فصل مشبع في المعلى المذكور مال النوري في آخره الى رأى القائلين بعِدالته ، راجع المستدرك (٦٨٩-٦٨١/٣) . وممن ترجم له الاستربادي في مجمع الاقوال (٣٣٧-٣٣٨) ، والعامل في الوسائل (٥٥٩/٣) .

(١) هذا هو قول ابن الغضائري على ما نقله العلامة الحلي في كتابه « خلاصة الاقوال في معرفة الرجال » (١٢٧) .

(٢) رويت هذه الكلمة في جملة من كتب الحديث والسيرة ، ويراجع عنها كشف الغمة للاربلي (٢٢٧) .

(٣) انظر عن السيرافي هذا اصول الكافي (١٢٨) .

المنهج المرسوم :

عانى جعفر بن محمد كثيرا في سبيل ازالة المخاوف والاثهام التي ساورت السلطان بشأن خطته أو منهجه المرسوم ، فهو زعيم بيت ناهض دولاً وناهضته دول وأقلق حكاما وشردهم حكام وفنى من فنى من رجاله وشبابه في ميادين القراع ، فاذا قيل : ان جعفر بن محمد موتور وجد من يقبل ذلك ، واذا قيل : انه يهم بالانتقام والخلاف لم يستكثر ذلك عليه فكان هدفا للسعاة والوشاة غير انه - والحق يقال - ما كان في هذا الدور من أدوار حياته معنيا بطلب الثأر ولا منظويا على الانتقام ولم يكن له منهج مرسوم غير أحياء السنن ونشر المعارف والآثار .

لذلك عني بحسم مادة تلك المخاوف والاثهام التي ساورت أمراء بني العباس وخامرتهم بشأنه ، فقاطع فريقا من خصومهم المنابذين لهم سواء أكانوا خصوما في السياسة أم في غيرها ، قاطع طبقة معروفة من الأعلام في الحديث والرواية لأنها طبقة غير مرغوب فيها من قبل السلطان ، ويلاحظ أن الجفاء كان شايعا جدا بين أمراء الدولة العباسية وهذه الطبقة من النساك بل كان يتبرم باتصال من يتصل به منهم وينهاهم عن غشيان مجلسه لعلهم بأن ذلك يزعج الحكم ويثير هواجسهم وهو يريد اتقاء شرهم على كل حال ، تدلنا على ذلك قصته المعروفة مع سفيان الثوري - ولا تخفى منزلة سفيان في الحديث والرواية - فانه دخل على جعفر بن محمد فقال له : « أنت رجل يطلبك السلطان وانا رجل أتقى السلطان قم فاخرج غير مطرود » (١) .

(١) حكاها ابن الجوزي في صفوة الصفوة (٢/٩٥) ، والحديث منقول في كشف الغمة ، وللثوري ترجمة مبسوبة في تأريخ بغداد للخطيب (٩/١٥١ - ١٧٤) وفي صفوة الصفوة لابن الجوزي (٣/٨٢-٨٧) ، وفي وفيات الاعيان (١/٢١٠) ، وخلاصة ما قاله أصحاب السير أن ابا عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي من اعلام أهل الكوفة في الحديث دخل بغداد عدة مرات وبلغ المنصور والمهدى عن الثوري اشياء من قبيل الانحراف عن الدولة العباسية والطعن في أمرائها حتى امتنع عن ولاية القضاء فجدد السلطان في طلبه وجد هو في الاختفاء وقيل : ان المنصور أمر بصلبه ، وله قصة مع عبدالصمد بن علي عم المنصور ، وخلاصة القول كان مطلوباً للسلطان في خلافة المنصور وابنه المهدي الى ان مات متواريا في البصرة سنة ١٦١ .

تحكى عن الثوري أقوال في الحث على الوحدة والعزلة من ذلك قوله « هذا اوان السكوت ، وملازمة البيوت » وقد نسج على منوال غير واحد من نساك عصره في الإنكار على الأمراء والخلفاء ومواجهتهم بالغليظ من الكلام ويعدون ذلك أصلا من اصول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد عقد الغزالي في كتابه احياء العلوم بابا نقل فيه كلام القوم في هذا الشأن وهو منقول في شرح نهج البلاغة لابن أبي الجديد .

اتصال الوشائيات :

هذا ولم تنقطع السعايات والوشائيات بجعفر بن محمد ، وأكثرها يدور على اتصاله بأنصاره وأوليائه في الحجاز وفي العراق وخراسان وانهم كانوا يحملون زكاة أموالهم إليه ، وقد وضعت على لسانه كتب إلى هؤلاء الانصار يدعون فيها إلى خلع الخلفاء العباسيين ، بيد أن المنصور لم يعبأ بكثير من هذه السعايات ، وهكذا سلم أبو عبدالله من القتل ونجا من الحبس ولم يرتكب منه ما ارتكب من بعض أعلام المدينة والعراق في عصر المنصور . ويميل بعضهم إلى تعليل هذه البادرة بادرة المحاسنة والرفق من قبل المنصور وقلة اكترائه بتلك السعايات بعلل لا يخلو بعضها من المبالغة ، وقد يستندون في ذلك إلى روايات لا يصبر أكثرها على النقد والتمحيص .

كان الخطر محققا بجعفر بن محمد - ما في ذلك شك - ولكنه سلم على كل حال ، وكانت سلامته في الواقع وسلامة كثير من أهل بيته وأصحابه اعجوبة في المحنة المذكورة ، ولم يسلم إلا بشق النفس وبوطنيتها على كثير من التحرز والتوقي ، يدل على ذلك حديثه المشهور بل كلمته الحكيمة البليغة : « عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها ، فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الحمول ، فإن طلبت في الحمول فلم توجد فيوشك أن تكون في التخلي - وليس كالحمول - فإن طلبت في التخلي فلم توجد فيوشك أن تكون في الصمت - وليس كالتخلي - فإن طلبت في الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح ، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشتغل بها »^(١) ، وقوله : « أقلل من معرفة الناس وانكر من عرفت منهم وإن كان لك مائة صديق فاطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر »^(٢) ، ومن أقواله في العزلة : « إذا امكنتك إلا تعرف فافعل » ، ومرد سلامته - فيما نرى - إلى منهجه السلمى البحت البعيد عن العنف في معارضة المنصور وإلى أخذ نفسه بالقصد والحذر الشديد والاحتياط التام ، يدل على ذلك رده للأموال ورفضه للرسائل التي أمر المنصور بكتابتها إليه وإلى غيره من العلويين على لسان أنصارهم وأوليائهم في العراق وخراسان لتكون حجة بيد المنصور

(١) قف على رواية سفيان الثوري لهذا الحديث في كشف الغمة للاريلي (٢٢٣) ، وفي صفوة الصفوة لأبي الفرج ابن الجوزي (٩٦/٢ - ٩٧) ولاحظ الاختلاف في رواية النص . وقد عبر بهذه الكلمة عن محنته ومحنة أصحابه في صدر الدولة العباسية .

(٢) حكاة الطواط في الغرر (٢٩٣) .

عليهم ، وهو من هذه الناحية منقطع النظير بين العلويين (١) .

كان المنصور أخبر العباسيين قاطبة بموقف جعفر بن محمد وأكثرهم اطلاعا على منهجه السياسي ، وتروى له مع المنصور أخبار غير قليلة ، وفي رواية لابن طاووس ان المنصور استدعاه سبع مرات (٢) ، ولا تخلو بعض هذه الاخبار من التناقض فبينما نرى المنصور في منتهى العنف والشدة مع أبي عبد الله اذ تراه في غاية اللطف والرفقة ، بيد انه على كل حال كان يدافع عن سكان دار الهجرة - بلده ومسقط رأسه - وعن كرامة أبنائها ومصالحهم العامة كلما رأى ما يدعو الى ذلك في ديوان المنصور وفي اندية امراء الدولة ، يظهر ذلك من احتجاجه على الربيع بن يونس حاجب المنصور لما قدم الوافدين من أهل مكة على الوافدين من أهل المدينة زاعما ان مكة هي « العش » فأجابه جعفر بن محمد قائلا : « أجل ولكنه عش طار خياره وبقي شراره » (٣) .

لقى المنصور جعفر بن محمد واتصل به مرارا ، بعضها في عصر بني أمية وبعضها في عصر بني العباس ، وضمتهما محافل عدة غنى الهاشميون بعقدها للمداولة في كيفية التخلص من حكم بني أمية ، وفي بعض هذه المحافل كان الامام يجاهر بآرائه في انتقال الدولة وصيرورتها الى بني العباس ويخالف المتطلعين اليها من بني عمه الحسن وينهاهم عنها بمحضر من بني العباس ، ومن الواضح ان لعبد الله ولولديه محمد وابراهيم آراءهم في الامامة وفي الخلافة وما الى ذلك ، وهي تختلف عن المتعالم المعروف من آراء جعفر بن محمد ، ولا تخلو بعض كتب الحديث والسير من الاشارة الى هذا الاختلاف والى أنه بلغ حد المشادة في بعض الاحيان (٤) .

(١) يراجع عن ذلك أصول الكافي للكليني (٢٦٠) .

(٢) قف على ذلك في مهج الدعوات لرضي الدين بن طاووس ، وبعض هذه الروايات المحكية في كتب أهل الحديث تحتاج الى تمحيص ، وبعضها على ما يبدو لنا من اخباره مع السفاح لا مع المنصور أو معه ولكن قبل أن يلي الخلافة .

(٣) الكشف للاربلي ص (٢٣٩) .

(٤) انظر عن ذلك كتاب أعلام الوري للطبرسي (١٦٦-١٦٣) وراجع مستدرک الوسائل للمحدث النوري (٦٨٧-٦٨٦/٣) فقد حكى مؤلفه طرفا من هذا الخلاف وراجع ذيل الصفحة الآتية فقد سميناه فيها أوفى المراجع المعنية بالاشارة الى الخلاف المذكور .

الرياسة بين الهاشميين :

عنى بنو هاشم فى أواخر الدولة المروانية بالمداولة فيما يعانونه من عسف امراء الدولة المذكورة وفى سأم الناس من سياستهم وانحرافهم عنهم فى اجتماعات عدة عقدها الهاشميون سرا فى الحجاز ، وشهدها اعيان القوم علويوهم وعباسيوهم ، شهدها جعفر بن محمد وعبدالله بن الحسن وابناء محمد وابراهيم من العلويين ، وشهدها أبو العباس السفاح وأخوه أبو جعفر المنصور وعماهما صالح وعبدالصمد ابنا على وغيرهم من العباسيين ، وكان نصب الرئيس واختيار الامام من أهم الموضوعات التى دار عليها البحث فى المحافل المذكورة ، واختير للرياسة فيها محمد بن عبدالله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية .

بايع الهاشميون محمد بن عبدالله الا الامام جعفر بن محمد فانه اعترض على هذه البيعة معلنا أنها سابقة لاوانها وأن هذا الامر لا يتم لبنى الحسن وأن الدنيا مواتية لبنى العباس دون غيرهم من الهاشميين ، فلا فائدة من منازعتهم فى ذلك ، وكان الامر كما قال (١) .

قال أبو الفرج الاصفهاني (٢) وهو يذكر محمد بن عبدالله بن الحسن ما هذا نصه : « بايعه رجال من بنى هاشم جميعا ثم ظهر من جعفر بن محمد قول فى انه لا يملك وان الملك يكون فى بنى العباس فاتنبهوا من ذلك لامر لم يكونوا يطمعون فيه » ، وتروى عنه أحاديث غير هذه فى الاعتراض على البيعة المذكورة (٣) .

(١) تروى أخبار هذه الاجتماعات فى كتب السير والاخبار والحديث ، ويراجع عنها تاريخ الطبرى (١٨٠/٩) ومقاتل الطالبين لأبى الفرج (٢٠٦ - ٢٠٨ ، ٢٥٣ - ٣٥٧) والارشاد للشيخ المفيد (٢٥٣ - ٢٥٤) ونقلها عنه على بن عيسى الاربلى فى كشف الغمة (٢٢٨) وأعلام الورى للطبرسى (١٦٢ - ١٦٣) ، ومن أشار إليها ابن الأثير فى الكامل (٢٤٣/٥) ورواها ابن الطقطقى فى الآداب السلطانية (١١٩ - ١٢٠) ط الجمالية ، وكانت هذه الاجتماعات تعقد للمداولة فى عقد البيعة لرجل منهم ، وقد أجمعت كلمتهم على امتناع جعفر بن محمد عن البيعة ونهيه عن عقدها ، وقد أشاروا الى أسباب ذلك والى الحوار الذى دار بينه وبين عبدالله بن الحسن فى هذا الشأن ، ولاحظ الاختلاف فى نصوص الروايات .

(٢) مقاتل الطالبين (٢٣٣) ط القاهرة .

(٣) قف على بعضها فى كشف الغمة للاربلى (٢٢٧ - ٢٢٨) وانظر كتاب الاحتجاج للطبرسى .

تكملة القوى :

نهى جعفر بن محمد قومه عن عقد هذه البيعة، فهو يعلم ان هؤلاء العلويين متفرقون، وأكثرهم في الحجاز، والحجاز يومئذ من توابع العراق، وليس في العراق - حيث استخلصه العباسيون المغامرون، وحيث بويغ أبو العباس السفاح - عدد يعتقد به من العلويين المذكورين، ثم ان هؤلاء العلويين من بنى الحسن لم يشاركوا في حرب مروان بن محمد وفي الظفر به ولم يساهموا في انتزاع الجزيرة والشام وفلسطين ولا في انتزاع مصر والمغرب من الامويين، هذا في الغرب، ويقال مثل هذا عن الشرق، أى أن الدولة العباسية هي الدولة القائمة الغالبة في الشرق والغرب وان قامت باسم بنى هاشم وباسم آل محمد، ثم ان العلويين في المدينة منشقون منقسمون على انفسهم، ففيهم من يضلع مع العباسيين حتى لقد ذهب بعض هؤلاء العلويين الى تأييد المنصور ومعاونته الى أبعد حدود المعاونة في النكاية باخوانه والانضمام الى صفوف بنى العباس مثل الحسن بن زيد بن الحسن، وقد ولى المدينة للمنصور^(١)، ويقال: انه كان شديدا على العلويين وعلى جعفر بن محمد خاصة^(٢)، ويحكى انه قال للمنصور: « ما آمن وثوب محمد بن عبدالله عليك »، ومما لاشك فيه ان للمنصور فحل بنى العباس يدا في هذا الانشقاق، ومن ذلك نعلم ان توازن القوى في هذا الكفاح المرير بين بنى الحسن وبنى العباس مفقودا بالمرّة.

الى هذه الناحية من نواحي الضعف الظاهر في بنى الحسن كان يشير الامام جعفر بن محمد في بعض نصايحه لبعض أبناء عمه والى ذلك - فيما نرى - مرد مناهضته لرأى من يرى الخروج منهم بالسيف على دولة بنى العباس، والى ذلك أيضا مرد معارضته لبيعة محمد بن عبدالله النفس الزكية.

ليست هذه أول مرة ينصح فيها الامام أبناء عمه الحسن ويشفق عليهم من التطلع الى الملك ويريدهم على العدول عن تلك الامانى، فانه لم يأل العلويين نصحا في التجافى

(١) قف على ذلك في مقاتل الطالبين (٢١٠) ط القاهرة، وراجع عن الحسن بن زيد هذا تاريخ بغداد للخطيب (٣٠٩/٧)، وطبقات ابن سعد (٢٣٤) وميزان الاعتدال للذهبي (١ : ٢٢٨) قال الذهبي ولى المدينة للمنصور خمس سنين، وراجع عن اختلاف كلمة بعض الطالبين والعلويين حتى قتل من قتل منهم بسبب ذلك الكامل (٢٥١/٥).

(٢) راجع عن ذلك كتاب أصول الكافي للشيخ أبي جعفر الكليني (٢٥٨) ط تبريز

عن شؤون الدولة في عصره والأعراض عن سفك الدماء في سبيلها، ففي طلب العلم والاحكام
وفي تحصيل الاثر وبثهما في الدنيا ما يشغلهم عن ذلك ، ثم ان دنيا بنى العباس
ودولتهم مقبلتان قأى جدوى في مقارعة العباسيين .

صحيفة الدولة :

كان جعفر بن محمد بحدسه الصائب ونظره الثاقب يخترق الحجب ويستشف
أحداث المستقبل ويخبر بكثير من الكوائن قبل وقوعها ويستدل بحاضرها على الغائب
الذي لم يحدث منها ، أخبر بصيرورة الخلافة الى بنى العباس دون غيرهم من الهاشمين
وأخبر بمصرع غير واحد من هؤلاء الهاشمين ، أخبر بمقتل محمد و ابراهيم ولدى
عبدالله على يد المنصور وأخبر بمصرع غيرهما من العلويين ولذلك كان أسد الهاشمين
رأيا بمعارضته لبيعة النفس الزكية ، والواقع أن أئمة أهل البيت كثر تحدثهم قبل عصر
الصادق عن الدولة الهاشمية وتعددت اشاراتهم الى ملك بنى العباس وانهم سيطأون
اغناق الرجال ويملكون الشرق والغرب ويجمعون من الاموال ما لم يجتمع لاحد من
قبلهم وان مدة ملكهم ستطول وتكون أضعاف مدة الدولة الاموية أخبروا بهذه الحوادث
كلها قبل وقوعها ، ومما يؤثر عن جعفر بن محمد في هذا الباب قوله : علمنا غابر ومزبور
نقش في القلوب ونقر في الاسماع عندنا الجفر الاحمر والابيض ومصحف فاطمة
والجامعة فيها جميع ما يحتاج اليه الناس (١) .

لاشك ان أئمة أهل البيت توارثوا خلفا عن سلف بعض الاسفار والوثائق الخاصة
والكتب التي تشتمل على كثير من الملاحم واحداث الدول والانقلابات العامة وعلم المنايا
والبلايا والاخبار بتلك الكوائن والاحداث قبل وقوعها ، وفي هذه الصحف علم كثير وهي
خاصة بالأئمة منهم ويقال : ان محمد ابن الحنفية يعلم طرفا منها ، وقد سميت بعض هذه
الكتب بالجفر والجامعة وسميت : (صحيفة الدولة) ، ومن الملاحم التي أشاروا اليها في
هذه الكتب اجتياح العالم الاسلامي اشارة الى ظهور التتار كما اشاروا قبل ذلك الى
انتقال الدولة من بنى أمية الى بنى العباس دون غيرهم من الهاشمين ، والى ذلك استند
أبو عبدالله جعفر بن محمد فيما استند اليه عند امتناعه من بيعة بنى الحسن وفي تحذيرهم
من الخروج على العباسيين ، وقد خطب عبدالله بن عباس كما ورد في بعض الاخبار :

(١) هذا الحديث مروي في كشف الغمة للاربلي ص (٢٢٧) ، وفيه شرح لبعض

هذه الكلمات .

«أبا الأملاك» خاطبه بذلك الإمام علي في قصة معروفة (١) .
 لا يخامرنا أدنى شك بما كان لهذا المنهج الذي يدعو إليه جعفر بن محمد
 وبما كان لسياسته السلمية البحتة من أثر بالغ في نفس أبي جعفر المنصور ، فأعرض
 عن كثير من السعايات وضرب صفحا عن الكتب المزورة عنه الى انصاره في العراق
 وخراسان ، وأية قيمة للدس والتزوير المفضوح بعد ما رآه وسمعه المنصور بنفسه مما
 أقعته بأن هذا الإمام برىء الساحة مأمون الناحية بعيد عن التهم المنسوبة اليه (٢) . فلا
 عجب اذا كان لوفاة سنة ١٤٨ وقع أليم في نفس أبي جعفر المنصور على مارواه فريق
 من المؤرخين وقد أبته بكلمات تدل على مبلغ اكباره له (٣) .

لم يجنح بنو الحسن الى رأى جعفر بن محمد ، وكان لفريق منهم في وعظه
 ونصائحه مذهب آخر فهم يحملونه على الحسد ، وهم يغفلون له القول ويسمعونه
 خشن الكلام ، وهم بعد ذلك لا يشكون بان انتزاع الامر من يد العباسيين سهل يسير
 وان الامة تشذ ازهرهم في ذلك ، فهذه الرسل والرسائل تترى عليهم من الاقطار ،
 ولا شك ان رسائل كثيرة وافتهم من مختلف الاقطار بيد أن شطرا من تلك الرسائل
 مضطجع بأمر أبي جعفر المنصور اذا استثنينا رسائل بعض الزعماء في الكوفة وفي مقدمتها
 رسالة أبي سلمة الحلال نقيب الدعوة في المشرق والعراق .

دعوة الكوفة وحركتها الجديدة :

جد لابي سلمة الحلال زعيم الكوفة ونقيب الدعوة الهاشمية بعد استقرار العباسيين
 القادمين من الشراة الى العراق رأى خطير في البيعة فاجأه علوي الحجاز ، ووافت الحجاز
 رسل الزعيم المذكور ورسائله على عجل (٤) .

(١) قف على ذلك مفصلا في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (٢١٠/ - ٢١٢)
 وراجع ما نقل عن محمد بن الحنفية عن الصحيفة التي نقلها عن أبيه وان فيها اشارة
 الى انتفال الامر لبني العباس شرح النهج المذكور (٢١٢/٢) .

(٢) أنظر عن دخوله على المنصور ودفاعه عن نفسه بعض المصادر المتقدمة في
 ذيل الصفحة (٦٥) من هذا الكتاب .

(٣) تاريخ اليعقوبي (١١٧/٣) .

(٤) قف على كيفية اتصال أبي سلمة بعلوي الحجاز ومفاتحتهم بالبيعة وعلى خطته
 المرسومة في هذا الشأن في الآداب السلطانية للفجرى (١١١ - ١١٢) ، ومن اوفى
 المراجع عن اتصال أبي سلمة بجعفر بن محمد وعبدالله بن الحسن ومراسلتهم بصرف
 الدعوة عن العباسيين اليهم وما الى ذلك مروج الذهب للمسعودي (٩٣/٦ - ٩٦)
 ط باريس ، وتاريخ اليعقوبي (٨٦/٣ - ٨٧) ط النجف .

وقد رسم الحلال لذلك - أى لتحويل البيعة الى العلويين من العباسيين - خطة دقيقة لا يرسمها الا الدهاة من اصحاب الدعوة بيد أن آراء أهل المدينة تضاربت فى قبول الدعوة وهو أمر لامناص منه بعد هذه المفاجأة الجديدة .

كانت دعوة أبى سلمة هذه محكا للعلويين المقيمين فى المدينة فقد انقسموا الى فريقين فريق هشن للدعوة واستبشر برسل أبى سلمة ورسائله ورأوا فيها فرصة سانحة لمناهضة بنى العباس واحقاق حقهم فى الخلافة وعلى رأس هذا الفريق وجوه بنى الحسن عبدالله وابناؤه محمد وابراهيم وموسى وعدد غير قليل من شباب آل أبى طالب وجمهور من أهل المدينة وفريق آخر قابل هذه الدعوة الكوفية الجديدة باعراض تام ، وامامهم فى ذلك جعفر بن محمد فانه امتنع من فض الكتاب المرسل اليه وأمر بأحرقه على مرأى من رسول الزعيم أبى سلمة الحلال ، ولما طالبه بالجواب قال : الجواب مارأيت ، ثم شفع هذا الجواب بالانكار على عبدالله بن الحسن ثقته واطمئنانه الى مصدر هذه الدعوة ونصحه الا يندفع وراء الخيال فان الامر قد تم لبنى العباس فى العراق (١) .

عصر بنى الحسن ، أو عصر الزيدية :

يصح أن يحدد عصر بنى الحسن المذكورين بالفترة التاريخية الواقعة بين أواخر الدولة الاموية واولئ العباسية ، وفى هذه الفترة ظهرت دعوتهم الى الخلافة فى الشرق والغرب وانهم أولى الهاشميين قاطبة - فضلا عن غيرهم بالامامة - وانها - أعنى الامامة - اليهم انتقلت من بعد الامام الحسين (٢) ، وان محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى هو الامام ، اذ كان أهله يسمونه المهدي ويقدررون انه الذى جاءت به الروايات ، كما كان بعض الطالبين يرون انه النفس الزكية ، وانما قيل له النفس الزكية لزهده ونسكه (٣) .

كان عبدالله بن الحسن أبو محمد المذكور - وهو وجه من وجوه الهاشميين فى ذلك العصر - يعتقد اعتقادا جازما بامامة ابنه كما كان من أشط القائمين بالدعوة الى بيعته ، أعانه على ذلك انه زعيم هاشمى موهوب معسول الكلام حلو البيان حتى كان

(١) انظر عن تضارب آرائهم فى دعوة أبى سلمة المصادر المشار اليها فى ذيل الصفحة المتقدمة ، وراجع أيضا ذيل الصفحة (٦١) من هذا الكتاب .

(٢) يرجع الى شرح أصول الكافى للشيخ محمد صالح (١٨٥) من هامش الاصل .

(٣) مروج الذهب (١٩٦/٢) .

أمراء الدولتين الأموية والعباسية يحسبون حسابا لبلاغته وأثرها في النفوس ، فهذا عمر بن عبدالعزيز لم يشأ أن يبيت عبدالله بن الحسن ليلة واحدة في الشام - في رحلته اليها وافدا على ابن العزيز - قائلا : « الحق بأهلك فانك لم تبغهم شيئا أنفس منك ولا أرد عليهم من حياتك أخاف عليك طواعين الشام » ، قال الجاحظ : « كره أن يروه وأن يسمعوا كلامه لعله يبذر في قلوبهم بذرا ويغرس في نفوسهم غرسا »^(١) ، وكان أبو جعفر المنصور يصف كلام عبدالله بن الحسن بالسحر ، ويقال ما سائر عبدالله بن الحسن احدا الا قتله عن رأيه^(٢) ، ولذلك استجاب لدعوته التي قام بها لابنه من استجاب من أهل الحجاز .

كثر أنصار بني الحسن وأتباعهم في هذا العصر من العلويين والطالبين ومن غيرهم وبايعتهم فرق الزيدية ، وخرج غير واحد منهم بالسيف على العباسيين شرقا وغربا ، خرج محمد بن عبدالله المذكور في الحجاز وتلاه أخوه ابراهيم التأثير على المنصور في العراق وثار أخوهما يحيى بن عبدالله في المشرق أو في بلاد الديلم وثار أخوهم الرابع ادريس على الرشيد في المغرب الأقصى أو في مراکش وفي أقاليم البربر المجاورة للجزيرة الاندلسية الخضراء ، وكان ادريس أكثر اخوته نجاحا في خروجه على الدولة العباسية - كما سنراه عن قريب - بيد ان عبدالله بن الحسن كان مغنيا أشد العناية بحمل أبي عبدالله جعفر بن محمد على التآزر مع بني الحسن وقصده غير مرة من أجل الدخول معهم في البيعة لابنه الا انه عجز عن اقناعه ولم يخرج من محاورته ومداورته بشيء .

كانت حجة جعفر بن محمد أبلغ ورأيه أسد وأصوب ، ولهذا لجأ بعض الطالبين وأنصارهم من الزيدية الى الشدة مع الامام المذكور ، تولى ذلك - في رواية مشهورة - عيسى بن زيد بن علي المعروف بمؤتم الاشبال ، وكان عيسى هذا في أوائل من استجاب لدعوة بني الحسن مع انه ابن عم جعفر بن محمد ومن أقرب العلويين نسبا اليه عيسى بن زيد أو الظليم النافر :

تروى لعيسى بن زيد^(٣) مؤتم الاشبال في عنفه وشدته وفي جرأته ومحاولاته

(١) نقل ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج (٤٧٤/٣ - ٤٧٥) .

(٢) تاريخ الطبري (١٩٣/٩) .

(٣) لعيسى بن زيد ترجمة مبسوبة في مقاتل الطالبين (٢٧٩-٢٨٧) ويراجع عنه الكتب الآتية : طبقات ابن سعد ، (٢٦١/٦) المعارف لابن قتيبة (٢٢٢) ، فهرست ابن النديم (٢٥٣) . تاريخ الطبري (٣/١٠) ، تاريخ المدينة للسهمودي (٣٤٩) ، =

لاكره ابن عمه على البيعة أخبار كثيرة^(١) وان غمزها بعض المعنيين في معالجة هذا الموضوع ، هذا وفي الحكم على عيسى مدحا وزما وجرحا وتعديلا أقوال عدة فهو في قول مشهور لم يحجم عن ايذاء جعفر بن محمد وتهديده وارادته على البيعة للنفس الزكية وعلى المساهمة في الحرب فامتنع امتناعا شديدا وامتنع معه أصحابه وطال الاخذ والرد بين الفريقين وتغالظا الكلام ، وكيف لا يمتنع الامام وهو يرى أن محمد بن عبدالله هالك لامحالة وأن خروجه فتنة وكيف يستجيب لدعوة القوم وهو يخبرهم بأن صاحبهم مقتول في حال مضیعة ، وكانت له كلمات موجعة جابه بها عيسى في بعض المواقف المذكورة رواها أصحاب الاخبار في حديث طويل منها قوله « يا اكشف يا زرق لكأني بك تطلب جحرا تدخل فيه وما أنت من المذكورين في اللقاء واني أظنك اذا صفق خلفك طرت مثل الهيق النافر »^(٢) .

هذا ما قاله أبو عبدالله جعفر بن محمد لابن عمه عيسى وهو يعيبه ويغمزه بالضعف وينذره بوخامة العقبي ، وكان الامر كما قال اذ أن عيسى - كما جاء في سيرته - عاش في البقية الباقية من عمره متكررا في الكوفة على حالة يرثي لها ومات متواريا في بيوت أنصاره وأنصار أبيه من الزيدية ، ولا بد لنا من القول في هذا الصدد ان جعفر بن محمد فادى في سبيل اعتراضه على هذه البيعة كما فادى من قبل بمال كثير له واكثر منه لاصحابه صادرة العلويون الثائرون ، وكان له في المدينة عدد كبير من الاصحاب^(٣) . ومما لاشك فيه أن أصحابه المذكورين محصوا في هذه المحنة الثانية كما محصوا في محتهم الاولى في أواخر العصر الاموي طبقا لحديث قال فيه : « لا بد للناس أن يحصوا

= تهذيب التهذيب لابن حجر (٢/٢٢١)، مستدرک الوسائل (٣/١٥٣)، ومن رأى صاحب

المستدرک هذا ان عيسى ندم على سلوكه تجاه ابن عمه ، وليس من السهل اثبات ذلك .

(١) رويت هذه الاخبار في أصول الكافي لابي جعفر الكليني في باب « تفصيل دعوة المحق من المبطل في الامامة » (١٨٠ - ٢٥١) وفي هذا الباب من ابواب اصول الكافي تقف على طرف من الحجاج والمحاورات في هذا الموضوع ، ولم يذكر أبو الفرج الاصبهاني قصة عيسى هذه مع أبي عبدالله جعفر ابن محمد في مقاتل الطالبين .

(٢) اصول الكافي (١٨٣) ، وفيه حديث مبسوط في هذا النزاع .

(٣) قف على ذلك في أصول الكافي (١٥٩ ، ١٨٣) وانظر شرح الكتاب على هامش

الصفحة (١٨٠) .

أو يميزوا أو يغربلوا» (١) .

هذا ولعيسى المذكور اخوته ، ومنهم الحسين ذو الدمعة ويحيى بن زيد الثائر في خراسان ، وكان موقف الحسين ذي الدمعة لا يشبه موقف أخيه عيسى فيما يراه أكثر المحدثين بل كان جعفر بن محمد يعنى به ويعطف عليه ولا عجب فانه نشأ في حجره (٢) ، ويلاحظ انه ممن تضاربت في حاله أقوال القوم فعده بعضهم من الضعفاء (٣) ، وخرج له آخرون أحاديث متفرقة في بعض المسائل الفقهية (٤) .

أبناء زيد والزيدية في صفوف بنى الحسن :

كان في طليعة من بايع النفس الزكية اثنان من أشهر أولاد زيد بن علي وهما : عيسى مؤتم الاشبال والحسين ذو العبرة كما انهما انضما بعد مقتل محمد الى أخيه ابراهيم الثائر في العراق ، ولذلك قال أبو جعفر المنصور : « مالى ولا بنى زيد وما ينقمان علينا ألم نقتل قتلة أبيهما ونطلب بثأرهما ونشف صدورهما ! » (٥) ، والاغرب من ذلك ان اثنين من أولاد الامام جعفر بن محمد نفسه مالا الى الزيدية وهما عبدالله ومحمد وقد خرج الاول مع النفس الزكية وكان متهما بالخلاف على أبيه ودعا الى نفسه من بعده وخالط الحشوية فيما يقال وله أتباع يعرفون بالفطحية (٦) ، وخرج الثانى على المأمون

(١) روى هذا الحديث في اصول الكافي (١٨٧) .

(٢) يروى السمهودى في تاريخ المدينة (٣٤٩/٢) أن الحسين هذا ذهب الى اليمن مزودا بكتاب من ابن عمه جعفر بن محمد الى معن بن زائدة أمير اليمن في خلافة المنصور فرجع من رحلته بمال كثير .

(٣) الشيخ عبدالنبي الجزائرى الحاوى ولا ذكر له في الخلاصة .

(٤) انظر عن المسائل المذكورة مستدرك الوسائل للنورى (٩٠/٣) .

(٥) انظر هذه الكلمة في مقاتل الطالبين (٢٧١) ط النجف ، والحقيقة ان من أولاد زيد من كان يضطلع مع المنصور مؤيدا له في موقفه من بنى الحسن وهو محمد بن زيدو له ذكر في كتب الانسان ويراجع عنه كتاب عمدة الطالب لابن عنبه .

(٦) يرجع فى ذلك الى كتاب الارشاد للشيخ المفيد (٢٦١ - ٢٦٢) ومقاتل الطالبين

(٢٦٢ - ٢٦٣) وكشف الغمة (٢٣١) .

بمكة سنة ١٩٩ وأيدته الزيدية الجارودية ولكن المأمون ظفر به في قصة مشهورة^(١) ، تناسى هؤلاء الزيدية من العلويين ما كان بينهم من خلاف في العصر الاموي ذلك ان عددا من وجوه بني الحسن لم يخرجوا مع زيد ولم يشهدوا الحرب التي دارت في الكوفة بينه وبين عمال الامويين عليها بل كان هؤلاء الوجوه على صفاء - ولو في الظاهر - مع هشام بن عبدالملك ومع الوليد من بعده ، ويحكى ان عبدالله بن الحسن خطب في المدينة منددا بحركة زيد في العراق متبرأ منها ، والارجح أنه كان مكرها على ذلك ، ومهما كان الباعث على عمله هذا فان فيه دليلا قاطعا على حيطة بني الحسن في الثورة المذكورة .

تناسى القوم ذلك لان ركن الامامة في عقيدة الزيدية هو الجهاد والخروج أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر مضافا الى شرائط اخرى ، وقد خرج محمد بن عبدالله ودعا الى نفسه فهو الامام ، ويقال ان محمدا هذا أوصى الى عيسى بن زيد بعد أخيه ابراهيم وسرعان ما أصبح عيسى من ثقة محمد بن عبدالله وصاحب شرطته في المدينة .

التمييز بين زيد والزيدية :

ظهرت الزيدية في الفترة الواقعة بين عصر الامام ابي جعفر محمد بن علي وعصر ابنه أبي عبدالله جعفر بن محمد منشقة عن الامامية ، والزيدية تفرق عن الامامية بأنها تعد الدعوة والجهاد ركنا من اركان الامامة ، هذا الى فوارق اخرى ذكرها المغنيون بتاريخ الفرق الاسلامية ، وبناء على أصول المذهب الزيدي المذكور بايع الزيدية كل علوي ثائر اذا توفرت فيه شروط الامامة ، بايعوا غير واحد من بني الحسن كالنفس الزكية وأخويه ابراهيم ويحيى ثم غيرهم من العلويين الثائرين من أبناء الحسن والحسين .

يعني المحدثون والمؤلفون في سيرة أئمة أهل البيت بسيرة زيد وبأخباره في خروجه

(١) تجد أخبار محمد بن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق في خروجه على المأمون بمكة وما وقع له من طلب الامان في تاريخ الطبري (٢٣٣/١٠ - ٢٣٥) والكمال لابن الاثير (١٢٨-١٢٩) ، وتجد له ترجمة في تاريخ بغداد للخطيب (١١٣/٢ - ١١٥) ويراجع عنه الارشاد للمفيد (٢٤٢-٢٤٣) ، وكشف الغمة (٢٣١-٢٣٢) ، ومقاتل الطالبين (٣٥٣-٣٥٥) ط النجف .

ومقتله عناية فائقة^(١) لا يعهد مثلها فيما يكتبونه عن بنى الحسن وعن خروج من خرج ومقتل من قتل منهم في الحجاز والعراق وخراسان ، ومن ذلك يستنتج أن اصحاب الامام جعفر بن محمد يفرقون بين زيد والزيدية فكان زيد معذورا في خروجه على هشام بن عبد الملك وان لم يخرج معه ابن أخيه ولا أوصى أحدا من أصحابه بالخروج معه ولم يكن بنو الحسن بهذه المثابة فان خروجهم لم يكن مستساغا لدى الامام المذكور كما يتجلى ذلك واضحا في جوامع حديثهم وأخبارهم وفي بعض الكتب المؤلفة في الانساب . ومن المسلم عند كثير منهم انحراف بنى الحسن عن الائمة من أبناء عمهم المذكورين^(٢) .

خيف على زيد بن علي من الخروج وحذره أخوه الامام محمد بن علي وأخبره انه مقتول اذا خرج^(٣) وانه لا يملك اكثر من حيطان المدينة ولذلك لم يخرج في عصر أخيه وانما خرج في عصر ابن أخيه .

كان لمقتل زيد أثر بالغ في نفس ابن أخيه جعفر بن محمد وبان عليه حزن شديد يدل على ذلك أنه أبه بكلمات مؤثرة ووأسى أهله وذويه وأهل من قتل معهم وذويهم^(٤) ويلاحظ انه لم يبد عليه مثل هذا الحزن البالغ في مقتل من قتل من بنى الحسن في حربهم بالمدينة ، ومما يدل على ذلك انه خرج قبل وقوع الحرب الى خارج البلد ولم يعد الا بعد مقتل النفس الزكية وبعد أن عاد الهدوء الى المدينة المذكورة .

كان هذا المظهر من مظاهر الحياء معروفا عن الامامين المذكورين في العصر المذكور ولذلك كانا معنيين باسداء النصح واتمام الحجة على بنى العمومة من علويين وطالبيين وغيرهم من سكان دار الهجرة فان سكانها ضعفاء لا يقاؤون الدول الناشئة في العصر المذكور .

(١) انظر اسلوب الشيخ المفيد في هذا الباب كما جاء في الارشاد (٢٤٧) وقد

حذا حذوه غير واحد من المحدثين والمؤلفين .

(٢) راجع تصريح المازندراني شارح أصول الكافي (١٨١) .

(٣) قف على ذلك في أخبار الرجال للكنشي (١٨٤) ط بمبى ، وفي باب زيد بن علي

من كتاب الكافي ، وفي كشف الغمة للاربلي (٢١٥) .

(٤) نقول ذلك الاربلي في كشف الغمة (٢٢٤) .

تخليط وأوهام في معاجم الرواة :

هذا ويلاحظ شيء غير قليل من التخليط والالوهام فيما يكتب عن بنى الحسن وعن أعيان الزيدية وعن رؤساء بعض الفرق وأصحاب المقالات المختلفة في الإمامة ممن عاصروا أبا عبدالله جعفر بن محمد ، تارة يحسبونهم في أصحابه وطورا يعدونهم في خصومه المنحرفين عنه ، وهذا التخليط في أقوال المؤلفين وأصحاب معاجم الرواة محمول على اضطراب علاقات بنى الحسن وأعيان الزيدية ورؤساء الفرق وأصحاب المقالات المتضاربة المختلفة بالإمام جعفر بن محمد تبعا لاختلاف الأحوال والازمنة ، والامثلة على ذلك كثيرة ، ومنها أنك ترى جل وجوه بنى الحسن المذكورين معدودين في بعض هذه الكتب والمعاجم في أصحاب الامامين محمد بن علي الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق المتحملين عنهما مثل عبدالله بن الحسن ، وأخيه زيد بن الحسن ، ومحمد المدعو بالنفس الزكية وأخويه ابراهيم وموسى أبناء عبدالله بن الحسن^(١) ، ويحتج القائلون باستقامتهم وصحبتهم برسالة بعث بها الامام المذكور الى عبدالله بن الحسن مصدرة بقوله : « الى الحلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه » وليس هذا الاحتجاج بشيء - فيما نرى - لانها رسالة تعزية بنكبة المنصور لبنى الحسن عند حملهم من المدينة الى العراق وسجنهم في الهاشمية ، هذا اذا صحت رواية هذه الرسالة ، ونحن لانميل الى صحة هذه الرواية^(٢) .

ومن هذا القبيل اضطراب رواياتهم وأقوالهم في عيسى بن زيد - المار ذكره فقد عد في أصحاب جعفر بن محمد المتحملين عنه وقد غمزه وأهمله آخرون^(٣) - وممن

(١) انظر في هذا الباب فهرست الشيخ الطوسي ومنهج المقال للاستربادى (٢٣) ، ٩٧ ، ٣٠٣) فانه عد بنى الحسن عبدالله وأخاه وأبناءه من أصحاب جعفر بن محمد ، وانظر أيضا مستدرك الوسائل للنورى (٣/ ٨٢٠) ولاحظ ميل المؤلف الى دفع الطعون عن عبدالله بن الحسن استنادا الى بعض الروايات .

(٢) راجع مستدرك الوسائل للنورى (٣/ ١٣٨ - ١٣٩) .

(٣) لاحظ ما جاء في منهج المقال عن عيسى بن زيد فانه اقتصر على تسميته قائلا : « انه من محدثي الكوفة » ، ولم يذكره العلامة الحلي في خلاصته ومع ذلك خرج له الطوسي في تهذيبه والكليني في فروع الكافي بعض الاحاديث في باب « وصية الصبى » وفي باب « العقيقة » .

اضطربت أقوالهم فيه الحسن بن زيد بن الحسن وإلى المدينة للمنصور تارة يعدونه في أصحاب جعفر بن محمد ويصفونه بالصدق والفضل^(١) ومرة يشيرون إلى خصومته وشدة وطأته على الإمام المذكور^(٢) . ومما لاشك فيه وشايتة بنى عمه الحسن عند المنصور^(٣) .

ومن واجب المؤرخ الباحث عن الحق في هذا الباب أن يقارن ما جاء في بعض معاجم الرواة للشيخ الطوسي والكشي والنجاشي وما ورد في غيرها من كتب المؤرخين مثل تاريخ بغداد للخطيب - وقد ترجم لغير واحد من بنى الحسن - ، وتاريخ دمشق لابن عساكر - وقد ترجم كذلك لعدد منهم ومن غيرهم من الهاشميين ، وكتاب التقريب لابن حجر - وغيرها من كتب التأريخ ففي هذه التواريخ - تواريخ الخطيب وابن عساكر وابن حجر - ما فيها من الاعاجيب والروايات الغريبة المدهشة المروية عن بنى الحسن ، وقد اعتبر بعضهم هذه الروايات مفتعلة موضوعة على القوم أو صادرة عن الهوى والغرض ، وليس من السهل - فيما نرى - تكذيب كل ماورد في كتب التأريخ عن هؤلاء الهاشميين وان كانت كتب التأريخ والحديث مشحونة بالاحاديث الموضوعة ، وفي وسعك أن تعرف من ايراد هذه الروايات على ما هي عليه من التناقض والتباين في كتب اولئك المحدثين والمؤرخين إلى أي حد بلغت القطيعة والجفاء والسخائم بين فرق هذه الامة^(٤) .

ملاحظات الباحثين :

لاحظ الباحثون في نقد الرواة هذا الاضطراب فحاولوا وضع بعض القواعد والاصول للتوفيق بين هذه الاقوال المضطربة قائلين ان روايات المتهمين والمضعفين والغلاة

(١) انظر ما جاء في الثناء عليه منهج المقال للاستربادى (٩٩) .

(٢) راجع رواية صاحب اصول الكافي عن سوء معاملته لجعفر بن محمد (٢٥٨) ، وللحسن بن زيد ترجمة مبسوبة في تاريخ بغداد للخطيب (٣٠٩/٧ - ٣١٣) ، وانظر عن احوال زيد بن الحسن مذهب تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٥٩/٥ - ٤٦٤) ، وكتاب كشف الغمة للاربلي (١٧٢) وهو يميل إلى مدحه والتنويه به مع انه كان مسالماً لبنى أمية وتولى الاعمال لهم ،

(٣) لاحظ ماورد في عمدة الطالب (٥٥) ط النجف وفي مقاتل الطالبين (١٤٥) .

(٤) راجع بعض هذه الروايات في تاريخ ابن عساكر (٤٥٩/٥ - ٤٦٤ ، ٢١/٦ ، ٣٥٤/٧ - ٣٦٣) في ترجمة عبدالله بن الحسن ، وراجع تراجم بعض بنى الحسن في موضعها من تاريخ بغداد للخطيب .

تنقسم الى قسمين فان كان لهؤلاء الرواة حال استقامة وحال غلو أو ضلال عمل بما ورد في حال الاستقامة وترك ما رويوه في حال الخطأ^(١) ، وهو موضوع يستدعى كثيرا من التمهيد والاستقصاء ودقة النظر في تأريخ الاعلام وسير الرواة .

وقد توسع آخرون في هذا الاصل قائلين ان المهم في الاصل المذكور أن يكون الراوى صادقا غير كاذب وان كان مخطئا في أصول اعتقاده عندهم ، ومن اجل ذلك لم يردوا كثيرا من روايات الرواة المنسوبين الى الفطحية والناووسية والواقفة وغيرها ، ومن أجل ذلك أيضا ذهبوا الى تصحيح ما يصح عن بعض الجارودية وغيرهم من فرق الزيدية^(٢) .

ومجمل القول : يعتبر هذا العصر عصر بلبلة ونزاع واختلاف بين رؤساء الفرق وأرباب المقالات في الامامة وفي الخلافة ، وهو نزاع له علله وأسبابه - بلا شك - ومن المفيد تحرير هذا النزاع وعلله المذكورة وتقريبها على الصورة الآتية :

الوان من النزاع :

نزاع في الاصول

لهذا الاختلاف بين بطون الاسر العلوية ثم بين اتباعها في العصر المذكور الوان وعلل شتى ، منها ما يدخل في الاصول ومنها ما يدخل في الفروع ، ومن النوع الاول اختلافهم في نظام الامامة وفي كيفية عقدها ، فمنهم من عد الجهاد والخروج امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ركنا من اركان الامامة ، وهؤلاء هم الزيدية على اختلاف فرقهم ، ولما لم يكن هذا النوع من الخروج من منهج جعفر بن محمد في هذا العصر - كما رأينا - لم تثبت امامته عند هؤلاء فعدلوا الى القول بامامة من خرج من العلويين على الاطلاق .

ويفهم من كثير من الروايات ان جعفر بن محمد واصحابه نظروا الى زيد نظرة تختلف عن نظرتهم الى الزيدية المعروفين في العصر المذكور ، وقد أجمعت كلمتهم تقريبا على ان عقيدة زيد في الامامة لا تختلف عن عقيدتهم وان كان كثير من الزيدية لا يسلمون لهم بذلك ، واذا ما قال أصحاب جعفر بن محمد بأن زيدا امام فانهم يعنون انه امام في العلم

(١) قاله الشيخ الطوسي في العدة ونقله المحدث النوري في مستدركه على الوسائل

(٣/٧٧٣) .

(٢) راجع مستدرك الوسائل (٣/٦٣٠) وانظر الفائدة السابعة من الكتاب المذكور

(٧٥٨ - ٧٧٠) .

والورع والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (١) .

من هذه الناحية كانت بين بواغث ثورة بنى الحسن على العباسيين وثورة زيد بن علي على الامويين فروق ظاهرة فان ثورة بنى الحسن كانت - فيما نرى - هجومية مسبوقة بمطالبهم المعروفة في الخلافة مستندة الى القول بان محمد بن عبدالله هو المهدي الذي بشرت فيه الاحاديث ، وكانت ثورة زيد بن علي من نوع آخر كانت ضربا من ضروب الدفاع عن النفس وعن الكرامات والاحساب ، ولا يخفى ان زيدا سيم خطة من الذل والخسف لاتطاق في مجلس هشام بن عبد الملك وعانى اثناء اقامته في الشام ماعانى من امراء الدولة الاموية واستخفافهم به ، ولم يتمالك بعد ان اقيم من مجلس هشام بامرہ أن يقول : « لم يكره قوم حد السيوف الا اذلوا » (٢) ، ويلاحظ ان أحدا من بنى الحسن لم يساهم في الثورة ، وقد يكون مرد ذلك الى بعد المدينة عن الكوفة وفي المدينة يقيم جل بنى الحسن ، وبعض اشياخهم يكثر من التردد بينها وبين الشام فهم بعيدون عن العراق لاسيما اذا علمنا ان الثورة الزيدية من الحوادث التي فوجيء بها العلويون في كل مكان ، هذا ومن رأى بعض المؤرخين أن زيدا كان يحدث نفسه بالخلافة دائما ويرى أنه أهل لذلك (٣) .

عصر الفرق والنحل

ويمتاز هذا العصر بانه عصر مقالات وآراء متضاربة في الأصول الاعتقادية وفي الفروع الفقهية وما الى ذلك من وجوه الاختلاف ، وبعد ان كانت الزيدية فرقة واحدة في عصر زيد بن علي أصبحت في هذا العصر فرقا شتى يردّها بعضهم الى ثلاث : البترية ، والجارودية ، والسليمانية . وبعد ان كانت الامامية في عصر الامام محمد بن علي وعصر ابنه الامام جعفر بن محمد فرقة واحدة اشعبت بعد وفاة جعفر بن محمد الى فرق منها الفطحية اتباع ابنه عبدالله المعروف بالافطح - ولم يبق لهذه الفرقة بعد ظهور دعوتها بقليل أثر يذكر - ، ومنها الاسماعيلية وهي من اشهر هذه الفرق ، وكان لها - كما لا يخفى -

(١) قف على امامة زيد بهذا المعنى في الفصول المختارة من العيون والمحاسن للمفيد (١١٣/٢) ط التجف وراجع غاية الاختصار من كتب الانساب (٧٩-٨٠) فهناك فصل في التفريق بين زيد والزيدية .

(٢) كشف الغمة للاربلي (٢١٤) .

(٣) ابن الطقطقي في الآداب السلطانية (٩٥) ط الرحمانية .

شأن خطير في التاريخ فإن هذه الفرقة أبقت آثارا وأنشأت دولا أشهرها الدولة الفاطمية •
 شاع الغلو وكثر الغلاة^(١) ، ويلاحظ ان أكثر هؤلاء الغلاة ورؤسائهم من الموالي
 الذين انتحلوا أو انتحل آباؤهم الاسلام بعد الفتح ، اى انهم من سكان البلاد المفتوحة ،
 فمن السهل والحالة هذه تعليل ظهور أصحاب هذه النحل والمقاتلات والفرق الغالية ،
 وما من شك ان جل اهل تلك البلاد المفتوحة كانت تدين باديان ونحل قديمة ، منها
 أتباع أديان سماوية منسوخة بالاسلام ، ومنها الوثنية والثنوية والمناوية ثم صبوا الى
 الاسلام بعد الفتح وآمنوا برسالة الرسول العربي الكريم الا ان بعضهم ورث عن أسلافه
 ما ورثه من طباع وأخلاق امتزجت بالدماء وسرت في الارواح ، ومن هذا القبيل غلوهم
 في المخلوق وتقديسهم لاندادهم من البشر ، والى هذه الطبائع المتأصلة مرد هذا الشذوذ
 والانحراف المنكر في المذاهب والآراء في أولى العصور الاسلامية •

أضف الى ماتقدم اسراف المسرفين من أصحاب الدول وافراط المفرطين من عمالهم
 وامرائهم في العنف وسفك الدماء ومبالغتهم في كراهية العلويين والتنكيل بهم - كما حدث
 في عصر الامويين والعباسيين - ، وقد نشأ عن هذا الاسراف اسراف آخر يقابله في الغلو
 والافراط وقد سبق ذلك كله خصومات عنيفة ودعاوى ومنازعات وفرقة شديدة ، وكانت
 كل فرقة من تلك الفرق تؤثم الأخرى وتخطئها في معتقدها كما وقع ذلك بعد الحروب
 التي اثيرت في خلافة الامام على بن ابي طالب ، ومنها حرب الجمل وصفين وخروج
 الخوارج ثم الحروب والوقائع والفتن التي وقعت في الدولة الاموية ، ومن أشهرها وقعة
 الطف وحروب مصعب بن الزبير وحربهم مع المختار •

غالى من غالى بوجوه العلويين - كما قلنا - حتى ادعى بعضهم الحلول كالمنيرة بن
 سعيد وبيان بن سهيل النهدي^(٢) ، وصائد النهدي ، وادعى آخرون التناسخ وذهب فريق
 الى التحلل وانكار الشرائع والسنن والفرائض ورفضوا تعاليم الاديان وراحوا يدسون
 الاكاذيب في الحديث ويختلقون الاخبار ، ومنهم تشعبت فرق من الدهرية والملاحدة^(٣) ،

(١) انظر القسم الثاني من خلاصة الاقوال للحلى الخاص بذكر الغلاة والضعفاء ولاحظ
 الصفحات التالية من الكتاب (١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢) •

(٢) غلط بعض اصحاب المعاجم المؤلفة في أحوال الرواة في ضبط اسم (بيان)
 هذا ومن وقع في هذا الغلط صاحب الخلاصة وراجع عن ذلك منهج المقال (٧٢ - ٧٣) •

(٣) كتاب الفرق للنوبختي (٤٦ - ٤٧) •

ومن هؤلاء ابو الخطاب الاسدي الذي ادعى الامامة والنبوة بعد جعفر بن محمد فلعن فيمن
لعن من الغلاة لعنه الامام جعفر بن محمد وقتله عيسى بن موسى أمير الكوفة ، ومثله
بزيع بن موسى الحارثي ، ومما يذكر للامير عيسى بن موسى انه كافح هؤلاء الغلاة
- وكان لهم نشاط ظاهر في الكوفة - وخصوصا الخطابية وقتل منهم مقتلة عظيمة في
الكوفة أيام ابى جعفر المنصور (١) .

يقال للفرقة التي تبعت المغيرة بن سعيد « المغيرية » وقد ظهرت هذه الفرقة في عصر
أبي عبدالله جعفر بن محمد اثر وفاة أبيه قائلة بامامة محمد بن عبدالله - النفس الزكية
الثائر المقتول في المدينة - لانه خرج بالسيف كما خرج زيد بن علي وعدلوا عن القول
بامامة جعفر بن محمد لانه لم يخرج ولم يوص احدا من اصحابه بالخروج ، والظاهر
أن المغيرة بن سعيد هذا الغالى الخبيث هو الذي وضع بعض الاوصاف في حديث المهدي
المشهور بحيث جعله ينطبق على محمد بن عبدالله النفس الزكية .

قال صاحب التعليقات : « الغلاة معروفون ومنهم أتباع المغيرة بن سعيد » ، وعد
فرقا أخرى من الغلاة وذكر مذاهبهم وآراءهم كالمرجئة والقدرية والخمسة والخطابية (٢) ،
وقد كثرت أقوال المؤلفين في موضوع الملل والنحل في نحلة المغيرية وفي زعيمها المغيرة
ابن سعيد ، ولا تخلو هذه الاقوال من التناقض والاضطراب ، وكان الامام جعفر بن
محمد يلغنه ويصرح بأنه من الوضاعين (٣) كما كان شديد الوطأة على زعماء هذه الفرقة
وعلى دعائها في احاديثه ، وقد أجمعت كلمة محدثي الامامية والمؤلفين منهم في أحوال
الرواة (٤) على ذم المغيرة والطعن فيه وصرحوا بأنه كذاب مشعوذ وضاع وأنه من الغلاة
دس الاكاذيب في أحاديث أهل البيت .

(١) فرق الشيعة للنوبختي (٦٧ ، ٦٩ ، ٧١) .

(٢) تعليقات البهبهاني (٤١٠ - ٤١٢) .

(٣) هامش كتاب فرق الشيعة للنوبختي (٤١) .

(٤) انظر عن رأى الامامية في هذه الفرقة كتاب منهج المقال للاستريبادي (٣٤٠ -
٣٤١) وكتاب الفرق للنوبختي (٦٢ - ٦٣) ، ويدعى المجد الفير وزبازي ان المغيرة يلقب
الابتر واليه تنسب البترية من فرق الزيدية ، قال ذلك في مادة « بتر » من معجمه
المعروف بالقاموس ، والصحيح ان البترية فرقة أخرى من الزيدية تنسب الى رجل آخر ،
راجع عن البترية مقالات الاسلاميين للاشعري (٦٨/١ - ٦٩) وعن المغيرة الملل والنحل
للشهرستاني (١٣/٢ - ١٥) وكتاب الفرق للبغدادى (٢٢٩ - ٢٣٣) .

ومن أشهر فرق الزيدية « البترية » نسبة الى « كثير النوا » وكان أبتر اليد ، وقيل الى المغيرة بن سعيد مولاهم - وقد مر ذكره - ، والاول أشهر ، وفي سبب تلقيهم قول آخر^(١) ، وقد عرف « البترية » وزعماءها ودعاتها الاستربادى ومما قاله : « هم يرون الخروج مع بطون ولد على ويذهبون فى ذلك الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويشتون لكل ولد من ولد على عند خروجه الامامة^(٢) » وللبهبهانى بحث مبسوط فى فرق الزيدية وعد منهم « البترية » .

اما زعيمهم « كثير النوا » فقد ذكره الطوسى والكشى والبرقى والاستربادى وأجمعت كلمتهم على ذمه^(٣) وعلى ذم عدد من البترية أمثاله ذكرت أسماءهم فى مكانها من الكتب المؤلفة فى الرواة وان لهم روايات مكذوبة نسبوها الى جعفر بن محمد ، وفى منهج المقال اباحت عدة عن البترية وانها فرقة كانت مضطهدة فى عصر بنى أمية بالكوفة ، ومن المطعون فيهم من رفاق كثير النوا - الانف الذكر - الحسن بن صالح بن حى وأخوه ابراهيم بن صالح من أعيان الكوفيين .

والواقع ان فى كتب المؤلفين فى الفرق وفى الملل والنحل خلطا كثيرا ، ويلاحظ فيها تسمية فرق لم يكن لها وجود بالمرّة أو كان لها وجود لا يعتد به ، ولو قبلنا جميع ما يقوله هؤلاء المؤلفون فى موضوع الملل والنحل والفرق وفى مقالاتها وآرائها الغريبة جردناها من العقول بالمرّة .

ولابد لنا من القول : ان جعفر بن محمد انكر هذه الدعوى الغالية وتبرأ منها وحذر اصحابه من الوقوع فى اشراكها ، ومن الاحاديث الموضوعة والروايات المدسوسة فى أخبارهم وفى حديثهم ، وهى روايات يدسها الغلاة المذكورون^(٤) وامثالهم ، وقد اعتبر هذا الامام من القرآن ميزانا عادلا يوزن به ما يروى عنه وعن أهل بيته فما وافق احكام القرآن من الاحاديث قبل وما خالفه رد وما خرج عن حدود المعقول ترك ، فما أهل البيت الا بشر مخلوق يجرى عليهم مايجرى على غيرهم من سنن الكائنات ، وان تفويض الخلق والرزق الى المخلوقين - كما يقول هؤلاء الغلاة - شرك وفساد فى

(١) و (٢) منهج المقال (١٥٦) .

(٣) منهج المقال (٤١٧) .

(٤) قف على جملة من اسماء هؤلاء الغلاة فى تعليقات البهبهانى على منهج المقال

(٨ - ٩) وفى مواضع اخرى من هذا الكتاب .

العقيدة (١)

وفى كتب الحديث - على ما يبدو لنا - ما يدل على ان الامام المذكور كان معنيا بملاحقة زعماء هذه الفرق وهؤلاء الغلاة الكذبة الذين ظهروا فى عصره وعصر أبيه رتعمدوا الدس والافتراء ، - وقد تقدم ذكر بعضهم - ومنهم الحرث الشامى وعبدالله بن الحارث وحمزة بن عثمان الزبيرى وبيان النهدى زعيم البيانية ، وقد قتل أكثر هؤلاء ، وبيان النهدى عاش الى زمن المأمون وقتله ابراهيم بن المهدي المعروف فى كتب المؤرخين بابن شكلة الذى خرج على المأمون وبويع له فى العراق (٢) .

ولاشك ان الامام جعفر بن محمد نسج فى التحذير من الغلو والغلاة على منوال سلفه الصالح فان جده على بن ابي طالب قتل واحرق جماعة منهم ، وتروى للامام أبى جعفر محمد بن على أقوال تعد آية فى النصح والحث على القصد والاعتدال واجتناب الغلو والافراط ، ومن ذلك قوله لاصحابه : « كونوا التمرقة الوسطى اليكم يرجع الغالى وبكم يلحق التالى » قالوا له : وما الغالى ؟ فقال : « الذى يقول فينا مالا نقوله فى أنفسنا ، والله ما بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله من حجة ولا نتقرب اليه الا بالطاعة فمن منكم كان مطيعا لله نفعته ولايتنا ومن كان عاصيا لم تنفعه ويحكم لا تقنروا » (٣) .

ومن احاديثهم المروية فى الحث على الاعتدال قولهم : « المفرط فى حبنا كالمفرط فى بغضنا » وهو يشبه الحديث المشهور « هلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال » ، ومن ذلك « انزلونا بالمنزل الذى انزلنا الله فيه ولا تقولوا فينا ما ليس فينا » (٤) .

ويفهم من حديث مبسوط مروي عن جعفر بن محمد ان منشأ هذا الاختلاف بين اصحاب هذه الفرق وعلة العلل فى دس الاخبار ووضع الاحاديث المنكرة هو حب الرياسة وطلب الجاه ، وهو حديث معتبر ختمه بقوله : « كل يحب ان يدعى برأى ، انه ليس من عبد

(١) قف على حديث مبسوط يروى عن الامام المذكور فى هذا المعنى فى موضعه من منهج المقال (٣٤٠) وراجع عن التنديد بالغلو والغلاة وضرورة عرض الاحاديث على القرآن كتاب الدرة النجفية للشيخ يوسف البحرانى (١٦٥) .

(٢) منهج المقال (٧٢ - ٧٣) ولابراهيم بن المهدي ترجمة فى تاريخ بغداد للخطيب (١٤٢/٦ - ١٤٨) وتجد أطول ترجمة له فى مذهب تأريخ دمشق (٢٦٣/٢ - ٢٨٣) .

(٣) نقله صاحب كشف الغمة (٢٢٠ - ٢٢١) عن كتاب نشر اللئالى .

(٤) كشف الغمة (٤١٤) ، وانظر مادة (غلا) ، و (نمرق) من مجمع البحرين

للطريحي .

رفع نفسه الا وضعه الله وما من عبد وضع نفسه الا رفعه الله وشرفه » (١) .

نزاع فى الفروع :

هو نزاع على ولاية صدقات أوقيمومة على أوقاف ، منها ما تصدق به النبى ومنها ما وقفه على ، وكانت صدقات جليلة لها غلات وافرة (٢) ورث هذا الجيل من العلويين الخصومة على ولايتها عن جيلهم السابق ، وقد ذكر أصحاب السير هذه الخصومات التى قامت بين القوم ، ذكروا خصومة عمر بن على بن أبى طالب لابن أخيه على بن الحسين السجاد وهو أول نزاع بينهم فى هذه الناحية الفرعية ، وذكروا النزاع بين الحسن المثنى - بعد ذلك وبين عمه عمر المذكور ، ولحسن المثنى - وهو صهر عمه الحسين على احدى ابنتيه وممن شهد معه واقعة الطف بيد أنه سلم منها - قصة مشهورة (٣) فى هذا النزاع مع الحجاج بن يوسف ومع عبد الملك بن مروان ، وذكروا نزاعا آخر بين زيد بن الحسن بن على (٤) - وهو أخ للحسن المثنى - وبين ابن عمه أبى هاشم عبدالله بن محمد ابن الحنفية فان ولاية هذه الصدقات قد انتهت الى الاول فى زمن الوليد بن عبد الملك فنازعه الثانى مما اضطر زيدا ان يشخص الى الوليد فى الشام مكثرا على ابن عمه قائلا : انه يدعو الى نفسه ، الى اقوال اخرى صدقها الوليد فأمر باشخاص أبى هاشم اليه وحبسه فى الشام ، وقد تم الافراج عنه بسعى ابن عمه الامام على بن الحسين فانه سلك فى دحض هذه التهم عن أبى هاشم مسلكا لطيفا نفى فيه دعوة ابى هاشم الى نفسه وحمل الوشاية به على مايقع عادة من الوحشة والجفاء بين الاهل وذوى الارحام فى قصة

(١) انظر هذا الحديث فى ترجمة زرارة بن اعين من كتاب منهج المقال (١٤٢-١٤٣) .

(٢) أنظر عن أعيان هذه الصدقات الكامل للمبرد وشرحه المسمى رغبة الآمل

(٣٥/٧ - ١٣٨) وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (٢٣٢/٣ - ٢٣٤) ووفاء الوفا

للسمهودى (٣٤٩/٢) ويراجع فى هذا الباب باب الوقوف فى كل من فروع الكافى

للكلىنى وبحار الانوار للمجلسى وكلمة (ينبع) من معجم البلدان .

(٣) قف عليها فى الارشاد للشيخ المفيد (١٧٥ - ١٧٧) وفى كشف الغمة (١٧٢) ،

وللحسن المذكور سيرة مفصلة فى كتب التاريخ والانساب ، وله ترجمة مبسطة فى

مذهب تاريخ دمشق لابن عساكر (١٦٤/٤) .

(٤) انظر عن زيد بن الحسن وولايته لصدقات النبى الارشاد للشيخ المفيد (١٧٤ -

١٧٥) وكشف الغمة (١٧٢) .

طويلة^(١) ، ويلاحظ ان الكيسانية وهم القائلون بامامة محمد ابن الحنفية يدعون انه أوصى الى ابنه هذا أبى هاشم بن محمد ، فهم يقولون بامامته وتسمى هذه الفرقة « الهاشمية »^(٢) ولا شك انها من الفرق البائدة وقد اختلف فيمن اوصى اليه ابو هاشم من بعده اختلافا كبيرا .

ومن اعنف الخصومات والمنازعات - التي ذكرها المؤرخون بين العلويين بشأن هذه الصدقات او الاوقاف - النزاع الذي قام بين زيد بن علي بن الحسين وزيد بن الحسن المثنى ، وكان زيد بن الحسن عنيقا في خصومته لسميه زيد بن علي ، وحاول تهجين نسبه من جهة امه وانها كانت سندية فاعرض زيد بن علي عن هذا النزاع واعرض معه بقية اخوانه وابنائهم وامتنعوا من الحديث مع زيد بن الحسن .

انتقل هذا الجفاء الى بعض ابناء زيد هذا وهو الحسن بن زيد بن الحسن والى المدينة للمنصور فكان من أشد ولاته على ابناء عمه من الطالبين في المدينة ومن أكثرهم طلبا للولاية على هذه الصدقات وعلى غيرها من الولايات في عصر الامويين كما ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين^(٣) .

امتازت مراجعات المتخاصمين وخطبهم في هذه الخصومة التي جرت في المدينة وفي ديوان اميرها أو قاضيتها في عصر الوليد بن عبد الملك ببلاغة نادرة ، ويروى المؤرخون ان الناس كانوا يتجمعون ليسمعوا بلاغتهم في المرافعات المذكورة^(٤) - كما يفعل النظارة الآن في المرافعات الكبرى - وكان امراء بنى أمية وعمالهم في الواقع لا يكتفون

(١) يراجع عنها مذهب تأريخ ابن عساكر (٤٦٠/٥ - ٤٦١) ، ويراجع عن ترجمة أبى هاشم المذكور مقاتل الطالبين (٩١ - ٩٢) ط النجف ، وله ترجمة تجدها في موضعها من تاريخ دمشق لابن عساكر .

(٢) انظر عن الهاشمية كتاب الفرق للنوبختي (٣٠ - ٣١ ، ٥١ - ٥٢) وتراجع حوادث سنة ٩٩ من الكامل لابن الاثير .

(٣) راجع عن هذه الوحشة والجفاء بين الطالبين والعلويين حسنين وحسينيين المصادر الآتية : مذهب تأريخ دمشق لابن عساكر (٤٦/٥ و ١٦٤/٤) ، تأريخ الطبرى (٢٦٢/٨) ، العمدة لابن عنبه ، نور الابصار (١١٢) وراجع ترجمة « زيد ابن الحسن » في محلها من مذهب تأريخ دمشق (٤٥٩/٥ - ٤٦٤) وعن خصومة عبدالله ابن الحسن المثنى مع زيد بن علي بن الحسين الكتاب المذكور (١/٦ - ٢) ولزيد بن علي ترجمة في التهذيب المذكور (١٥/٦ - ٢٥) .

(٤) شرح ابن ابى الحديد على نهج البلاغة (٤٨٢/٣) .

غبطتهم أو شمتتهم بهذه الخصومات العنيفة بين العلويين ، وكان ضلعهم على الأكثر مع بنى الحسن المذكورين نكايه بنى الحسين ، فهم يعلمون ان بنى الحسين كانوا وما زالوا موتورين بمقتل ابى عبدالله الحسين .

تخاصم زيد بن على بن الحسين بشأن هذه الصدقات مع اثنين من ابناء الحسن المثنى احدهما زيد بن الحسن المذكور ، تخاصما عند أمير المدينة - كما رأينا - اما الثانى فهو اخوه عبدالله بن الحسن ، وكانت المرافعة هذه المرة بين زيد وعبدالله فى دمشق وفى مجلس هشام بن عبدالملك وترتب على وقوعها فى الشام نتائج خطيرة اذ تجسم لزيد تحيز الامويين واضحا فى هذه القضية أضف الى ذلك ان زيدا أودى فى دمشق وجوبه بكلام فارص من هشام ، وهى مشادة انتهت - كما لا يخفى - بشورة زيد المعروفة فى الكوفة .

من هم بنو الحسن ؟

يعيننا من ذكر هؤلاء الطالبين والعلويين حسنيين وحسينيين فى هذه الفصول ، انهم ممن سنوا للعرب وللناس كافة ، سنة الانفة والاباء ، وعلموهم معنى الصبر والنجدة واختيار الموت على الحياة الدنية ، وتقبل مذاهب الاجداد فى اباء الضيم والعزوف عن الذل ، فمنهم القائل : « ذل من أحب الحياة » ومنهم من قال : « لا اعطيكم اعطاء الذليل » كرهو الدنية وفضلوا عليها المنية ، الى غير ذلك من محاسن الشيم والاخلاق .

يعرف كثير من العلويين - فى الكتب المؤلفة فى أنسابهم خاصة - بالقب لا تعرف فى كتب التأريخ العامة ، ومن ذلك عبدالله بن الحسن أبو الاخوين محمد النفس الزكية وابراهيم قتيل باخمري ، فهو فى كتب الانساب « عبدالله المحض » وفى كتب التأريخ عبدالله بن الحسن ، ويعرف أبوه الحسن « بالحسن المثنى »^(١) فى كتب الانساب لمطابقة اسمه لاسم أبيه ، ويعرف أخوه الحسن بن الحسن « بالحسن المثلث » فى كتب الانساب ولا يعرف بذلك فى كتب التأريخ ، ومن ألقابهم « موتم الاشبال » و « ذو الدمعة » و « الاطروش » و « الغمر » و « الجون » و « الديباج » و « الأعرج » و « الافطح » وهى ألقاب لا تعرف فى كتب التأريخ الكبرى حيث تجد أسماءهم مجردة من هذه

(١) له ترجمة مفصلة فى تأريخ دمشق لابن عساكر (١٦٢/٤ - ١٦٦) وترجم

له ابن حجر فى تهذيب التهذيب (٢٦٣/٢) شهد مع عمه كربلاء ولم يقتل لاسباب ذكرها المؤرخون ، وله ذكر فى مقاتل الطالبين وعمدة الطالب وغاية الاختصار وكتب اخرى .

الألقاب ، اما فى كتب الانساب فانها ألقاب معروفة مقرونة بذكر أسبابها •
أعيان بنى الحسن وأشهر مشاهيرهم فى صدر الدولة العباسية - عبدالله المحض
وأبناءؤه واخوته وأبناءؤهم - كانوا على جانب كبير من الواجهة والرياسة ونفاذ الكلمة ،
بويح بعضهم بالخلافة •

امتاز هذا الفرع من العلويين بمناوئة العباسيين وخروج من خرج منهم واحدا
بعد آخر فى الدولة العباسية طلبا للخلافة ، ويلاحظ ان أوائلهم كانوا أقل تبرما بحكم الامويين
منهم بحكم العباسيين فقد عوملوا فى الدولة الاموية معاملة خاصة تختلف عن معاملة
غيرهم من العلويين والطلبين وخصوصا سلالة ابي عبدالله الحسين فهى سلالة متوترة
بمقتل من قتل فى واقعة الطف وبمقتل من قتل فى واقعة الكناسة فى عصر هشام
ابن عبدالملك ، وسرى فى الكلام عن عبدالله بن الحسن ما يؤيد ذلك •

كابد بنو الحسن ما كابدوا فى سبيل تضامنهم ازاء العباسيين وبقاء رابطة العشيرة
قائمة وثيقة فيهم مهما تحملوا فى سبيلها ، فقد كانوا مثلاً فى التضامن اذا استثنينا بعض
من شذ منهم^(١) وما لأ المنصور على بنى عمه ، ومن أجل ذلك حاول رجال
المنصور فى المدينة التفريق بين العلويين من حسنيين وحسينيين ، وميزوا بعضهم على
بعض فى المعاملات^(٢) ، ومن أجل ذلك نكل المنصور بهم ذلك التكيل الشديد حتى مات
كثير منهم فى السجون وقتل باقيهم بعد خروج محمد بالمدينة^(٣) •

كان ولاية المدينة من قبل العباسيين يتهيون بنى الحسن فى الحجاز ويخشون
بأسهم ويلاحظون منزلتهم وفى مقدمتهم عميدهم عبدالله بن الحسن فيعجزون عن ملاحقة
أولاده ، وهم يعدون العدة للخلاف والخروج على المنصور ، بل كان محمد النفس
الزكية وأخوه ابراهيم يترددان على المدينة بدون حرج وعلى مرأى ومسمع من الولاة
المذكورين اذ كان لواجهة أبيهم ونفاذ كلمته شأن يذكر فى دفع غوائل السلطان عنهم
فى المدينة وقد أحفظ ذلك المنصور وراح يحرق الارم عليه ، ومما زاد فى الطين بلة

(١) هو الحسن بن زيد بن الحسن ، الكامل (٢٤٣/٥) وتهذيب التهذيب لابن
حجر (٢٧٩/٢) وغاية الاختصار (٣٩ - ٤٠) وعمدة الطالب (٥٥) ومهذب تاريخ
دمشق (٤٥٩/٥ - ٤٦٤) •

(٢) تاريخ الطبرى (١٩٢/٩) والآداب السلطانية (١١٩) والكامل لابن الاثير
(٢٤٧/٥) •

(٣) تاريخ الطبرى (١٩٩/٩) •

وأزعج المنصور جدا تحزب جمهور كبير من أهل المدينة لبني حسن عليه وكثرة المؤامرات فيها ومحاولة الفتك به في بعض مواسم الحج حتى لم يعرج على هذا البلد في موسم سنة ١٤٤ وهو الموسم الذي كان التشكيل لبني الحسن إحدى الغايات من شهوده ، ومما يؤكد كون المدينة موالية لمحمد بن عبدالله بن الحسن معادية للمنصور دخول محمد لها من حين إلى آخر - كما مر ذلك آنفا - واجتماعه باصحابه وأنصاره وذويه فيها مع شدة الطلب والملاحقة له (١) .

نشأت من بني الحسن دويلات في الشرق والغرب ، ولهم في افريقية ومصر وبعض بلاد الروم والفرنج فتوح يحتاج شرحها إلى تأريخ منفرد (٢) ، نشأ منهم أئمة الزيدية في بعض الاقطار العربية والاسلامية كالادارسة ومؤسسى الدولة المشهورة في مراكش والمغرب الاقصى وأئمة الزيدية في اليمن وبلاد الديلم والاقطار الفارسية . هذا ويحسن بنا ايراد فذلكة عن أشهر مشاهير بني الحسن على الصورة الآتية :

عبدالله بن الحسن

يعرف في كتب الانساب بعبدالله المحض - كما مر - وأنه أول من اجتمعت له ولادة السبطين ومن هذا لقب « المحض » ، وكان المقدم بين بني الحسن علما وسخاء ومن المنعوتين بأوصاف حسنة منها العلم والبيان والخطابة ، ومما يشهد بذلك أنه أحد الثلاثة الذين حاول أبو سلمة عقد الامر لهم من العلويين ، وقد استجاب عبدالله بن الحسن لدعوة أبي سلمة ولم يلتفت إلى تحذير جعفر بن محمد إذ أعلمه أن أهل خراسان ليسوا من أنصاره وان أبا سلمة مخدوع مقتول ، والقصة مشهورة (٣) ، قبل عبدالله بن الحسن بعض اللطاف والكتب التي كتبها اليه بعض جواسيس المنصور على لسان انصاره فكانت حجة للمنصور عليه وأمر بحبسه ، وخلاصة القول وقع في فخ نصبه له المنصور وقامت عليه حجة حسب روايات بعض المؤرخين (٤) . وقد روى عنه فريق من الاعلام منهم أبناؤه ،

(١) تاريخ الطبرى (٢٠٢/٩) ، وانظر عن مجاملة ولاية المدينة لمحمد بن عبدالله وعن أسباب عزل المنصور لولائه عليها الكامل لابن الاثير (٢٤٣/٥ - ٢٤٥) .

(٢) راجع عن ذلك رسالة أوردها ابن أبى الحديد فى شرح النهج (٤٩٢/٣) .

(٣) يرجع اليها فى كتاب الوزراء والكتاب للنجاشياري (٨٦) ، وعمدة الطالب لابن عنبه (٨٨) ط النجف .

(٤) انظر عن جواسيس المنصور على عبدالله بن الحسن وابنائهم تأريخ الطبرى (١٨١/٩) ، والكامل (٢٤٤/٥ - ٢٥١) .

ويقول أبو الفرج الاصفهاني ان مالك بن أنس احتج برأى عبدالله بن الحسن في بعض المسائل الفقهية^(١) ، ويعدده الجاحظ من خطباء بني هاشم وقد روى له كلمة بليغة^(٢) وسيرته وأخباره في عصور الامويين والعباسيين معروفة في كتب التاريخ والانساب^(٣) ومن أشهرها وفوده على عمر بن عبدالعزيز وهشام بن الحكم في الدولة الاموية ، ثم وفادته على أبي العباس السفاح في الهاشمية بعد بيعته ، وقد صحبه في وفوده على السفاح اخوه الحسن المثلث وهو ممن مات في سجن المنصور بعد ذلك وكانت حفاوة السفاح بهما بالغة وان لم تخل من العتاب والسؤال والجواب بسبب تغيب محمد و ابراهيم ، وقد اعتذر الحسن المثلث عن ولدي أخيه بما يدل على علو منزلته ، قال صاحب غاية الاختصار : « كان الحسن المثلث جليلا نبلا ولو لم يستدل على شرفه الا بالجواب الذي قاله لابي العباس السفاح في قصة محمد و ابراهيم ابني أخيه لكفى »^(٤) .

كان لهذا الزعيم الحسنى - اعني عبدالله بن الحسن - رأيه الخاص في الحطة التي رسمها العباسيون لآبادة بني أمية واستئصالهم اينما وجدوا في عصر أبي العباس السفاح ، وهو - أي عبدالله - القائل لداود بن علي عم السفاح - وقد أمعن في قتل الامويين في الحجاز - : « يا ابن عمي اذا فرطت في قتل اكفائك فمن تباهى بسلطانك ؟ ، أو مايكفيك منهم أن يروك غاديا رائحا فيما يسرك ويسوؤهم »^(٥) ، وهو في هذا القول يرى رأى سياسى بعيد الغور .

(١) هي مسألة « السدل » في الصلاة يرجع في ذلك الى المقاتل لابي الفرج (١٣١) ، ويكثر ورود السدل في كتب الحديث راجع هذه المادة في النهاية لابن الاثير وفي مجمع البحرين للطريحي .

(٢) البيان والتبيين (١٢٧/١) .

(٣) قف على بعض اخباره في الاغانى (١٨ / ٢٠٣ - ٢٠٩) ، والاصابة (١٣٣/٥) ، المعارف (٩٣) ، وطبقات ابن سعد (٢٣٥/٥) ، وله ترجمة في تاريخ الخطيب (٤٣٣/٩) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٥٤/٧ - ٣٦٣) ، ومقاتل الطالبين لابي الفرج ، وعمدة الطالب لابن عنبه ، والكامل لابن الاثير (٢٤٦/٥ - ٢٥١) ، وشرح النهج لابن ابي الحديد (٤٧٣/٣ - ٤٨٨) .

(٤) للاطلاع على تفصيل القصة يرجع الى غاية الاختصار (٣٤ - ٣٥) والحديث منقول في كثير من كتب الاخبار والتاريخ .

(٥) شرح النهج (٢١٣/٢) ، وانظر هذا الموضع من الكتاب عن أشهر أمراء بني العباس في النكاية بالامويين وفي مقدمتهم داود وسليمان وعبدالله ابناء علي بن عبدالله ابن عباس ، وهم أعمام السفاح ، وراجع الآداب السلطانية لابن الطقطقى (١٠٨ - ١٠٩) .

قلما عانى أحد من وجوه بني الحسن ما عاناه عبدالله هذا من الخليفة أبي جعفر المنصور فإنه حبسه حبسا شديدا في المدينة ثم حمله وافراده إلى العراق على حالة يرثى لها ، وحبسهم في الهاشمية حتى الموت ، وقد أذاقهم من الأذى في حبسهم ما تقشعر له الأبدان مما نعلم منه مبلغ حقد أبي جعفر المنصور على عبدالله بن الحسن وابنائهم (١) .

لم يفعل المنصور ما فعله من هذا القليل ولم يرتكب ما ارتكبه إلا بعد أن لمس في عبدالله بن الحسن لدا في الخصومة وصلابة في العقيدة وتصميما على المعارضة ، فقد أخفق المنصور في حمله على تسليم أبنائه أو الأيما إلى الجهات التي يقيمون فيها ، وطالما طلب إليه احضار ابنه بالتهديد والوعيد وطالما جرى بينهما كلام غليظ فما أجدى ذلك كله وحاول أن يقتله قبل حبسه ثم عدل عن ذلك (٢) .

كان تخلف محمد و إبراهيم ولدى عبدالله بن الحسن عن القدوم على أبي جعفر المنصور - بعد مبايعته بالخلافة في الكوفة وتشجيع عبدالله لابنيه المذكورين على الخلاف والثورة حتى قال لهما فيما قال : « ان منعكما أبو جعفر ان تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين » (٣) - في أولى البوادر التي أثارت شك المنصور وريته في نيات بني الحسن ، ثم توالى عليه أخبار وأنباء بعث بها إليه عيونهم وأرصاده أكدت له خلاف بني الحسن وان محمد بن عبدالله عازم على الثورة (٤) ، وكان بعض بني الحسن أنفسهم - وهو الحسن بن زيد بن الحسن - يؤكد لأبي جعفر المنصور ان بني الحسن ثائرون عليه لا محالة فيقظ الحسن منه عينا لاتنام ، وفي الحسن هذا يقول موسى بن عبدالله ابن الحسن - ثالث الاخوين محمد و إبراهيم - : « اللهم أطلب حسن بن زيد بدمائنا » (٥)

(١) للاطلاع على سوء معاملة هؤلاء المساجين من العلويين والتنكيل بهم داخل السجون يرجع إلى مروج الذهب للمسعودي (١٧١/٢ - ١٧٢) ، وانظر المقاتل لأبي الفرج (١٤٨ - ١٥٥) ط النجف ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (٤/٢) ، والآداب السلطانية (١١٨ - ١١٩) .

(٢) عقد أبو الفرج في مقاتله فصلا عنوانه : « ذكر السبب في أخذ عبدالله بن الحسن » (١٤٢ - ١٥٩) .

(٣) مقاتل الطالبين (١٥٥) .

(٤) المصدر نفسه (١٤٦ - ١٤٧) .

(٥) الكامل (٢٤٣/٥ - ٢٦١) .

ولا شك انه كان عينا للمنصور يرفع اليه أخبار بنى الحسن (١) ، وللحسن هذا ابن مشهور اسمه القاسم ورث عنه هذه الخصومة لابناء عمه وهو الذى حمل البشارة بمقتل النفس الزكية الى المنصور (٢)

والواقع ان للحسن بن زيد أولادا آخرين لم يتبعوا طريقة والدهم فى مجافاة بنى الحسن بل انهم التحقوا بثوار المدينة وكانت لهم صلة وثيقة بالنفس الزكية (٣) ، والحق ان المنصور كان بالغ القسوة شديد العقوبة والمؤاخذة لا يستطيع ضبط نفسه اذا رأى زعيما من زعماء بنى الحسن وخصوصا ابا محمد هذا ، بل كان لا يتردد من ضربهم واهانتهم وتعذيبهم وزجهم فى السجون المطبقة فى الحجاز والعراق ، وقد عبر عما يكن من حنق وحقد غالب عليه بقوله - والسياط تنهال بأمره على أحد بنى الحسن فى الربرة - : « هذا فيض فاض منى فافرغت منه سجلا لم استطع رده » (٤) *

النفس الزكية :

أنجب عبدالله بن الحسن هذه السلالة التى قادت الجيوش وكانت شجى فى حلق الطبقة الاولى من بنى العباس ، ولا شك ان المنصور قمع ثورة غير واحد من بنى الحسن - وفى مقدمتهم النفس الزكية « قتل أحجار الزيت » ، واخوه ابراهيم قتل « باخمري » - الا انه قد استطاع غير واحد منهم أن ينشأ ملكا عريضا فى غير ناحية من نواحي العالم الاسلامى شرقا وغربا ، فكانت لبعضهم دولة فى المشرق وكانت لاخرين منهم دولة أخرى تعرف بدولة الادارسة فى المغرب ، وكان لبعضهم ملك كبير فى جهات اخرى . لاشك أن أبعد بنى عبدالله شهرة وأبقاهم ذكرا هو محمد المعروف بالنفس الزكية الذى ناضل نضال الابطال - حتى مات - فى طلب الامامة . ولدت مع مولد محمد بن عبدالله هذا فكرة الدعوة بالامامة وقدر أهله - وفى

(١) تاريخ الطبرى (١٤٤/٩) *

(٢) الكامل (٢٦٠/٥) ، وراجع عن القاسم هذا كتب الانساب ، ومن ذلك عمدة الطالب (٥٥) ط النجف وانظر عن جهود القاسم بن زيد بن الحسن هذا فى جانب العباسيين وذلك فى واقعة المدينة تاريخ الطبرى (٢٢٢/٩ - ٢٢٩) *

(٣) تأريخ الطبرى (٢٣٢/٩) ، وانظر عن شدة اييهم الحسن على أبناء عمه المصدر نفسه (٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥) *

(٤) تاريخ الطبرى (٢٢٦/٩) *

مقدمتهم أبوه عبدالله الذي كان يطوف به على الاحياء - انه المهدي الموعود ، وتقبل كثير من الحجازيين وأهل المدينة خاصة هذه الدعوة ووقعت من نفوسهم موقعا حسنا وصادفت هوى من قلوب المدنيين •

لكن محمد هذا وهو ناشئ أنه المهدي والقي في روعه وهو حدث الى أن شب وترعرع انه الذي تحدث بظهوره الروايات فلا سبيل الى مناقشته في هذا الامر ، بل كان من السهل وصم من يشك في امامته بالمروق عند كثير من أهل الحجاز والمدينة ، ومن شأن كل ناشئ على هذا النمط من التربية والتلقين أن يكون راسخ العقيدة شديد الايمان بحقه ، وهكذا كان محمد بن عبدالله بن الحسن نشأ وهو واثق انه خليفة زمانه ثم يتطرق اليه شك في ذلك وفي أن له حقا مغضوبا وأن غاصبه هو المنصور ، فلا مناص له من الخروج في سبيل الحق ، اضاف الى ذلك أنه كان في الواقع على قسط لا يستهان به من العلم والنسك والدين ، ومن ذلك لقبه النفس الزكية ، وحسبك أن تتصفح الرسائل القيمة المتبادلة بينه وبين أبي جعفر المنصور قبل خروجه لتجزم بأنه عزيز العلم قوى الحجة بصير بالاخبار والانساب^(١) ، لذلك مال الهاشميون المؤتمرون في الحجاز في ذيل الدولة الاموية الى ترشيحه للخلافة وبايعه من بايعه منهم ، وفي مقدمتهم أبو جعفر المنصور نفسه •

كان محمد بن عبدالله موقنا بان بيعة المنصور له لا يمكن نقضها شأنه في ذلك شأن ذوى العقائد أو المبادئ الراسخة والمثل العالية وانها عقد لا يصح ابطاله وان الخلافة أصبحت حقا له لا ينازع فيه ، والحق فوق القوة ، وكان المنصور على نقيض ذلك من الزعماء أو الساسة الواقعيين الذين يرون ان الحق للقوة وان العهود والمواثيق لا تعدو قصاصة ورق من السهل تمزيقها ، وهكذا كان ، فما أبعد الفرق بين المزاجين والحلقين ! من ذلك عنى أبو جعفر بملاحقة عبدالله بن الحسن وأبنائه أشد العناية - على ما رأيت - ، وكان بينه وبين سلفه أبي العباس السفاح بون بعيد في هذا الشأن •

بنو الحسن في خلافة السفاح :

كان أبو العباس لين العريكة اذا قورن بأبي جعفر المنصور لم يسرف كأخيه في سفك الدماء - اذا استثنينا وقائعهم مع الامويين - ، والحق ان المنصور يختلف عن

(١) تجد هذه الرسائل في تاريخ الطبرى وراجع عنها ذيل الصفحة (٦٣) من هذا الكتاب •

سلفه اختلافا ظاهرا من هذه الناحية ونحن نرى السفاح لا يعمل بكثير من آراء أخيه المنصور ولا يوافق على صرامته وشدته ، أراد المنصور على قتل أبي مسلم الخراساني فنهأ عن ذلك قائلا : « يمنعني عن قتله سابقته في الدعوة وجهاده في قيام الدولة » ، ولم ينزل أبو العباس السفاح كذلك على رأى أخيه في قتل وزيره أبي سلمة الحلال - وهو الذي حاول نقل البيعة الى العلويين - على ان السفاح لم يكن مصرا على ذلك ولهذا تولى قتله بعض العباسيين غيلة - بعد استشارة أبي مسلم الخراساني - في الكوفة (١) ، ولا شك أن المنصور حاول الفتك بمن لقيه من بني الحسن في ولاية عهده للسفاح ولكن كان يحسب لغضب أخيه حسابه .

لما استخلف أبو العباس السفاح وفدت عليه - وهو في الانبار قاعدة ملكه الجديدة - وفود العرب من كل فج وكان في طبيعتها وفد كبير من الطالبيين والعلويين ، وكلهم من أهل المدينة يتقدمهم عميد بني الحسن عبد الله بن الحسن وأخوه الحسن ، ويلاحظ ان الوفد اقتصر على فريق من مشيخة الطالبيين وآل الحسن - اما معظم الشبان وفي مقدمتهم أبناء عبدالله وأبناء أخيه فانهم تخلفوا عن المجيء الى العراق - وان السفاح احتفى بالوفد المذكور حفاوة بالغة وكان يتفضل أمام عبد الله بن الحسن ويستقبله بمبازلة محاولا ازالة الجفاء والوحشة بين البيتين ومن ذلك انه احتمل اثناء هذه الحفاوة بضيوفه في الانبار اقوالا لا معنى لصدورها منهم الا التعريض بالدولة العباسية ، وقد اسمعه الضيفان الكيران ما يوهم نزول العباسيين عن ملكهم الى غيرهم في مستقبل الايام (٢) ، ويلاحظ ايضا ان الحديث على تشعبه بين هؤلاء الهاشميين في مدينة الانبار لم يتناول موضوع « البيعة » وان المؤرخين الذين عنوا برواية أخبار عبدالله ابن الحسن وأخبار من معه من الطالبيين في وفادتهم هذه لم يشيروا الى البيعة ولا شيء أهم من الدخول فيها اذ ذاك ، ومن رأينا أن هؤلاء العلويين والطلبيين اشترطوا في هذه الوفادة عدم التعرض للبيعة كما ان السفاح لم يكن ملحا عليهم في ذلك ، ولذلك اعتبرت هذه الزيارة « أخوية بحتة » أو « شخصية » ولو كان المنصور مكان السفاح

(١) انظر عن مشاركة أبي مسلم في مقتل أبي سلمة كتاب الامامة والسياسة (١٣١/٢) والكمال (٢٠٨/٥) وراجع هامش الصفحة (٦١) من هذا الكتاب .
(٢) من المراجع في هذا الباب تأريخ بغداد للخطيب (٢٩٣/٧) ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج وغاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار (٢٨) .

فى ذلك الحين لاصر على الدخول فى البيعة ولضرب أعناق القوم - لو امتنعوا - فورا أو القاهم فى السجون المطبقة والمطامير ليموتوا فيها ابشع ميتة كما قام بعد استخلافه بذلك .
كان زعماء العرب لا يرون فى وفادتهم على أقرانهم وأندادهم وقبول الرشد والهدايا منهم شيئا من الغضاضة لذلك نرى أبا العباس السفاح رضى للوقد بمبالغ طائلة من المال ^(١) ، ومن أهم العوامل فى هذا السخاء أن المال كان ينفق فى الحجاز وهو بلد فاحل جل سكانه من ذوى الفقر والخصاصة ولكنه مهبط الوحى ومبعث الرسالة .

هذا ولا بد لنا من القول : ان السفاح أظهر قلقا ووجلا عظيمين من تخلف المتخلفين من شباب بنى الحسن وفى مقدمتهم الأخوان محمد وإبراهيم ابنا عبدالله فألحف فى الاستفسار عنهما وعن أسباب تخلفهما ، ومن حق السفاح ان يساوره القلق فانهما تخلفا لأمر عظيم اذ كان محمد بن عبدالله مشغولا ببث الدعوة لنفسه فى الحجاز والعراق وفى الأهواز وفارس وفى أقطار أخرى - وكان له ولا نصاره نشاط ملحوظ فى هذه الاقطار يجرى أكثره فى الحفء وان لم يخف على عيون بنى العباس ^(٢) - كما كان معنيا بأعداد عدته للخروج ، ولم يكن الغرض من ذلك الا الحاف تفقدا أو حبا وانما هو الاطمئنان والوقوف على مذهب الأخوين أو نيتهما فى طلب الخلافة ، وفى وسعك ان تحكم على سياسة السفاح ومبلغ مجاملته لبنى الحسن من تظاهره بقبول المعاذير عن الأخوين الغائبين على مضض فان الحسن المثلث أفهم السفاح بان محاولاته فى الوقوف على أمرهما من العبث ^(٣) ، ولذلك أراح السفاح نفسه باليأس من الظفر بالأخوين بعد الحديث المذكور مع أضيافه فأعرض عن طلبهم الى أن فرق بينهم الموت ، وتعزى مجاملته لبنى الحسن الى خبرته بدخائل بنى عمه الهاشميين والمامة بما يخالج نفوسهم من الشعور بالائفة ، ولذلك نرى كثيرا من هؤلاء الطالبيين والهاشميين يخاطبون خلفاء بنى العباس مخاطبة النظراء الاكفاء أو مخاطبة الأنداد ، وقد يرون فى آل عباس أتباعا لا متبوعين ومرؤسين لا رؤساء فيما مضى من خلافة الامام على وبعض الائمة من أبنائه ،

(١) غاية الاختصار (٢٨ - ٢٩) .

(٢) الكامل (٢٤٥/٥) وراجع الصفحة (٩٤) من هذا الكتاب .

(٣) انظر فى ذلك تأريخ الطبرى (١٨٤/٩ ، ٤٣٣) وتأريخ بغداد للمخطيب (٢٩٣/٧ - ٢٩٤) والمقاتل لأبى الفرج (١٣٣ ، ١٧١) قال أبو الفرج : « خافه الأخوان وتواريا عنه وكانت بينهما - أى بين السفاح وعبدالله بن الحسن - مخاطبات » .

قمن أشق الأُمور على وجوه العلويين أو الطالبيين أن يروا أنفسهم تابعين مرؤسين للعباسيين بعد ذلك ، وقد تعزى المجاملة المذكورة فيما تعزى اليه الى تأثير عبدالله بن الحسن نفسه فقد اشتهر - كما مر بك ان لحديثه تأثيرا كتأثير السحر فى النفوس حتى كان الأمويون والعباسيون يحسبون لبلاغته وعارضته وملاحاة أحاديثه حسابا (١) .

بنو الحسن فى عصر المنصور :

كان استخلاف المنصور بعد أخيه السفاح ايذانا بالانتقال الى عصر جديد يمتاز بشدته المتناهية واجتباب سياسة اللين والتهدة وتفضيل الحلول الحاسمة على أنصاف الحلول ، والواقع ان المنصور واجه فى مستهل خلافته اخطارا شتى منها القريب ومنها البعيد عنى بدفعها عن الدولة ، فهذا عمه الأمير الظافر عميد العباسيين بعد السفاح وقائد جيشهم وقاتل مروان الجعدى يمتنع من بيعة المنصور ويزحف على العراق مدعيا ان السفاح عهد بولاية العهد لمن يظفر بالأمويين وهو الظافر بهم غير مدافع ولذلك فهو أولى العباسيين بهذه الولاية ، وهؤلاء بنو الحسن وأنصارهم فى كل مكان لا يرون فى بنى العباس أهلا للبيعة بل يرون فيهم غاصبين ناكثين بالعهود والمواثيق ولا بد لهم من وثبة على هؤلاء الناكثين الغاصبين ، ثم هذه الفتن الناجمة والخوارج الخارجون فى شتى الأقاليم .

لا شك ان المنصور واجه هذه الأحداث والفتن فى مستهل خلافته بجأش رابط وعزيمة ماضية فتغلب على عمه بأبى مسلم الخراسانى ثم ثنى بأبى مسلم ففكك به وبانصاره ثم قمع فتنا شتى فى الشرق والغرب تفرغ بعدها لمناجزة بنى الحسن وقد كونت حركتهم خطرا من أعظم الأخطار على الدولة ، وكان هذا الخليفة فى كل هذه الأحداث ثابت

(١) من المراجع فى هذا الباب تأريخ الطبرى (١٨٤/٩ ، ١٩٣) وشرح النهج لابن أبى الحديد (٤٧٤/٣ - ٤٧٥) قال شارح النهج شككا الى عمر بن عبدالعزيز رجل من رهطه ديننا فاعتل عليه فقال الرجل فهلا اعتللت على عبدالله بن الحسن قال عمر : ومتى شاورتك فى أمرى ، وهل أعطيته الا بعض حقه ؟ قال الرجل : ولم تأخرت عن كله ، فأمر باخراجه وما زال محروما منه حتى مات ، قالوا : واعطى هشام بن عبد الملك عبدالله هذا أربعة آلاف دينار وانما اشترى بها ملكه وحصن بها عن نفسه الى غير ذلك .

الجنان يعتمد على القوة ولا محل عنده للعفو والرحمة^(١) .

من رأى أبى جعفر المنصور ان الأساس الذى قامت عليه دولة بنى العباس وأخذت بموجبه البيعة لخلفائهم لم يزل مهتدا بالانهيار اذا أصر بنو الحسن على المطالبة بحقهم فى البيعة - وانهم لمصرون فعلا - طبقا لذلك الميثاق الذى اتخذته الهاشميون فى أيام بنى أمية والى هذا الميثاق يستند بنو الحسن ومحمد بن عبدالله فى طلب البيعة وانها لبيعة يعرفها العرب والهاشميون بأسرهم فى ذلك الحين ، وأول من عقدها للنفس الزكية هو السفاح ، ويقال ان المنصور بايعه مرتين احدهما بمكة فى المسجد الحرام فلما خرج أمسك له بالركاب ثم قال : « اما انه ان أفضى اليك أمر نسيت لى هذا الموقف »^(٢) ، ومن هذا نعلم ان مناط السياسة ومحورها الذى تدور عليه فى مذهب المنصور هو المصلحة لا غير ، فهو يساوم ويماكس ولا يقيم وزنا لغير هذا النوع من السياسة سياسة المنفعة لاسياسة العاطفة . كان خبر هذه البيعة - بيعة المنصور للنفس الزكية - من جملة الأخبار المشهورة المتعلمة فى ذلك العصر ، ومن الأدلة على ذلك حديث عثمان بن محمد بن الزبير مع أبى جعفر المنصور ، وهو حديث يدل على ثبات نادر وجرأة بالغة ، كان عثمان هذا من وجوه أصحاب محمد ولى الشرطة له وله ذكر فى بعض كتب الأخبار^(٣) ، وقد هرب الى البصرة بعد مقتل صاحبه فحمل منها الى المنصور فقال له « هيه يا عثمان ، أنت الخارج على مع محمد ؟ » قال : « بايعته أنا وأنت بمكة فوفيت ببيعتى وغدرت ببيعتك » قال : يا ابن اللخاء ، قال : ذلك من قامت عنه الاماء - يعنى المنصور - فأمر به فقتل ، وهذا الحديث يدل على أثر العقيدة فى هذا الضرب من أصحاب محمد

(١) قف على مارواه الطبرى فى تأريخه (٢٥٥/٩) من وصف بليغ لاخلق المنصور ، وراجع ما نقله الوطواط فى غرره (٢٥٩) وهذا نصه : كان المنصور قلما يظفر بأحد الا قتله ، وهذا ما كان فى أول خلافته وهو القائل لعبدالصمد بن على - وقد لاهه على اسرافه فى القتل والعقوبة حتى كانه لم يسمع بالعفو - « ان بنى أمية لم تبلى رممهم وان آل أبى طالب لم تغمد سيوفهم ونحن قوم رأونا بالأمس سوقة واليوم خلفاء ولا تتمهد الهيبة فى صدورهم الا باطراح العفو واستعمال العقوبة » .

(٢) مقاتل الطالبين (٢٠٩) .

(٣) المصدر نفسه (١٩٥) .

ابن عبدالله وعلى تفانيهم في ولائه والاخلاص له (١) .

أضف الى ما تقدم ما تناهى الى علم المنصور من أن للعلويين أو لبني الحسن في كثير من الأقطار أنصارا يدينون لهم بالولاء ويعشون لهم بركة الاموال وبمختلف الألفاف (٢) ويعنون كثيرا باخبارهم ويتحدثون باحاديثهم ، ومن هؤلاء من يرى رأى الزيدية في الخروج ، ومنهم من يرى موالاة هؤلاء العلويين على كل حال ، وكانت للقوم هبة ومكانة في صدور الناس (٣) ، والى تلك المكانة الرفيعة والبيعة القائمة لبني الحسن في أعناق الأول من بني العباس مرد هذا الحرص من المنصور على الظفر بمحمد وبأخيه ابراهيم ليطمئن على ملكه الجديد ويقيم على الأساس الذي يريد ، وقد تذرع الى تحقيق بغيته بشتى الوسائل ونصب مختلف الجبائل (٤) .

يدهش المتأمل في سيرة المنصور لعنائه البالغ بعد استخلافه - وقبل ذلك أيضا - بالتضييق على وجوه بني الحسن ، كان ذلك شغله الشاغل أينما حل ، ملاء الجزيرة بالعيون والأرصاد وبذل الأموال الطائلة وفرق الأعراب يفتشون عنهم في البوادي ، وكان أولئك العيون والأرصاد يتلقون تعاليم دقيقة من المنصور (٥) .

والحقيقة ان بني الحسن من ناحيتهم - وقد عقدوا النية وصمموا على الخروج - أذكوا لهم عيوننا وجواسيس يوافونهم بأخبار المنصور بل كان ابراهيم بن عبدالله نفسه يتغلغل في مملكة المنصور وفي قواعده العسكرية في الشام والعراق ، ويروى أنه تناول الطعام على مائدة المنصور مرة وحضر مجلسه متكررا ، وقد بلغ المنصور بذلك الا أنه عجز عن الظفر به ، ويلاحظ ان عامة الناس في العراق كانوا يساعدون ابراهيم على الافلات والنجاة (٦) ، وكان المنصور يقول : « غمض على أمر ابراهيم لما اشتملت

(١) قف على هذا الحديث في تأريخ الطبرى (٢٣٤/٩ - ٢٣٥) والكمال (٢٦١/٥) ، والمقاتل (٩٧) ، ولا حظ الاختلاف في سرد النصوص ، وفي رواية صاحب المقاتل

تفصيل لا يوجد في غيره من كتب التأريخ .

(٢) انظر ص (٩٣) من هذا الكتاب .

(٣) مقاتل الطالبين (٢٠٩) .

(٤) تأريخ الطبرى (١٩١/٩) .

(٥) انظر عن جواسيس المنصور على بني الحسن تأريخ الطبرى (١٨١/٩) ، والكمال

(٢٤٣/٥ - ٢٤٤ ، ٢٥١) .

(٦) من المراجع المفيدة في هذا الباب تأريخ الطبرى (٢٤٤/٩ - ٢٥٥) .

عليه طفوف البصرة» (١) .

عزل المنصور ولاية المدينة واحدا بعد آخر لقتورهم في طلب القوم ونسب هؤلاء الولاة الى الغش والمداينة ، والواقع أنهم دهشوا وأخذتهم الحيرة من هذا الولاء البالغ الذي ينعم به هؤلاء العلويون في الحجاز وتفضيل القوم لهم على العباسيين فلم يجد الحكام مساعدا لاراقة الدماء نزولا على هوى المنصور ، والغالب ان لعبدالله بن الحسن والد الأخوين المتواريين دخلا قويا في ضعف هؤلاء الولاة عن الاهتداء الى مكان ابنائه وعجز المنصور عن الظفر بهما ، ومرد ذلك الى منزلة عبدالله هذا وحرمة الكبرية في الدينة ولدهاء وعقل فيه ، فكان الولاة المذكورون يسمعون عنه ويطيعون (٢) .

المنصور يلح :

ما زال المنصور يلح وعبدالله يدافع ، وقد نجح المنصور أو كاد في اشاعة الاضطراب والارتباك في نفوس بعض بنى الحسن ، وكانت بين عبدالله بن الحسن وسليمان بن علي - عم المنصور وعامله على البصرة - قرابة قريبة ومصاهرة فاستشاره في اظهار ابنه على شرط ان يعفى عنهما فقال سليمان : لو كان المنصور من أهل العفو لعفى عن عمه عبدالله بن علي (٣) - وهو أخو سليمان هذا - فلم يسع عبدالله بن الحسن الا قبول هذا الرأي الذي ارتآه صهره وقريبه سليمان ، ومن ثم أمعن في تشجيع أولاده على الثبات والمضى في الخلاف وهان عليه السجن في هذا السيل وطال لبثه فيه على وجه أثار اشفاق أولاده ورثاءهم لحالته ، وكان محمد ابنه يزوره في سجنه بالمدينة وخطر له أن يسلم نفسه للمنصور ليخلص والده ولكن الوالد الجلد الصابر ظل وهو رهين السجن يحث أولاده على الثبات والمقاومة حتى الموت وقد اشتهر له في هذا الشأن كلمته التي خاطب بها ابنه قائلا « ان منعكما أبو جعفر ان تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين » (٤) . وكان عبدالله أول من بث الدعوة لابنه وبايعه ، ولذلك كان المنصور يكنيه « ابا قحافة » تشبيها له بعثمان بن عامر التميمي لان أبا بكر ابنه بويع وهو حي كما بويع النفس الزكية

(١) تأريخ الطبرى (٢٤٦/٩) .

(٢) الكامل (٢٤٦/٥ - ٢٤٨) وتأريخ الطبرى (١٨٧/٩) وراجع الصفحتين

(٩٢ ، ٩٣) من هذا الكتاب .

(٣) يراجع في هذا الباب المقاتل لأبى الفرج (١٤٦) والكامل (٢٤٣/٥) .

(٤) المقاتل (١٥٥) .

وأبوه على قيد الحياة (١) .

طلائع الثورة :

أجمع المؤرخون على أن طلائع الثورة الحسنية على الدولة العباسية بدأت بتضييق أبي جعفر المنصور على عبدالله بن الحسن وأهله وزجهم في سجنهم الأول بالمدينة - بعد استخلافه بنحو سبع سنين - متهما إياهم بتهم مختلفة ناسبها إليهم انهم يكيدون للدولة العباسية ويغونها الغوائل ، ولم يأمر المنصور بسجن عبدالله - بعد أن حاول قتله (٢) - إلا بعد أن أراحه على احضار ابنه وهدده وطالما تكاشفا وتغالظا في الكلام (٣) ، وقد أراد المنصور بالتضييق عليه في سجن المدينة أن يضطره الى تسليم ابنه ولما امتنع أشد امتناع أمر باشخاص بنى الحسن الى العراق وأشرف بنفسه على وضع الأغلال في أعناقهم والقيود في أيديهم وسامهم في الطريق من الحجاز الى العراق ألوانا من العذاب والتنكيل والقتل الى أن أودع من بقى على قيد الحياة منهم سجنه في قصر ابن هيرة أو الهاشمية (٤) ، وكان ذلك سنة ١٤٤ هـ .

بقى عبدالله بن الحسن في سجن المنصور ثلاث سنين ، وكان ينتحل لغياب ابنه شتى الأعذار ، مرة يقول : انهما منهومان بالصيد وطلبه وانهما هجرا لذلك الأهل والديار ، وتارة يقول : انه لا يعلم من أمرهما شيئا ، وطورا يدعى ان خوف المنصور اكرهما على الغياب وعلى الخروج الى اليمن والى السند والى العراق والى اقطار أخرى . كان محمد خيرا بالتكر والاختفاء جوابة للبوادي ورادا على المياه الأواجن وقد تزيا بشتى الأزياء (٥) ، تزيا بزى الأعراب والعمال وغيرهم ولم يزل يتنقل من موضع الى موضع الى حين خروجه بالمدينة .

ظهور محمد بالمدينة :

ألح أمير المدينة في طلب محمد وضيق عليه وأرهقه الطلب طبقا للأوامر التي

(١) غاية الاختصار (٢٥ - ٢٦) .

(٢) تأريخ الطبرى (١٨٣/٩) .

(٣) تأريخ الطبرى (٢٤٣/٩ - ٢٤٤) والمقاتل (١٤٨ - ١٥٠) والغرر للوطواط

(٢٥٩) والكمال (٢٤٧/٥) وغاية الاختصار (٢٩) .

(٤) الكامل (٢٤٨/٥ - ٢٤٩) .

(٥) انظر عن تنكر محمد بن عبدالله في مختلف الأزياء وعن مختلف الجبال والأودية التي يتنقل بينها تأريخ الطبرى (١٨٣/٩ ، ١٩٠ - ١٩١ ، ١٩٤ ، ٢٠٣) .

تلقاها من أبي جعفر المنصور بعد ففوله الى العراق بمن حملهم من بنى الحسن فلم يسع محمدا الا الخروج والثورة بعد أن بعث بأخيه ابراهيم يجوس خلال مملكة المنصور في العراق ، وهى الثورة التى قمعت على يد الأمير عيسى بن موسى - بعد ثلاثة أشهر - طبقا لما توقعه الامام جعفر بن محمد - وقد مر شرح ذلك - (١) .

تتضارب أقوال المؤرخين فى أسباب نجاح المنصور فى قمع ثورة بنى الحسن بمثل هذه السرعة فيقال : ان محمدا خرج قبل وقته الذى واعد أخاه ابراهيم على الخروج فيه وقيل خرج بسماعه وكان التأخير من أخيه (٢) ، ويبدو لنا أن أهل المدينة برموا من القلق والاضطراب وسئموا من الانتظار على وجه اضطر معه محمد الى الخروج (٣) ، ويقال أيضا ان أهل المدينة لم يكونوا أهل حرب كأهل العراق وكانت ذخائرهم ومؤنهم قليلة ، وقد اتصل ذلك ببني العباس من جواسيسهم فى الحجاز (٤) ، ومن أجل ذلك هان على المنصور اخماد الثورة فيها ، وفى كتب التاريخ روايات تدل على ان المنصور كان بارعا فى نصب المكاييد والخدع للتأثرين فكانوا يتلقون رسائل مذيلة بتوقيع قواد الجيش العباسى وأمرائه يحثون فيها بنى الحسن على الظهور ويخبرونهم أنهم من أنصارهم ، الى ذلك ونحوه مما جعل محمد بن عبدالله يعتقد بانحياز قادة الجيش العباسى الى جانبه اذا ثار (٥) ، وما كتبت تلك الكتب والرسائل اليه الا بأمر أبى جعفر المنصور .

عنى المنصور باستشارة أصحابه فى كيفية التغلب على محمد بن عبدالله فكانت لهم آراؤهم فى هذا الشأن ، وكثير منهم هون على المنصور أمر الثورة قائلين ان أهل المدينة ليس معهم آلة الحرب ولا قدرة لهم على الزحف ، وقد يستطيعون الدفاع مدة قليلة (٦) ، ومما يدل على ذلك ان علما كثيرا من سكان المدينة تركوها الى البادية والجبال لما دنا منها جيش المنصور يقوده ابن أخيه الأمير عيسى بن موسى ، ولم يبق مع محمد بن

(١) لاحظ الصفحات التالية من هذا الكتاب (٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٠) .

(٢) الكامل (٢٥٠) .

(٣) راجع المصدر نفسه (٢٤٤) .

(٤) المصدر نفسه (٢٥٣) .

(٥) تاريخ الطبرى (٢٠٥/٩) والكامل (٢٥١/٥) .

(٦) قف على آراء رجال الدولة الذين عنى المنصور باستشارتهم فى قمع الثورة

فى الكامل (٢٥٢/٥) .

عبدالله عدد يؤبه له وتفرق عنه جل أصحابه في أخرج لحظة (١) .

أضف الى ذلك ان أصحاب محمد اختلفوا في كيفية ادارة رحي الحرب داخل أسوار المدينة (٢) بيد ان محمدا مع ذلك كله ثبت ثبات المؤمن بحقه وقاتل قتال الابطال حتى قتل وقتل معه من أهل المدينة قوم لم يسع المنصور الا الاعتراف ببسالتهم ونجدهم البالغة (٣) .

بعض مميزات الثورة :

امتازت ثورة النفس الزكية ببعض المميزات الخطيرة وفي مقدمتها مشاركة عدد غير قليل من وجوه الدولة العباسية بالدعوة والبيعة له في الشرق والعراق والحجاز ومنهم عدد من احفاد الصحابة والتابعين وعدد من النساك والقراء والفقهاء ونقله الحديث والاثر ، وكان أعيان معتزلة البصرة من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد من دعاة وأنصاره ، ويقول بعض المؤرخين : بايعه الائمة من أهل عصره كمالك وأبي حنيفة ومن في طبقتهم (٤) .

خرج مع محمد جماعة من آل أبي طالب من أبناء الامام على ومن أولاد جعفر الطيار وخرج معه اثنان من أولاد زيد بن علي عيسى وحسين وخرج معه جماعة آخرون اعتقدوا امامته وقتلوا على ذلك ، ومنهم بعض من آل الزبير كعثمان بن محمد بن خالد ابن الزبير المتقدم ذكره ، وقد خرج أكثر من خرج معه على أنه المهدي الموعود .

ومن السهل تعليل هذا التأييد الذي لقيه محمد بن عبدالله من العلويين والطالبيين وغيرهم وكذلك الانحراف الذي منى به المنصور والعباسيون فان مردهما الى الاعتقاد أو الى القول بالامامة فاننا نعرف عن أولئك الفقهاء ونقله الاثر والحديث في ذلك العصر وأشال هؤلاء - ممن اعتزل الحكم وتجرد للتفقه والنسك والعبادة - أنهم يرون ان مناصب السياسة أهون من أن تراق في سبيلها ملء محجمة من الدم ، ولما كان الأمويون ومن بعدهم العباسيون على النقيض من ذلك في عدم التخرج من سفك الدماء في سبيل

(١) الكامل (٢٥٨/٥ - ٢٥٩) .

(٢) المصدر المذكور (٢٥٥ - ٢٥٨) .

(٣) المصدر ذاته (٢٦٠) .

(٤) خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام لابن دحلان ط القاهرة سنة ١٣٠٥ .

الملك والسلطان لم يسع أولئك الا المجاهرة بالخلاف والخصومة الغيفة ، وعقد غير واحد من المؤرخين فصولا خاصة سموها فيها من أجاب دعوة محمد بن عبدالله أو خرج معه من أعيان ذلك العصر وأئسته في عدة من الاقطار (١) ، وهي فصول تصلح للاحتجاج على متانة مركز بنى الحسن من الناحية المعنوية في العصر المذكور وان اضطربت آراء فريق من وجوه الطالبين في خروجه وامتنع من امتنع منهم عن تأييده (٢) .

عمال محمد بن عبدالله :

أرسل محمد قبل ثورته وبعدها عماله ودعائه الى مكة والى الشام واليمن والعراق ، ومن أشهر هؤلاء العمال والدعاة اخواه ابراهيم بن عبدالله وجه به الى العراق قيل ثورته وموسى ويعرف « بموسى الجون » في كتب الانساب ، وقد استعمله على الشام ، ومنهم محمد بن الحسن بن معاوية من أحفاد جعفر بن أبى طالب استعمله على مكة ، ويظهر من قوائم المؤرخين التى وردت فيها أسماء عماله أنه اختارهم من ذوى قرابه (٣) ولم يكتب لأكثر هؤلاء العمال نجاح يذكر فى الاقطار المذكورة ، فهذا عامله على مكة لم يقم الا يسيرا فيها حتى استدعاه محمد لما خرج اليه عيسى بن موسى ولكن محمدا قتل وعامله هذا فى طريقه الى المدينة فهرب الى العراق ولحق بابراهيم بن عبدالله وأقام عنده حتى قتل (٤) ، وقد منى موسى أخو محمد وعامله على الشام بالفشل أكثر من غيره ، تجهمه أهل الشام واستقبلوه استقبالا رديا وكان أثر الرعب والوجوم باديا على القوم منذ زوال الدولة الاموية واستئصال امرائها وابادتهم . تدلنا على ذلك رسالته

-
- (١) يرجع فى ذلك الى تأريخ الطبرى (٢٣٢/٩ - ٢٣٥) ، وقد سمي ابن سعد فى طبقاته من خرج مع محمد من أهل المدينة (١٧٣/٣) ط ليدن ، وفى مقاتل الطالبين (١٩٢ - ٢٠٦) ط النجف فصل عنوانه « ذكر من عرف ممن خرج مع محمد بن عبدالله بن الحسن من أهل العلم ونقله الا ثار ومن رأى الخروج معه وأفتى الناس » ، وعقد ابن الاثير فى الكامل (٢٦١/٥ - ٢٦٢) فصلا عنوانه « ذكر بعض المشهورين من كان معه » ، وانظر الصفحات التالية من تأريخ الطبرى (٢٠٣/٩ ، ٢٠٥ - ٢٠٦ ، ٢٢٩) ، وانظر ميزان الاعتدال للذهبي (٥٧/٢) .
- (٢) انظر عن أسماء هؤلاء المعارضين تأريخ الكامل (٢٥١/٥) .
- (٣) الكامل (٢٥٦/٥ - ٢٥٧) وشفاء الغرام فى أخبار البيت الحرام للفاسي ط لايسك (١٨٠ - ١٨٣) .
- (٤) الكامل (٢٥٦/٥) .

التي بعث بها الى أخيه من دمشق وقد جاء فيها : « اخبرك أنني لقيت الشام وأهله فكان أحسنهم قولاً الذي قال : والله لقد مللنا البلاء وضعفنا حتى ما فينا لهذا الأمر موضع ولا لنا به حاجة ، ومنهم طائفة تحلف لئن أصبحنا من ليلتنا وأمسينا من غد ليرفعن أمرنا ، فكتب اليك وقد غيب وجهي وخفت على نفسي » (١) وقد ترك موسى الشام بعد رسالته هذه الى المدينة وقيل الى البصرة - وهو الأصح فيما نرى - والمرجح أنه ترك الشام بعد أن حوَّس أخوه في المدينة وذهب رأساً الى البصرة ملتجئاً الى قريبه محمد بن سليمان العباسي في البصرة ولكن هذا وبخه توبيخاً شديداً وجهه بكلمات نابية تدل على اضطراب ورعب من المنصور ، وقد أشار المؤرخون الى مصير موسى بعد وصوله الى العراق وسجنه في أيام المنصور والافراج عنه في عصر ابنه المهدي وذكروا انه عاش الى أيام هرون الرشيد وله معه أحاديث لطيفة (٢) هذا ولم يغفل المؤرخون أسماء ولاية محمد بن عبدالله وقضاته على المدينة ووزرائه في ادارة الشؤون الحربية والمالية والقضائية (٣) .

ابراهيم يثأر لأخيه في العراق :

هرب عدد من أقرب المقربين الى محمد بن عبدالله - بعد مقتله سنة ١٤٥ - وعدد من ولاته وعماله الى البصرة ، وقد اشتملت باديتها على كثير من أنصار بني الحسن عقدوا البيعة لأخيه ابراهيم بن عبدالله ونادوا بامامته وأعلنوا الخلاف على الدولة العباسية . يعد ابراهيم بن عبدالله - أخو النفس الزكية - من أشهر رجال بني الحسن علماً وفقهاً لم يملأ عين المنصور بعد أبيه وأخيه غيره من بني الحسن (٤) ، وله ضلع في الأدب ويروى له شعر ، ومن رأى بعض المؤلفين في الأدب والتاريخ ان « المفضليات » من جمع ابراهيم بن عبدالله جمعها من دواوين العرب لما كان مختفياً في منزل « المفضل الضبي » فلما قتل ابراهيم نسبت المفضليات الى المفضل المذكور ، وكان المفضل زدياً ومن رواية حديثه وشعره كما كان ابراهيم يكثر من الإقامة عنده (٥) .

(١) الكامل (٢٥٦) .

(٢) انظر عن موسى الجون هذا تأريخ الطبري (٢٣٣/٩ - ٢٣٤) وعمدة الطالب

(٩٨ - ٩٩) ط النجف ، وغاية الاختصار (٢٢ - ٢٥) .

(٣) الكامل (٢٥١/٥) وانظر عن ولاية بني الحسن على المدينة خلاصة الكلام في

امراء البيت الحرام لابن دحلان ط القاهرة سنة ١٣٠٥ .

(٤) المقاتل لأبي الفرج (٢٢٧) .

(٥) المصدر نفسه (٢٢٩ ، ٢٥٢ - ٢٥٥) وراجع عن أدب ابراهيم عمدة الطالب (٩٥) .

كثر المادحون من الشعراء لابراهيم ، ومن مداحه بشار بن برد ، وحسبنا من شعره في ابراهيم قصيدته السائرة التي تعد من عيون الشعر العربي وفيها يقول :

أقول لبسام عليه جلالة غدا أريحيا عاشقا للمكارم
من الفاطميين الدعاة الى الهدى سراج لعين أو سرور لعادم^(١)

أتى ابراهيم نعي أخيه فخرج وأخبر الناس في البصرة ، وكانت البصرة موالية له جدا كما كان البصريون من أكثر أنصاره واشدهم انقيادا وطاعة له ، ولا ابراهيم كلمة بليغة في الثناء على البصريين لايوائهم اياه مع أصحابه وقد أتخذ أصحابه من هذه الكلمة شعارا لهم وانشودة ينشدونها ، وقد جاء في ختام الكلمة قوله : « ان املك فلکم الجزاء وان اهلك فعلى الله الوفاء »^(٢) .

توالت على المنصور الفتوق - بعد خروج ابراهيم - من البصرة والأهواز وفارس وواسط والمدائن والسواد الى جانب كثير من أهل الكوفة^(٣) ، ويبدو لنا ان كثيرا من زعماء العراق في الكوفة وفي الموصل وغيرهما مالوا الى ابراهيم وبايعوه^(٤) وقد أجمع المؤرخون على ان ابراهيم وجم واغتم بخروج أخيه وأمره أياه بالخروج فلعله كان يرى خروجه مبتسرا أى قبل أوانه ، ويفهم أن المنصور أكثر من استشارة رجال دولته في أمر ابراهيم وخروجه ، وقد أخذ برأى من ارتأى منهم بأن يقاتله فيجند من أهل الشام لانهم لا يميلون الى آل أبي طالب بخلاف العراقيين^(٥) .

استولى ابراهيم على واسط والقسم الجنوبي من العراق وأرسل الى تلك الجهات

(١) وأبدع ما في قصيدة بشار هذه قوله :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأى صديق أو اشارة حازم
وخل الهوينى للضعيف ولا تكن نؤوما فان الحزم ليس بنائم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فان الخوافى قوة للقوادم
وحارب اذا لم تعط الا ظلامه شبا الحرب خير من ركوب المظالم

انظر الملاحم والفتن لرضي الدين بن طاووس (١٦١ - ١٦٢) ورويت هذه المقطوعة لبشار في شرح « درة الغواص » للشهاب الحفاجي في بحث له عن لفظة « المشورة » .

(٢) المقاتل لأبي الفرج (٢٢٧) وتجد بعض خطبه في غاية الاختصار (١٨) .

(٣) الكامل (٢٦٨/٥) وتأريخ الطبرى (٢٥٥/٩) .

(٤) تاريخ الطبرى (٢٤٩/٩ - ٢٥٠) .

(٥) المصدر نفسه (٢٤٨) .

عماله ، بايعه أهل واسط بعد البصريين وبايعه الزعماء والفقهاء ولم يبق أحد الا تبعه ، وقد سمي أبو الفرج جميع من خرج معه من الفقهاء والمحدثين ونقله الآثار (١) وكانت وجهته الكوفة وفيها المنصور ، ويلاحظ ان كثيرا من أصحابه لا بصر لهم بفنون الحرب ولكنهم شجعان (٢) وقد وقعوا في هفوات حربية اليها مرد ظفر الجيش العباسي (٣) ، وبعض هذه الغلطات الحربية في واقعة « باخمري » أدت الى مقتله وتشجيع جيش أبي جعفر المنصور على الثبات بعد الهزيمة (٤) ، وعلى كل حال كانت ثورة ابراهيم في العراق أخطر من ثورة أخيه في المدينة ، وبين الثورتين فروق أخصها ان ثورة ابراهيم ألحقت بالدولة العباسية خسائر كبيرة في الأموال والأرواح وهي اضعاف ما ألحقته ثورة أخيه المذكورة وكانت وقعة باخمري قريبة من الكوفة وفيها سرير المنصور •

نقلة الآثار يؤيدون الثوار :

خرج مع ابراهيم عدد غير قليل من أهل العلم والفقهاء ونقله الآثار سماهم وترجم لهم أبو الفرج الأصفهاني (٥) ، كما أفنى بالخروج معه فقهاء آخرون سماهم غير واحد من المؤرخين كابن سعد والطبري ، وقد عللنا فيما مر تأييد أهل الفقه والنسك في صدر الدولة العباسية للتأثرين عليها من العلويين ، ومرد ذلك الى هوان السياسة وطلب الملك والدولة على هذا الفريق من الفقهاء والنسك وان ذلك فيما يرون أقل شأنا من أن تراق في سبيله الدماء وأحرى ان يركن بسببه الى العزلة والانزواء فقد صح ان أبا حنيفة كان يجهر بآرائه في نقد سياسة المنصور وأصحابه نقدا لازعا يعلن عن مناوآته للخليفة ولعماله في شدة وطأتهم على العلويين على رؤس الأشهاد ، حتى قال له بعض أصحابه : « والله ما أنت بمنته حتى توضع الجبال في عناقنا » (٦) ، والواقع ان أبا حنيفة عارض سياسة الامويين المجافية للدين والمبنية على اضطهاد العلويين قبل معارضته لسياسة العباسيين

(١) المقاتل لأبي الفرج (٢٣٩ - ٢٤١ ، ٢٤٥) وعمدة الطالب (٩٥) ط. النجف •

(٢) المقاتل (٢٣٢) •

(٣) عمدة الطالب (٩٦) •

(٤) انظر عن معركة باخمري وعن الهفوات الحربية فيها شرح نهج البلاغة لابن أبي

الحديد (٢٤٩/٤) •

(٥) المقاتل (٢٣٩ - ٢٤١) •

(٦) قف على هذا القول واسم قائله في تأريخ الخطيب (٣٣٠/١٣) •

فرفض ولاية القضاء في أيام مروان بن محمد ، وضرب وحبس في هذا السيل^(١) ، وفي هذا الامتناع الشديد عن ولاية القضاء في العصرين الاموي والعباسي بعد ذلك ما فيه من الدلالة على تبرمه بالسياسة وعلى مجافاته للحكام من أمويين وعباسيين ، ويعد المؤرخون كافة من المواليين لآل علي ، وكان لخروج زيد بن علي وقتله على الصورة التي قتل فيها - في أيام هشام بن عبد الملك - أثر عميق في نفسه ومشت بين زيد الشهيد وأبي حنيفة رسل وبعث اليه بمال وأطلع على بعض الموانع التي منعت من الخروج^(٢) . ومما لا شك فيه ان اغتباط أبي حنيفة كان عظيما بزوال دولة بني أمية وانتقال الأمر الى العباسيين ، وتروى له خطبة في الكوفة عند بيعة السفاح استقبل فيها الدولة الناجمة استقبال الولي الناصر^(٣) ، ولم تعرف عنه خصومة لهذه الدولة في أيام السفاح وفي شطر غير قليل من أيام المنصور ، ولما خرج محمد بن عبدالله النفس الزكية بعد مضي عشر سنوات على بيعة المنصور - وكانت تربط أبا حنيفة بالنفس الزكية رابطة قديمة اذ كان أبوه عبدالله بن الحسن من أجل أشياخه - ظهرت الخصومة بينه وبين أمراء الدولة العباسية ولم يسعه الا المجاهرة بأرائه في مناصرة العلويين ، لذلك نرى كتب التاريخ حافلة باخبار سخطه على بني العباس بعد هذه الثورة وبعد مقتل العلويين الثائرين .

آراؤهم في الخروج على السلطان :

وقد عقد الخطيب فصلا عنوانه « ذكر ما حكى عن أبي حنيفة من رأيه في الخروج على السلطان »^(٤) ، وهذا الفصل عبارة عن احاديث يستتج منها أن أبا حنيفة يرى

(١) عقد الخطيب فصلا عنوانه « ارادة ابن هبيرة أبا حنيفة على القضاء وامتناعه عن ذلك » تجده في تأريخ بغداد (٣٢٦/١٣ - ٣٢٩) ، وانظر مناقب المكي (٢١/٢ - ٢٤) عن هذه القصة ومنها يظهر انها وقعت في سنة ١٣٠ أي قبل قيام الخلافة العباسية بسنتين .

(٢) انظر في هذا الباب مناقب أبي حنيفة للمكي (٢٥٥/١) ط حيدر آباد .

(٣) رويت هذه الخطبة في مناقب المكي (١٥١/١) ومناقب ابن البزاز (٢٠٠/٢) وينذهب بعضهم الى ان أبا حنيفة كان في مكة عند بيعة السفاح بعد فراره من ابن هبيرة ، وقد يقال : انه دعى دعوة خاصة الى حضور الاحتفال بالبيعة في مدينة الكوفة ثم عاد الي مكة .

(٤) تأريخ بغداد (٣٩٥/١٣) وما يليها .

الخروج بالسيف على سلطان زمانه الجائر ، وقد ناقش هذه الروايات فريق من المؤلفين والمحدثين زاعمين انها روايات واهية الاسناد ، وقال آخرون : انها كذب وافتراء على أبي حنيفة ودليلهم على ذلك ان فقهاء الحنفية مجمعون على القول بعدم جواز الخروج على السلطان وان طاعته واجبة ما لم يأمر بمعصية ، ويفهم مما قالوه ان ما نقله الخطيب في هذا الشأن لا أصل له في مذهب أبي حنيفة (١) .

وممن ناقش الخطيب البغدادي فيما حكاه عن أبي حنيفة واسند اليه وإلى أصحابه أقوالا تنافي الأقوال الواردة في تأريخه وانكر تلك الأقوال المنسوبة اليه في جواز الخروج على ولاية الامور الملك عيسى بن العادل الايوبى في كتابه : « السهم المصيب » وقد نقل عن أبي حنيفة قوله « ولا نرى الخروج على أئمتنا وأولياء أمورنا وان جاروا علينا وندعو لهم » ثم قال : « واجماع أصحاب أبي حنيفة على ذلك » (٢) .

ومن رأى بعض المؤرخين ان هذا القول مرجوح وان في اجماعهم على محتته ما يكفي لترجيح قول القائلين بخلاف ذلك ، فالمنصور اعقل من ان يؤذى أبا حنيفة لمجرد امتناعه عن القضاء وانما اتخذ من هذا الاضراب ومن مواقف اخرى عارض بها أبو حنيفة رغبات المنصور (٣) ذريعة يتذرع بها لايقاع هذه المحنة ، وقد ثبت أن في اعوان المنصور ووزرائه من يحرض على أبي حنيفة ويشير الخصومة بينه وبين الخليفة ومنهم الربيع بن يونس وأبو العباس الطوسي والامير عيسى بن موسى أمير الكوفة الاتنف ذكره وغير هؤلاء .

كان أبو حنيفة وهو في الكوفة يحث الناس على الخروج مع ابراهيم بن عبدالله ويأمرهم باتباعه ويشجع ابراهيم على الطلب بدم أخيه ويدعوه الى نزول الكوفة مهونا عليه أمر عيسى وعمه المنصور ، وقد أفتاه - على ما يقول هذا الفريق - أن يسير معهم سيرة جده مع أهل الشام (٤) ، وكان بقاءه في الكوفة - وهي علوية في دعوتها - خطرا

(١) انظر هذه الروايات وكيف نوقشت في تأريخ بغداد (٣٩٥/١٣ - ٣٩٩) .

(٢) السهم المصيب (٦٠ - ٦٣) .

(٣) قف على معارضة أبي حنيفة للمنصور في انفاذ جيشه الى الموصل للفتك بأهلها في الكامل (٢٧٧/٥) .

(٤) قف على تفصيل ذلك في مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصبهاني (٢٤٧ -

على القوم ، ولذلك هم واليها الأمير عيسى بهدر دمه ثم اكتفى بأن أشخصه من الكوفة الى بغداد بأمر من المنصور ، وتوفى أبو حنيفة سنة (١٥١) على اصح القولين أى بعد مقتل ابراهيم بن عبدالله بست سنوات ، ويجب أن تكون اقامته هذه المدة ببغداد أو انه كان يتنقل بينها وبين الكوفة ، وفي كيفية وفاته ببغداد أقوال بيد ان المؤرخين مجمعون على وفاته وهو في المحنة .

هذا ويلاحظ أن مذهب أبي حنيفة في الفقه أصبح مذهب الدولة العباسية في عصر الهادي والرشيد بعد ان نوهض صاحب المذهب في عصر المنصور ، وقد اختير جل القضاة من بين المنتمين الى المذهب المذكور ، وكان لأبي يوسف (١) صاحب أبي حنيفة شأن يذكر في ذلك حتى قيل : مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان الحنفى في الشرق والمالكي في الغرب (٢) ، وكان مرد رغبة كثير من الطلاب بعد ذلك بدرس الفقه الحنفى الى تولى المناصب القضائية (٣) أو مناصب التدريس .

محنة اخرى :

كان المنصور يلاحق من خرج مع محمد وأخيه ابراهيم أو افتى بجواز الخروج معهما ، وقد أجمعت كلمة المؤرخين على محنة امتحن بها مالك بن أنس المدني صاحب الموطأ فضرب بالسياط ومدت يده حتى انخلعت كتفاه وقيل : ضرب سبعين سوطا في المدينة (٤) هذا ما أجمع عليه المؤرخون وأصحاب السير ، وفي أسباب هذه المحنة المتفق عليها أقوال أشهرها فتوى مالك المعروفة في « يمين المكره » وفي « طلاق المكره »

(١) له ترجمة في تاريخ بغداد (١٤ / ٢٤٢) .

(٢) يراجع في ذلك بحث المقرئ في خطاطه (١٤٤ / ٤ - ١٤٤٦) .

(٣) يراجع للوقوف على الاقاليم التي غلب فيها مذهب أبي حنيفة كتاب (أحسن التقاسيم) للمقدسى ، ويراجع عن بعض البلدان التي شاع فيها المذهب المذكور معجم البلدان لياقوت (١٩٣ / ٢) ومقدمة ابن خلدون (٣١٢ - ٣١٤) ط المطبعة البهية ، ومقدمة الفوائد للكنوى .

(٤) روى ذلك الطبرى في تأريخه (٢٠٦ / ٩) ونقله ابن الاثير في الكامل (٢٥١ / ٥) والسمعاني في كتاب الانساب في مادة « الاصبحي » من الورقة (٤١) وقد نسب الضرب الى والى المدينة وسمى في كتاب الانساب هذا « سليمان بن علي » والمشهور انه « جعفر بن سليمان بن علي » ، انظر تأريخ الطبرى (٢٦٤ / ٩ ، ٢٧٨) وانظر كتاب الامامة والسياسة ، وقد ولاه المنصور المدينة وعزل به واليها عبدالله بن الربيع وبقي جعفر علي ولاية المدينة الى سنة (١٥٠) وفيها عزله المنصور .

اذ استفاض في كثير من كتب المؤرخين ان مالكا افتى بجواز الخروج مع محمد بن عبدالله وبصححة البيعة له : فقليل له : ان في اغناقنا بيعة للمنصور فقال انما بايعتم مكرهين (١) أو قال : ليس على مكره يمين (٢) ، وقد احتج من احتج بهذا الحكم على بطلان بيعة أبي جعفر المنصور وبايع أهل المدينة النفس الزكية (٣) ، وعلى هذا فان التحلل من بيعة أبي جعفر المنصور هو المقصود من هذه الفتوى ونفى آخرون عن مالك الخوض في السياسة والتحريض على السلطان ذاهبين الى أن هذه الفتوى عامة لم تقصد بها ازالة أو حادثة بعينها ، وهذا الفريق من المحدثين والمؤلفين يذهبون الى أن مالكا التزم الحيدة في حرب المدينة بين الأمير عيسى بن موسى مقدم جيش المنصور والعلويين ومقدمهم النفس الزكية ، بيد ان بعض حساد مالك ومثري الحصومة بينه وبين المنصور استدوا الى هذه الفتوى فيما جرى بين مالك ووالي المدينة .

بين قرطبة والمدينة ، محنتان مختلفتان :

والحقيقة ان محنة الامام مالك هذه تختلف في جوهرها عن محنة أبي حنيفة ، ومن رأينا أن مرد محنته - مضافا الى ما مر - الى جنوح ماثور عنه لبعض امراء بني أمية ، وقد يستند القائلون بذلك الى انه كان قليل الرواية عن علي وعن ابن عباس ، وقد أجاب من سأل عن ذلك بأنه لم يلق من أخذ عنه من أصحابهما ، والواقع ان « الموطأ » لا يخلو من الرواية عن الامام علي وعن بعض أبنائه (٤) ، بيد ان صاحبه يروي أكثر من ذلك عن

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٨٤/١٠) .

(٢) هذا النص في تاريخ الخلفاء للسيوطي (١٠٢) وقال السمعاني لفتياه في يمين المكره ، وقال ابن النديم سعى به الى جعفر بن سليمان فقليل له ، انه لا يرى ايمان بيعتكم انظر الفهرست (١٩٨) .

(٣) الانتقاء لابن عبدالبر والبداية والنهاية لابن كثير (٨٤/١٠) ، ومن أوفى المراجع في قصة مالك مع والي المدينة جعفر بن سليمان ومع المنصور بعد ذلك كتاب الامامة والسياسة للدينوري (١٥٠ - ١٥٩) وانظر عن حكم يمين المكره في البيعة وفتوى مالك بشأنها وعن محنته بسبب فتواه المذكورة مقدمة ابن خلدون (١٤٧) ط المطبعة البهية .

(٤) قف على ذلك في الموطأ (١٤/١ ، ٨٢ ، ١٨٨ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠) و (١٦٦/٢) ط البابي الحلبي .

ابن عباس ويتحدث مالك في « الموطأ » عن أبي عبدالله جعفر بن محمد ^(١) ، والمشهور أنه من المتحملين عنه - كأبي حنيفة - ، وقد يستندون أيضا الى رأى مالك في عدالة بنى أمية فان صاحب الموطأ احتج بعمل مروان بن الحكم وهشام بن عبدالملك وبأحاديث مروية عن غيرهما من الأمويين ^(٢) ، ومن حكى ذلك عنه ابن خلدون في معرض بحثه عن عدالة الطبقة الأولى من أمراء بنى أمية ^(٣) ، ولا يخفى ان الجنوح الى أمراء بنى أمية ذنب لا يعترف عند بنى العباس .

وقد أشار المؤرخون الى رابطة وثيقة بين ملوك بنى أمية في الأندلس ومالك ابن أنس نشأت عن التناء على مالك في محافل « قرطبة » من قبل الراحلين الى الحجاز من علماء الأندلس ، فان الحجاز منتهى رحلة الاندلسيين في ذلك الحين .

الى هذه الرابطة الوثيقة تعزى غلبة المذهب المالكي على بلاد الأندلس والمغرب في عصر الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل اذ جاهر مالك بالتناء على سيرتهم خلافا لسيرة بنى العباس التي لم تكن مرضية عنده بل تمنى مالك في حديث له مع علماء الأندلس فصل الحجاز عن دولة بنى العباس والحقه بالدولة الاموية في قرطبة ^(٤) ، وهناك تعليل فلسفي لطيف علل به ابن خلدون غلبة المذهب المالكي على المغرب والديار الاندلسية ^(٥) والراجح ان هذه الصلات بين مالك وملوك قرطبة تعززت بعد وفاة المنصور ولم يقع شيء من ذلك والمنصور على قيد الحياة ، ومن ثم قام الامويون الاندلسيون بدعوتهم لتغليب مذهبهم على غيره من المذاهب الفقهية لان الجو خلا لذلك المذهب في تلك الايام حتى كان لاصحاب مالك والفقهاء على مذهبهم كلمة نافذة ووساطة مقبولة في حسم الخصومات السياسية ^(٦) .

(١) الموطأ (١ / ١٥١ ، ١٨٨ - ١٨٩ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٨١ - ٢٨٢) ، وفي ميزان الاعتدال للذهبي قال مصعب عن الدراورى : لم يرو مالك عن جعفر بن محمد حتى ظهر أمر بنى العباس (١ / ١٩٢) .

(٢) الموطأ (١ / ١٤١ ، ١٥١ - ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦٤) و (٢ / ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٧٩) .

(٣) مقدمة ابن خلدون (١٤٧) ط البهية .

(٤) نفح الطيب للمقرئ (٢ / ١٥٨ - ١٥٩) .

(٥) المقدمة (١٤٧) .

(٦) انظر الكامل (٦ / ٦٨ - ٦٩) .

مالك بن أنس والمنصور :

تتوفر الأدلة التاريخية على قيام هذه الصلات بين مالك وملوك قرطبة بعد موت المنصور - لا قبل ذلك - وفي مقدمة الأدلة المذكورة ان المنصور من بعد ظفره بنى الحسن في حروب المدينة والعراق واستقامة الأمور له عمد الى تحسين صلاته بعدد من فقهاء الحجاز الناقمين عليه ، وفي زيارته لتلك البلاد سنة ١٤٨ وفدت عليه وفود الفقهاء وكان مالك في مقدمة الوافدين ، وتدل روايات المؤرخين على ان حفاوة المنصور بوفود مالك عليه كانت بالغة •

كانت حادثة المدينة ومحنة مالك المعروفة بعاملها جعفر بن سليمان أول موضوع تناوله الحديث ، ويقول المؤرخون ان المنصور اعتذر لمالك عما جرى وكان لطيفا في اعتذاره وفي نسبة المحنة الى عامله المذكور الذي عزل بعد ذلك ، وكان موقف المنصور من بقية الوافدين غير موقفه من مالك كما تدل على ذلك خطبة القاها عليهم كانت غاية في شدة اللهجة (١) ، ومما هو جدير بالذكر ان حديث المنصور مع مالك يدل على المامه - أي المنصور - بخصائص بعض المذاهب الفقهية في عصره من عراقية وحجازية •

احتفى المنصور بمالك - كما قلنا - حفاوة بالغة في هذا الاجتماع ولم يعهد منه ذلك بالنسبة الى الامام أبي حنيفة في العراق ، ومرد ذلك فيما نراه الى خطة مرسومة لمحاسبة أهل المدينة وسكان الحرمين بعد ان ارتكب قواد المنصور ما ارتكبه مع اشيخ بنى على وبنى الحسن وسادات أهل البيت في تلك البلاد ، ولم يجد المنصور ما يدعو الى محاسبة الكوفيين وأئمتهم لان الجفاء بينه وبينهم بلغ غايته القصوى وهو جفاء قديم أكرهه على نقل سرير ملكه منها الى الهاشمية والانباء •

أضف الى ما تقدم ان مالك بن أنس كان ينتمى الى بيت عربى مشهور ، ولليوت العربية حرمتها عند المنصور ولما بلغه ان بعض الخدم في بعض قصوره ينتمون الى قبيلة عربية أعفاهم من الخدمة (٢) ، هذا الى فروق أخرى ملحوظة بين المحتين مردها الى الفرق الظاهر بين موقف أبي حنيفة وموقف مالك من سياسة المنصور فان موقف الأول امتاز بالعنف والشدة وقد تجاوزت خصومته حد القول ومرحلة الكلام الى مرحلة

(١) قف على هذه الخطبة وعلى أسماء الوافدين من فقهاء الحجاز وغيرهم على أبي جعفر المنصور في كتاب الامامة والسياسة (٢/١٥٠ ، ١٥٨) •

(٢) قف على تحرى المنصور عن اجناس خدمه في تأريخ الطبرى (٩/٣١٦ - ٣١٧) •

العمل والى المساهمة الفعلية فى تأييد دعوة العلويين وخروجهم على سلطان المنصور ولم يعرف ذلك عن مالك كما عرف عن أبى حنيفة •

الأمويون والمذهب المالكي فى عصر المأمون :

ويلاحظ ان كثيرا من الأمويين نسبوا أو الامويين ولاء قلدوا مالك وفضلوا مذهبه على غيره فى أكثر عصور الدولة العباسية تقديما وازدهارا وهو عصر المأمون ، ويبدو لنا ان ذلك ناشىء عن تلك الرابطة القديمة بين مالك بن أنس وملوك قرطبة ، وقد انتقل الانحراف عن الدولة العباسية من مالك بن أنس الى بعض أصحابه أو الى بعض القضاة على مذهبه وكانوا من المسخوط عليهم عند أكثر بنى العباس ، وقصة « الحارث بن مسكين » (١) وهو من أشهر القضاة فى مصر معروفة مع المأمون •

ثورة فى مسلك القضاء :

لا نبالغ اذا قلنا ان الحارث هذا أحدث ثورة فى مسلك القضاء بعد ولايته اياه من قبل المتوكل فى مصر فانه تقلد القضاء مدة تنهز الخمس سنوات فى مصر وأمر باخراج أصحاب أبى حنيفة من المسجد واضطهد فقهاء الحنفية وقضاتهم ، وكان شديدا صارما فى قضائه موصوفا بالجرأة والاقدام عرض المأمون وجهها لوجه فنفاه عن مصر وكان يظهر الميل الى بنى أمية والانحراف عن السلطان والمباعدة لاسبابه فى أيام المأمون ، وهو أول قاض ترك تلقى القضاء والسلام عليهم (٢) •

كان الحارث بن مسكين شديدا على الكوفيين وأهل العراق عامة رفع اياه أن رجلا شهد عنده وقد حلق شعر رأسه فقال : شامى أم عراقى ؟ فقال له الشاهد : بل كوفى ، فقال الحارث أخبث واكسر ، وله نكتة ونوادره (٣) •

كان الحارث يحكم على مذهب المدنيين - أى أهل المدينة - كما كان أهل بغداد يحكمون على مذهب الكوفيين فيخطئون ، ويتناولونه بالسبّ حتى اضطروه الى الاستغفاء وكان ذلك سنة ٢٤٥ ، وتوفى الحارث بعد ذلك بخمس سنوات وقلد المتوكل قضاء مصر

(١) تجد للحارث بن مسكين ترجمة مفصلة فى كتاب الولاة والقضاة للكندى

(٢٦٧ - ٤٧٦) وتاريخ بغداد للخطيب (٢١٦/٨ - ٢١٧) •

(٢) الولاة والقضاة (٤٦٩ ، ٤٧٣) •

(٣) المصدر عينه (٤٧٣ - ٤٧٤) •

بعده لا أحد الأمويين^(١)، وليس ذلك بغريب عن المتوكل العباسي وانه شد الشذوذ كله عن مذاهب أسلافه وعرف بتحامله على مذهب المأمون في هذا الشأن ، وقال ابن حجر في (رفع الاصر عن قضاة مصر) : كان الحارث منحرفا عن الدولة العباسية لانه كان من موالي بني أمية اعتقل في العراق أكثر من عشر سنوات وقد افرج عنه في أيام الواثق وكانت مدة ولايته للقضاء ١٢ سنة الا شهرا^(٢) ، ويقول ابن خلدون وهو كما لا يخفى من اعيان الفقهاء على المذهب المالكي القائلين بنشره في مصر والمغرب ما نصه « زحرت بحار المذهب المالكي في الأفقيين - افق الأندلس وافق المغرب - الى انقراض دولة قرطبة »^(٣).

هذا ومرد محنة الحارث بن مسكين في عصر المأمون - على ما نرى - الى نزعته الاموية العنيفة وتظاهره بالانحراف عن الدولة العباسية مع انه يعيش في كنف الدولة المذكورة .

دولة لبني الحسن في المغرب :

لم يكون بنو عبدالله بن الحسن الذين خرجوا على بني العباس في صدر دولتهم أو في خلافة خلفائهم الأول دولة تذكر في المشرق ولا أمهلتهم الأيام أن يقوموا بذلك وان قامت لآعقابهم وأحفادهم امارات ودويلات بعد ذلك في بعض ديار العجم كبلاد الديلم وفي بعض بلاد العرب كاليمن ، وانما قلنا دولة في المشرق لأن بني الحسن كونوا لهم - والحق يقال - أكثر من دولة واحدة في المغرب الأقصى وفي بلاد الأندلس ، عرفت الدولة الأولى في كتب التاريخ بدولة الأدارسة وعرفت الثانية بدولة بني حمود من أعقابهم ، وقد استندت هاتان الدولتان في قيامهما على حزب لا يستهان بقوته وشدة مراسه قوامه البربر والمغاربة المراكشيون ، وقد نسبت دولة الأدارسة الى ادريس بن عبدالله بن الحسن والى ابنه الذي خلفه في المغرب وسمى باسمه ، ويقال لادريس

(١) أورد ابن الاثير وفاته مع من توفوا سنة ٢٥٠ قائلا : من ولد أبي بكر الثقفي ، انظر الكامل (٥٢/٨) .

(٢) ملحق أخبار القضاة عن ابن حجر وسبطه وعن تأريخ الاسلام للذهبي (٥٠٢ - ٥٠٤) .

(٣) مقدمة ابن خلدون (٣١٥ - ٣١٦) ط البهية .

ابن عبدالله « ادريس الاكبر » ^(١) تميزا له عن ابنه الذي يقال له « ادريس الاصغر » كما يقال لكل منهما « صاحب البربر » لان جل من استجاب لدعوتهما وشذ ازرها من قبائل البربر - وكان ذلك في عصر هارون الرشيد - وادريس الاكبر او الاول ثاني اثنين من اولاد عبدالله بن الحسن المثنى افتت من وقعة « فح » المشهورة ^(٢) ، اما أخوه وهو يحيى بن عبدالله الذي افتت معه من هذه الواقعة فيقول له « صاحب الديلم » خروجه على الرشيد في بلاد الديلم ^(٣) وان حب يحيى في حرته بخلاف أخيه

(١) راجع عن سيرة ادريس هذا تاريخ الطبري (٢٤/٩ - ٣٢) ومروج الذهب (١٨٢/٢ - ١٨٤) ومقاتل الطالبين ط النجف (٣٢٤ - ٣٢٧) والكمال (٣٦/٦ - ٣٨) والعبير (١٢/٤ - ١٤) وانبياي المغرب في أخبار الاندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي ط ليدن (٨٢ - ٨٤ ، ١١٠ - ١١٥) ، وفي هذا الفصل اخبار الادارسة من بعد دحوبهم الى المغرب ، وراجع ايضا نفع الطيب للمفري (١٢٤/١ - ١١٧) ولتناب الاستقصا لدول المغرب الاقصى للسلاوي ط مصر (٦٧/١) وما يليها ، ومنهج المقال للاستربادي ط طهران وقد عده في أصحاب جعفر بن محمد ، ولاحظ اختلاف الروايات في تاريخ خروج الادارسة .

(٢) واقعة « فح » من أشهر الوفايع في صدر الدولة العباسية بين العباسيين وبني الحسن وانصارهم وقعت سنة ١٦٩ ، ورد ذكرها في كثير من كتب الاخبار والتاريخ والانساب ، تجد تفصيلها في الكامل لابن الاثير (٢٦/٦ - ٢٨) اما صاحب فح فهو الحسين بن علي بن الحسن المثنى خرج في أيام اهادي العباسي وتغلب عليه عسكر العباسيين في « فح » فقتل وقتل معه جمهرة من أهله وأبناء عمه العلويين ، ويروى له ابن الاثير (الكامل ، ٢٨/٦) نادرة من نوادره في انكرم والسقاء ، ومما هو جدير بالذكر ان صاحب فح أراد الامام موسى بن جعفر على البيعة فردده ونهاه وأخبره بمقتله كما فعل أبوه جعفر بن محمد مع غيره من بني الحسن فكان كما قالاه وأخبرا به ، أنظر في هذا الشأن « باب تفصيل المحق من المبطل في الامامة » من كتاب الكافي (١٨٥) ، أثارت وقعة فح حماسة الهادي بن المهدي - وكان شاعرا - فأنشأ فيها أبياتا يراجع عنها معجم الشعراء للمرزباني (٣٧٩) .

(٣) ومما هو جدير بالذكر ان ملوك طبرستان والديلم وجرجان ومازندران والطالقان ملكوا تلك الاقطار أكثر من مائة وثلاثين سنة بعد ذلك ، وخطب لهم على المنابر وضربت بأسمائهم النقود وحاربوا الدول وقادوا الجيوش وأحدثوا ما أحدثوه من الآثار ينتمون على الأكثر الى زيد بن علي وبعضهم الى غيره من اولاد الامام الحسين . وجلهم على مذهب الزيدية ، أنظر عن ذلك شرح نهج البلاغة (٤٨٦/٣ - ٤٨٧) وكتاب غاية الاختصار (٦٦ - ٦٧ ، ٧٨) وراجع عنهم مقاتل الطالبين .

ادريس وابناؤه الذين حالفهم التوفيق في تكوين الدولة الادريسية .

خبرة صاحب الديلم :

تيسر للرشيدي احباط حركة يحيى لوقوعها في اقليم غير بعيد عن العراق ، وشتان بين البلاد التي ظهر فيها ادريس - وهي مراکش - وبين بلاد الديلم من هذه الناحية ، لذلك لم يستطع ان ينشأ ملكاً أو دولة كالتى أنشأها الادارسة .

كان ساعد الرشيد في احباط حركة صاحب الديلم الناجمة في المشرق وزيره الفضل بن يحيى ، وهو وزير عرف بحنكته وكياسته واجتنابه سفك الدماء وميله الى حل المضلات سلمياً ، فلما ندب الرشيد وزيره المذكور الى قتال هذا العلوى التأثير استماله واقنعه بالتسليم بشروط ، منها أخذ الأمان له بخط الرشيد في حادثة مشهورة^(١) يظهر منها ان يحيى عث في عاصمة الرشيد بعد تسليمه عيشة امرائها المرفهين مدة ثم مات مسموماً ، وفي رواية ابن الاثير حبسه فمات في الحبس بعد أن أقتاه بعض فقهاءه بأن أمانه منقوض^(٢) ، هذا وليحيى بعد ذلك ضلع في التاريخ والعلم بالأنساب والأيام ، ومناظراته مع بعض خصومه في مجلس الرشيد تدل على ذلك^(٣)

ولصاحب الديلم حديث مع الامام موسى بن جعفر في الموقف الذي يجب أن يقفه العلويون من الدولة العباسية في هذا العصر ، وقد تبودلت بينهما رسائل طريفة^(٤) وهذه الرسائل صريحة جداً في الخلاف الناشب بين هذين البطين من العلويين في هذا الباب ، وقد نهى فيها الامام موسى بن جعفر عن الخروج على هارون الرشيد وأوصاه بالاخلاص الى السكينة ، ويقول أحد شراح اصول الكافي^(٥) : يكثر الزيدية من الثناء

(١) قف على أخبار يحيى هذا في كتاب الوزراء للجهمياري (١٨٩) وتأريخ الطبري (٨٤/١٠ - ٨٩) والمقاتل (٣٠٨ - ٣٢٤) وشرح ابن أبي الحديد (٤٨٨/٣) والكمال (٥٠/٦) ، ووفيات الاعيان (١٥٨/١) ط باريس .

(٢) انظر عن جمع الفقهاء بأمر الرشيد واستفتائهم في صك الأمان واختلافهم في الحكم كتاب المقاتل لأبي الفرج ط النجف (٣١٩ - ٣٢٠) ، والكمال (٥٠/٦) .

(٣) يرجع في هذا الباب الى المقاتل (٣١٦ - ٣٢٠) والى شرح النهج لابن أبي الحديد (٣٥٢/٤) .

(٤) أورد الكليني نص هذه الرسائل في اصول الكافي باب تفصيل المحق من المبطل في الإمامة (١٨٥ - ١٨٦) .

(٥) يراجع في هذا الباب شرح اصول الكافي على هامش الكتاب المذكور (١٨٢) .

على يحيى ويروون أنه فيمن أوصى إليه جعفر بن محمد بعد ابنه موسى الكاظم ، وليحيى ذكر في بعض معاجم الرجال وأصحاب الحديث (١) .

ورثة الحضارة الأندلسية :

بدأت دعوة الأدارسة في مراكش أو المغرب الأقصى سنة ١٧٠ ، وفي قول بعد ذلك بقليل ، وجل أنصارها من البربر الذين استجابوا لدعوة ادريس الأكبر (٢) ثم بيع البربر ابنه ادريس الأصغر ، وهو أول من بوع بالخلافة من بنى ادريس بعة عامة في البلاد المذكورة (٣) ، وقد خلفه من خلفه من أبناء ادريس الأكبر واحفده ، والخلاصة : عبثا حاول الرشيد وأد هذه الحركة الادريسية بدس السم لادريس الأكبر فان أولاده خلفوا أباهم في تلك البلاد فعاشت هذه الدولة رغم ارادة بنى العباس ، ويقول ابن بسام (- ٥٤٢) - في معرض ذكره لبنى الحسن وأسباب خروجهم الى المغرب ما هذا تصه - « بلغنى ان عقبهم الى اليوم هناك » (٤) .

لا شك ان الدولة « الحسنية » القائمة الآن في مراكش وعاصمتها « الرباط » هي دولة ادريسية لأن ملوكها من ذرية الأدارسة ، وامرة الأدارسة المعروفة أخيرا في عسير شرقي اليمن انشأها بعض ذراري الأدارسة المعروفين في البلاد المغربية وكانت بين بنى الحسن في المغرب وبنى الحسن في المشرق - وهم أئمة الزيدية في اليمن - مراسلات .

مقارنة بين الدولتين الفاطمية والادريسية :

عاشت دولة الأدارسة مدة تهاز مائة وثمانين سنة ، وقد ناوت الدولة الفاطمية

(١) ذكره الشيخ الطوسي في فهرسته والاستربادي في منهجه ولم يذكره العلامة في خلاصته .

(٢) توفي ادريس بسم دسه اليه الرشيد على يد أحد انزيدية من الفرقة البترية ودفن في جبل « زرهون » المطل على مكناسة ، وفي تأريخ وفاته بعض الاضطراب ، انظر عن كيفية سمه كتاب الفرق بين الفرق (٢٤) .

(٣) في تأريخ وفاته اقوال مضطربة قد يعزى بعضها الى تحريف النساخ ، وقد أورد ابن الأثير وفاته في حوادث سنة ٢١٤ قائلا : « وفيها توفي ادريس بن ادريس ابن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام بالمغرب وقام بعده ابنه محمد بأمر مدينة فاس فولي اخاه القاسم البصرة - بصرة المغرب - وطنجة وما يليها واستعمل باقي اخوته على مدن البرابرة .

(٤) الذخيرة (ق / ١م / ٧٨) .

الاسماعيلية هؤلاء الأدارسة في أواخر أيامهم واستولى القنائد جوهر على عاصمتهم فاس سنة ٣٤٧ ، وكان الفاطميون أبه ذكرا وأبعد مغارا حتى أن دولة الأدارسة التي استولت على المغرب كانت خاملة الذكر بالنسبة اليهم ، ومرد ذلك الى انزواء الأدارسة في المغرب الأقصى واقتصارهم على الدفاع عن انفسهم ومملكتهم وخوفهم من بنى العباس بخلاف دولة الفاطميين التي غزت المشرق وهددت بنى العباس في عقر دارهم وأزالت دولتهم من مصر والشام ، الى غير ذلك مما لم يحلم به الأدارسة ، ومع ذلك لا ينكر فضل هؤلاء الأدارسة على المغرب الأقصى أو مراكش ، ففي عهدهم قطعت هذه البلاد شوطا بعيدا في مراحل الحضارة ، ومن مظاهرها تأسيس المدن الكبيرة .

لا شك ان المدن الكبرى في المغرب الأقصى - وفي مقدمتها « فاس » وهي مدينة الأدارسة ، « ومكناس » و « سلا » و « تطوان » وغيرها من آثارهم أو ملحقات مملكتهم - تعد وارثة الحضارة الاسلامية في الأندلس ، وأهلها - أعني أهل هذه المدن المغربية - يمثلون مسلمي الأندلس في عاداتهم وأطوارهم وثقافتهم ، وتعد مدينة فاس ^(١) معقل الثقافة الاسلامية في المغرب وبها جامع القرويين المشهور يؤمه طلاب العلم من سائر انحاء البلاد .

البربر ودعوة الاسلام :

الى هؤلاء الأدارسة يعود قسط كبير من الفضل في نشر دعوة الاسلام بين قبائل البربر حتى أصبحت من أشد قبائل المغرب الأقصى شيمة وأحسنها بلاء في الدفاع عن بيضة الاسلام ، وكان أكثرهم على غير ملة الاسلام ^(٢) لأن المسلمين الفاتحين - قبل ذلك - كانوا يلمون بقبائل البربر المما في طريقهم الى الأندلس ، ولما فر ادريس الأكبر في خلافة الرشيد أقام في بلادهم وتزوج اليهم وولد له أولاد كثر من أم بربرية اندمجوا هم وأحفادهم من بعدهم في القبائل البربرية ، ويقول غير واحد من

(١) يفهم مما يكتب عن « فاس » في أسفار البلدانيين انها تنقسم الى عدوتين - أي جانبيين - الأولى « عدوة الأدارسة » وهي أقدم العدوتين ، والثانية « عدوة الأندلسيين » أسسها أهل ربض قرطبة اذ فروا من « الحكم الربضي » سنة ١٩٢ ، انظر عن ذلك البيان المغرب ط ليدن (٢١١/١ ، ٢٦٣) وانظر أيضا مادة « فاس » من معجم البلدان ، وكان الحكم المذكور سفاكا للدماء جاهر الأندلسيون بعداوته وعداوة بنى أمية وثاروا عليه غير مرة ، الكامل (٧٥/٦ ، ٨٠) .

(٢) الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى للسلاوى ط القاهرة .

المؤلفين والمؤرخين في هذا الصدد - أى في صدد اندماج أعقاب ادريس الأول في قبائل البربر المذكورة « تبربر ولده »^(١) ، وهم - أعني هؤلاء الأدارسة المندمجين في البربر - الذين قاموا بنشر الدعوة الى الدين الخفيف في تلك الأقطار الشاسعة فأنشأوا دولتين من أشهر الدول الإسلامية في تلك البلاد .

وفى سبب دخول البربر دين الاسلام رواية أخرى رواها بعض المؤرخين ، ومردّها الى كاهنة بربرية غلبها المسلمون الفاتحون في مستهل القتح الاسلامي فأوصت أبناءها بالاسلام فأسلموا^(٢) ، وفى هذه الرواية ما يشبه الأساطير^(٣) ، على اننا لا نشك في أن للفاتحين الأولين شأنًا كبيرًا في انتشار الاسلام بين القبائل البربرية ، وقد خلفت هذه القبائل دولة الأدارسة في مراكش وما يليها من بلاد الأندلس وأسست غير دولة من دول البربر كدولة الموحدين وبنى مرين والمرابطين ولكنها لم تعيش كما عاشت دولة الأدارسة ، ولبعض هذه الدول البربرية مواقف مشهورة في الدفاع عن بيضة الاسلام في الأندلس والنكية بمن هاجمها من طغاة الفرنجة مثل ملوك أرغون وقشتالة^(٤) في غرب البلاد الأندلسية ، وقد توارثت هذه القبائل - الى اليوم - ولاء أهل البيت والاخلاص لهم ، وما أكثر بيوت العلويين على اختلاف بطونهم في مراكش والمغرب الأقصى ، وما زالوا يتمتعون بحرمة وافرة .

ثقافة الأدارسة :

قل من العلماء والباحثين في « البلدان » من لا يعرف الشريف الاديسى صاحب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، ويعد هذا الكتاب من امتع ما ألفه البلدانون المسلمون في موضوعه ، وللاديسى مصور جغرافي مشهور نشر باللاتينية والعربية ، ويعرف هذا الاديسى بالشريف الصقلي لانه عاش في « صقلية » وقد يقال له « القرطبي » لانه درس في قرطبة واختص بصاحبها « رجار » كبير « انورمان » الذي أنشأ بصقلية

(١) ابن قتيبة ونقله ابن بسام في الذخيرة (ق ١/١٨/٧٨) ، ونفح الطيب (٢٢٤/١ - ٢٢٧) .

(٢) العبر (٨/٣ - ٩) ، ومن رأى السلاوى صاحب الاستقصا ان البربر أسلموا على يد ادريس بن عبدالله .

(٣) تجد مفصل خبر هذه الكاهنة أو الملكة وحروبها مع العرب في البيان المغرب (٣٥/١ - ٣٩) .

(٤) العبر (٢٨١/٦) وأزهار الرياض (٢٠٥/٣) .

وما اليها من الجزر ملكا عريضا ودولة فرنجية قامت على أنقاض دولة بنى الاغلب والدولة الفاطمية بعد ذلك ، وكان « رجار » المذكور ممن ورث عن قومه النورمان اعجابهم بنظم الحكم التي سارت عليها الدول الاسلامية بعد استيلائها على صقلية^(١) ، وعنى بمحاسنه المسلمين والاستفادة من علوم علمائهم أمثال صاحبه الشريف الادريسي^(٢) وهناك أشرف ادريسيون يقال لهم : « آل الصقلي » اختصوا بصناعة الطب في حاضرة القطر التونسي وتوارتوها خلفا عن سلف ، والغالب أنهم من ذرية الشريف المذكور ، وأصل هذا البيت الادريسي من « سبتة » ثم من « مرائش » هاجر بعضهم الى صقلية وبعضهم الى تونس والى غيرها من آفاق الاقطار المغربية .

هذا ومن أجل مؤلفات العالم الادريسي المذكور أو هو أجملها على الاطلاق كتاب علمى فى النبات سماه « جامع اشنتات النبات » يورد فيه أسماء النباتات فى لغات عدة قد يوصلها الى أكثر من عشر لغات شرقية وغربية ، ومن هذا الكتاب يستتج ان الادريسي حاذق فى علم النبات والمواليد وعلوم الطبيعة والطب أكثر من حذقه فى ناحية الجغرافية والبلدانيات ، والكتاب يدل على علم واسع وتحقيق بلغ ، وهو من المخطوطات النادرة^(٣) ، والشريف الادريسي بالاضافة الى ذلك رحالة جاب آفاقا شرقية وغربية غير قليلة كما تدل مؤلفاته التى طالعناها على ذلك وهو أيضا شاعر مجيد .

(١) انظر كيفية فتح صقلية على يد بنى الاغلب فى الكامل (١٣٧/٦ - ١٤٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٣) وانظر عن ولاية بنى الاغلب على افريقية وأخبارهم البيان المغرب (٩٢/١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٧ وما يليها ، ٣١٨) .

(٢) يؤثر عن ملوك صقلية والجزر الأخرى التابعة لها اواقعة بينها وبين الساحل الافريقى انهم عاهدوا المسلمين من أهل الجزر المذكورة وآمنوهم على دمائهم وأموالهم واحترموا كثيرا من حقوقهم وقربوا أعلامهم فأهدوا لهم المصنفات النفيسة وأجازوا شعراءهم ، وقد وثق النورمان بأمانة المسلمين الصقليين واتخذوا منهم الحرس والاعوان كما يشهد بذلك ابن جبير فى رحلته المعروفة ، وقد سيم الصقليون من أبناء صقلية سوء العذاب وعانوا ما عانوه من القسوة والاضطهاد فى عهد الجرمان بعد ذلك حتى اضطر جمهور كبير من مسلمي صقلية والجزائر الأخرى الى الهجرة واجتازوا البحر الى السواحل الافريقية ، وكانت بقايا آل الادريسي من بعض أولئك المهاجرين .

(٣) رأينا من « جامع اشنتات النبات » نسخة خطية نفيسة فى مكتبة اللجنة الثقافية بالقاهرة ووصفناها فى احدى جلسات المؤتمر اللغوى فى دورته السابعة عشرة .

دولة بنى حمود :

هى الدولة الثانية بعد الدولة الادريسية من دول بنى الحسن ، وهذه الدولة - أى دولة بنى حمود - الى ان تكون دولة اندلسية أقرب من أن تكون دولة مراكشية ، وحمود الذى تنتمى اليه هذه الدولة من أعقاب ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى السالف الذكر ^(١) ، والواقع أن روايات المؤرخين فيما يتعلق بدولة بنى حمود فى الأندلس لا تخلو من غموض واضطراب بل من تناقض فى كثير من الأحيان ، وقد مهد لظهور هذه الدولة الحمودية فى الأندلس انحلال الدولة الأموية فى قرطبة وغرناطة وإشبيلية ، وهو انحلال نشأ عن الفساد والثورات والحروب الداخلية ، وبعضها حروب تشيب لهولها الولدان مثل واقعة « الربض » ^(٢) ، وتأريخ القرطبيين والإشبيليين ومن اليهم من الأندلسيين حافل بمناوءة السلطات الحاكمة ، هذا من جهة كما انه حافل من جهة أخرى بمظاهر الشدة والقسوة من الأمويين ، ومن ذلك توالى الفتن والحروب بين الفريقين •

ملك بنو حمود جبل طارق ومالقة وأجاز من أجاز منهم العدو الى الأندلس مع شيعتهم من البربر وحاربوا الأمويين فى تلك البلاد وانتزعوا الملك منهم ، وعلى يد

(١) تجد سياق نسبه الى ادريس فى الذخيرة (ق ١/م ١/٧٨) ، ومن أوفى المراجع واتقنها عن دولة بنى حمود « المعجب فى تلخيص اخبار المغرب » ط القاهرة ، ذكرهم فى دول الأندلس وأشار الى أولية بنى حمود وسمى أمراءهم (٤٩ ، ٥٢ ، ٦١ ، ٦٩) ، والعبر لابن خلدون (١٥٤/٤ - ١٥٥ - ١٤٦/٦) والذخيرة لابن بسام (ق ١/م ٤٧/١ ، ٧٠ ، ٧٣ - ٧٨ ، ٢٧١ - ٢٧٣) و (ق ١/م ٢ من هذا الكتاب ١٢ - ١٨ ، ٤٠١) ، والبيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب (١٩٩/١ ، ٢٣٣ - ٢٣٦) ولا تخلو رواية ابن عذارى صاحب المغرب من خلط واضطراب فى هذا الشأن ، وكتاب « المراقبة العليا لمن يستحق المرتبة العليا » للمالقي الأندلسي ط مصر (٨٧ ، ٩٤) ، ونفح الطيب « ٢٠١/١ - ٢٠٣ ، ٢٢٤ - ٢٢٧ » •

(٢) واقعة « الربض » من أشهر وقايع الأندلس فى دولة الحكم بن هشام الأموي ، وفى مقدمة المؤرخين الذين بلغوا الغاية فى وصفها وفى وصف غيرها من وقايع الحكم بالاندلسيين ابن الأثير فى الكامل (٧٩/٦ - ٨١ ، ١٢٢ - ١٢٣) وقد عاد ابن الأثير بعد ذلك فأثنى على الحكم المذكور ووصفه بالحزم والشجاعة وأنه هو الذى مهد الملك لعقبه فى الديار الأندلسية ، انظر (١٥٥) من كتابه المذكور ، ولاحظ اختلافهم فى تأريخ واقعة الربض المذكورة •

بنى حمود زالت الدولة الاموية من قرطبة واشيلية وغلبت دعوتهم على كل دعوة وبويع غير واحد منهم بالخلافة ، وأول من بويع منهم بالخلافة في قرطبة ولقب الناصر لدين الله ولم يتخلف أحد عن بيعته « على بن حمود » في مستهل القرن الخامس ، ويلاحظ ان بنى حمود استمدوا في تكوين دولتهم الاندلسية على حزب قوامه البربر والمغاربة المراكشيون وهو الحزب الذي استند اليه أجدادهم الادارسة في تكوين الدولة الادريسية ، كما مر . ومن هذه الناحية لم يكن مفر من تأصل العداوة بين البربر وأمويي الاندلس على توالى الايام ، وكانت الوقائع بين الفريقين تترى في المغرب وما اليها من بلاد الجزيرة كما يبدو لنا من مطاوى التاريخ ^(١) ، ومن ذلك يتضح ان البربر أمة ذات كيان خاص تعتر به وتحرص على بقاءه .

عاشت الدولة الحمودية الى منتصف المائة الخامسة ، ولا حاجة الى القول بان هذا العصر هو العصر الذي تبرر فيه الحموديون - كما تبرر قبلهم الادريسيون - فلم يعد هناك فرق بين الادريسي او الحمودي وبين البدوي البربري لفة وزيا وطبعا الى غير ذلك بل عني غير واحد من مؤرخي المغرب بالاشارة الى هذه المعجزة التي غلبت على السنة بنى حمود في المغرب والاندلس حتى أصبحت البربرية لفة ثانية وربما تغلبت على العربية ^(٢) .

مشاهير بنى حمود :

أشهر مشاهير بنى حمود الذين ملكوا قرطبة وما اليها ثلاثة ؛ على وأخوه القاسم ابنا حمود ويحيى بن على ، وعلى أشهر بنى حمود قاطبة ^(٣) ، وقد نوه المؤرخون بسطوته وسخائه وشجاعته وسيطرته على البربر كافة وأنه استمال أهل قرطبة بعدله وحذوه في بعض سيرته حذو الصدر الأول فجلس للمظالم بنفسه وانتصف من الظالم للمظلوم على ما يقول بعض المؤرخين ^(٤) ، والواقع ان سيرته لا تخلو من شذوذ

(١) يرجع في هذا الباب الى الكامل (١٧٠/٦) .

(٢) الذخيرة (ق ١/١م/٧٨) ، ونفح الطيب للمقرى (٢٢٥/١) .

(٣) انظر عن كيفية بيعته وعن سطوته وأمارته الذخيرة (ق ١/١م/٧٨ - ٧٩) ، وتجد نبذة عن سيرة الأمير على بن حمود وعن مدة ملكه في المصدر المذكور (٨٣) ، وفي كتاب « المراقبة العليا فيمن يستحق المرتبة العليا » وهو تأريخ قضاة الاندلس للمالقي الاندلسي (٨٩) .

(٤) الذخيرة (ق ١/١م/٥٢) .

واضطراب بين صلاح وفساد وجور وانصاف ورضا وسخط (١) الى ان قتله بعض ممالكيه من الصقالبة في قرطبة سنة ٤٠٨ (٢) .

كان الناصر على بن حمود حسبما يقول المقرئ (٢) على عجمة فيه يصنف الى الشعر ويشب عليه (٣) وله شعراؤه المختصون به وحسبك من هؤلاء ابن دراج القسطلي الذي كان يرأسه نظما ونثرا ، ويظهر من أقوال ابن بسام ان ابن دراج الشاعر الاندلسي المشهور كان ادرسي العقيدة ومن أولياء بني حمود ، وقد أطلق على بعض قصائده التي أنشأها في مدح الأمير على اسم « الهاشميات » ، ومنها قصائد اعجب بها أبو الحسن بن بسام ونشرها في الذخيرة (٤) .

أسباب سقوط دولة بني حمود :

استطاع الناصر على بن حمود بماله من سلطان ان يجمع كلمة البربر من حوله ، وما ان قتل في قرطبة حتى فتن أنصاره البرابرة وانشقت كلمتهم فمال بعضهم الى أخيه القاسم بن حمود وكان واليا على اشيلية ، ومال قوم من البربر وهم الأكثر الى ابنه يحيى بن على (٥) وكان واليا على سبتة وتوالت الفتن بين يحيى وابن أخيه القاسم وتداولوا قرطبة غير مرة ، وقد أشار المقرئ وغيره من المؤرخين الى نتائج الانشقاق الذي استشرى بين بني حمود ثم عصف بالدولة الحمودية بعد ذلك (٦) ، ومجمل القول كانت هذه الفتن المستمرة بين بني حمود أنفسهم بعد مقتل الأمير على علة العلل في سقوط دولتهم المذكورة على يد بني عباد أمراء اشيلية وبني عباد هم الذين قتلوا يحيى بن حمود في وقعة طاحنة ، ويلاحظ انتهاك المحارم وضعف الوازع الخلقي والديني في بني عباد

(١) الذخيرة (ق ١/م ٨٢) .

(٢) المأخذ المذكور (٨٣) ، ونفح الطيب (٢٢٥/١) .

(٣) نفح الطيب (٢٢٥/٣) .

(٤) الذخيرة (ق ١/م ٤٧ ، ٧٠ - ٧٣) وانظر عن أحمد بن دراج القسطلي

اليتيمة للثعالبي (٩٠/٢) والقسم المذكور من الذخيرة .

(٥) يحيى بن على هذا من أشهر ملوك بني حمود في اشيلية وقرطبة وقد اثنى عليه صاحب الذخيرة ثناء بالغا ، وكان الوزير الكاتب ابن شهيد من المختصين به وله فيه أشعار ومدائح قف على ذلك في القسم المذكور من الذخيرة (٢٧١ - ٢٧٣) وانظر عن

ابن شهيد الكتاب المذكور (١٦١ - ١٧٠) .

(٦) نفح الطيب (٢٢٥/٣ - ٢٢٨) .

وتحللهم من القيود الشرعية^(١) ، وهكذا مرج الأمر في الأندلس وانتقل السلطان من ملوك الجماعة الى ملوك الطوائف^(٢) بنى عباد وبنى جهور ، كانت خصومة ملوك الطوائف فيما بينهم اغنف واشد من خصومتهم للفرنجة وللاسبانيين الواقفين للاندلسيين بالمرصاد بل كانوا لا يحجمون عن التحالف مع هؤلاء الطوائف المجاورين لهم ليأمنوا شرهم في هذا النزاع القائم بينهم وبين بنى حمود وغيرهم من أمراء الأندلس وهكذا تطغى الأنانية وتغلب الأحقاد الجاهلية وهكذا فقد سلموا الأندلس ذلك الملك العريض وفقدوا معه الكرامة والاستقلال واکره من بقى منهم في البلاد على الخروج عن دينهم بعد ذلك ، ولم يطل الأمر بأمراء الطوائف هؤلاء حتى خضعت الأندلس لدول بربرية ناشئة من مرابطين^(٣) وموحدين^(٤) ومرينيين الى ان طوى بساط الدول البربرية المذكورة .

مصير الأمير عيسى بن موسى :

هؤلاء هم بنو الحسن الذين شردهم العباسيون وقتلوا من قتلوا منهم في صدر دولتهم على يد أمرائهم وقادة جيوشهم ، وفي مقدمتهم الأمير عيسى بن موسى وابنه ، ويحسن بنا الآن - وقد فرغنا من البحث في شؤون بنى الحسن - أن نتقل الى البحث عن مصير هذين الأميرين في الدولة العباسية .

تولد مع كثير من الدول آفاتنا التي تجهز عليها يوما ما ، ولا يستثنى من ذلك دولة بنى العباس فقد ولدت مع هذه الدولة غير آفة منها . نذكر من بينها الأنانية والاثرة والطمع وهي آفات تفضي أولا الى احن وضغائن ثم الى شقاق وانقسام وبعد ذلك الى حروب وسفك دماء بين ذوى القربى ، فاذا تنازع المتنازعون من هؤلاء فيما بينهم واذا قتل بعضهم بعضا خرج الأمر من أيدي الجميع غالبا . اعتبر ذلك بما جرى في الدولة الاموية فما اندفع الهاشميون الى الثورة عليها الا بعد مقتل الوليد بن يزيد - المعروف بالناقص -

(١) الذخيرة (ق ١ / م ١ / ٥٧٣) .

(٢) يعتبر انحلال الدولتين الأموية والحمودية الهاشمية في الأندلس بداية لعصر ملوك الطوائف .

(٣) بدأ عصر المرابطين في سنة ٤٦٢ وانتهى بانتصار الموحدين عليهم في سنة ٥٤٢ .

(٤) تبتدأ دولة الموحدين في المغرب سنة ٥١٤ وتنتهي سنة ٦٦٨ ، وهي من الدول التي امتد سلطانها الى الديار الأندلسية .

بأيدي أهله أنفسهم ، وفي هذا الصدد يقول عبدالله بن الحسن : « لم نزل نسمع ان هؤلاء القوم اذا قتل بعضهم بعضا خرج الأمر من أيديهم وهامهم قتلوا صاحبهم - يعني الوليد - فلهم نبايع محمدا فقد علمتم أنه المهدي » (١) ، واعتبر بعد ذلك بما جرى في الدولة العباسية - من ايثار الانباء والاخوان واستبعاد غيرهم من ذوى القربى وان كانوا أحق بولاية الأمر من بعدهم - وكيف انشق العباسيون بمجرد الانتهاء من تصفية الحساب مع الامويين وكيف ثار بعض العباسيين على بعض واتهم وعاقب بعضهم بعضا بأشد العقوبات ، ولا يستثنى منها القتل ، فهذا أبو العباس السفاح آثر أخاه أبا جعفر لانه ابن أبيه واستبعد عمه عبدالله بن علي مع انه يستند الى عهد يدعى ان السفاح قطعه له (٢) ، ولو كان للسفاح ولد جامع لشرايط البيعة عندهم لآثره فيما نرى على أخيه ، وهذا أبو جعفر المنصور حرم منافسيه من اعمامه وابنائهم وحرم غيرهم من الهاشمين من منصب الخلافة فانحصرت في نسل محمد بن علي بن عبدالله بن عباس دون غيره وتوارثوها خلفا عن سلف أولهم السفاح وآخرهم المستعصم ، أى من حين قيام الدولة الى زوالها في مدة أربت على الخمسة قرون ، ولا تنكر جهود داهية بنى العباس في هذا الشأن ، ولا نبالغ اذا قلنا انه احد دهاة التأريخ على الاطلاق .

لنا أن نقول ان ولاية العهد هذه زجت الدولة بكثير من الازمات السياسية والفتن الدامية من مستهل حياتها الى أواخر أيامها وجلبت عليها ماجلبت من مظاهر الضعف

(١) وردت هذه الكلمة في خطبة لعبدالله ألقاها على مؤتمر حضره الهاشميون في ذيل الدولة الاموية ، تجدها في مقاتل الطالبين ط النجف (١٧٦) .

(٢) استند عبدالله بن علي في الدعوة الى نفسه وانكار بيعة المنصور وعلان الثورة عليه الى عهد ادعى ان السفاح قطعه له ، والقصة مروية في أشهر كتب التأريخ وخلاصتها ان السفاح آلى على نفسه ان يعهد بالأمر من بعده لمن يظفر بعميد الامويين مروان بن مروان ، وقد حقق عبدالله بن علي هذا الظفر للعباسيين في واقعة الزاب فهو بطل هذه الواقعة غير مدافع ، وهو اذن ولي عهد السفاح الخليف بالبيعة من بعده ، والواقع ان الروايات في هذا الصدد ليست قاطعة ، والمرجح صدور وعد عام من السفاح في هذا الشأن ثم حدث ما اوجب العدول عنه ، انظر في هذا الباب تأريخ الطبرى (١٥٦/٩) والمروج (١٦٧/٢) ط الأزهري ، وفي رواية المسعودى ما يدل على تقدير السفاح لجهاد عمه حق قدره وانه لا يستكثر عليه ولاية العهد لولا أخوه المنصور ، وراجع الكامل (٢٢٠/٥) = (٢٢١) وذيل الصفحتين (٤١ ، ٤٢) من هذا الكتاب .

والوهن ، وقد شهد عصر أبي العباس السفاح أول أزمة من هذا القيل مردها الى تعدد الامراء الاكفاء المتنافسين على السلطان من بعده فكان يقارن ويوازن بين بعضهم ويتحدث الى بعض خاصته بذلك الا ان هوى الخليفة - فى الحقيقة - لم يعد المنصور أخاه ، ولذلك كان معنيا بالبحث عن مخرج من هذه المشكلة السياسية وقد استوحى عبر التاريخ فاذا الحكمة واذا المصلحة لاتعدو اثار أخيه واذا العثرة التى لا تستقال واذا الخطأ الفاحش لا يعدو اشراك عمه فى الولاية ، ولم يستلهم السفاح عبر التاريخ هذه الا من حديث تحدث به اليه أبو جعدة بن هبيرة المخزومى أحد سمار الملوك وندمائهم فى العصر المذكور ، والحديث فى جملة يدل على عناية بالغة من الامويين والعباسيين بايثار ابنائهم واخوانهم بولاية العهد فى أغلب الاحيان ^(١) ، فالملك عقيم تقطع بسببه الارحام وتنكث العهد والايمان ، والسياسة مصلحة والحق فيها للقوة ، وعلى ذلك شهادة التاريخ تأريخ بنى امية وتأريخ بنى العباس وتأريخ كثير من الدول فى القديم والحديث ، فاذا ما أدل لل قوى الغالب من الضعيف المغلوب مال الناس الى تأييد القوى بالحق والباطل وأسرفوا فى تقريع المغلوب واطراء الغالب وأفرطوا فى الملق والدهان وشوهوا الحقائق وأدخلت السياسة أنفها فى شؤون العلم وفى شؤون التاريخ ، وما دخلت السياسة شيئا الا أفسدته ، ومن هذه الناحية شك من شك فى صحة كثير من الاخبار والروايات ، ومن ههنا نسب ما نسب من الخلط والتلفيق الى كثير من المؤرخين :

(١) جاء فى حديث المخزومى ما هذا نصه : « كنا مع مسلمة بن عبد الملك عام الخليفة فى القسطنطينية اذ ورد عليه كتاب عمر بن عبدالعزيز - ينعى سليمان بن عبد الملك ومصير الأمر اليه - أى عمر بن عبدالعزيز - فرمى الى بالكتاب فقرأته ثم اندفع يبكى فقلت : أصلح الله الأمير لا تبك على أخيك ولكن ابك على خروج الخلافة من ولد أبيك الى ولد عمك فبكى حتى اخضلت لحيته » ، ثم قال المخزومى فى آخر هذا الحديث : « لما فرغت من حديثى قال أبو العباس السفاح : « حسبك قد فهمت عنك » ومعنى ذلك ان السفاح تأثر تأثرا بالغا بالحديث المذكور ، وهو يدل على ان مصيبة مسلمة ابن عبد الملك بانتقال الولاية الى عمر بن عبدالعزيز اعظم من مصيبته بنعى أخيه سليمان . تجد أخبار المخزومى ونص حديثه هذا فى مروج الذهب للمسعودى (١٥٣/٢) ومما هو جدير بالذكر ان المخزومى المذكور كان أحد وزراء بنى أمية الا أنه ترك خدمة الأمويين الى العباسيين عند ظهورهم فى العراق ، وهو من ولد جعدة بن هبيرة المخزومى من فاختة أم هانئ بنت أبى طالب ومن هذه الناحية كانت صلته بالطالبيين فالطالبون أحوال أبى جعدة بن هبيرة المذكور .

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولام المخطيء الهبل
نقد كثير من المؤرخين بل نددوا بالنظام الذي راعاه الامويون والعباسيون بعد
ذلك بشأن ولاية العهد وعقدها لاكثر من واحد من ابنائهم وذويهم . فانه نظام لم
يحترم في كثير من الاحيان ولم يطبق ، والعبرة في التطبيق بل أفضى الى ضروب من
الاحن والمحن ، وقد مر بك ما كان من سياسة السفاح في اثار أخيه ثم ما ترتب على
ذلك ، وهذا المنصور ينهج منهج السفاح في سياسته فيؤثر ابنه المهدي ويستنزل الامير
عيسى بن موسى عن ولاية العهد من أجله ، وهذا المهدي يحذو حذو ابيه فيؤثر ابنه
الهادي على الامير المذكور وينسج الهادي على منوال أبيه وجده فيحاول استنزال
هارون الرشيد عن ولاية العهد لابنه جعفر مع ان البيعة اخذت للرشيد في حياة أبيهما
المهدي ولكن الهادي لم يفلح في محاولاته لقصر أيامه ، ولو امتد به العمر لتمكن من
حرمان الرشيد ولتغير بذلك على الأرجح تأريخ الدولة العباسية^(١) .

جاء دور الرشيد بعد الهادي فخلع جعفرا ولي عهد أخيه وعهد بالامر الى الامين
والمأمون والمؤمن ابناؤه فحدث ماحدث من جراء ذلك بين الاخوين .
هكذا ادى الاخلال بميثاق واحد الى سلسلة من نقض العهود والمواثيق ، وقد
لاحظ ذلك المؤرخ البارع جمال الدين بن تغري بردي فقال بعد اشارته الى عهد
الرشيد لاولاده الثلاثة ما هذا نصه : « وهذا من العجائب لان الرشيد رأى ما صنع
أبوه وجده بعيسى بن موسى حينما خلع عيسى نفسه من ولاية العهد ثم ما صنع أخوه الهادي
به ليخلع نفسه ثم هو - اي الرشيد - يبيع للمأمون بعد الامين حتى وقع بعد موته
ما فيه عبرة لمعتبر »^(٢) .

هذا وفي تأريخ العباسيين بعد العصور المذكورة امثلة من هذا النزاع وصور من
العبث بالوصايا والعهود ، من اشهرها ما وقع بعد وفاة الواثق بن المعتصم ، فقد مات

(١) تجدد محاولة الهادي في خلع أخيه الرشيد واخذ البيعة لابنه جعفر وسعى
البرامكة في صده عن ذلك في تأريخ الطبرى (٣٤/١٠ - ٣٨) والمروج (٨٦/٢ - ٨٧)
والكامل (٤٠/٦ - ٤١) ويلاحظ ان هرون الرشيد الذي حاول أخوه خلعه هو الذي

أخذ البيعة لأخيه الهادي اذ كان بعيدا عن العراق .

(٢) النجوم الزاهرة (٩٨/٢) .

عن ولد فأصر لا تصح بيعته فاختلف رجال الدولة وشجر النزاع بين ذوى الحل والعقد فيمن يرشحون للبيعة ، فمنهم من مال الى مبايعة ذلك الامير الصغير ليسهل لهم التغلب عليه الا ان بعض رجال الجيش اعترضوا على مخالفة هذه البيعة للسياسة الشرعية ، ومن هاهنا عدل القوم الى مبايعة المتوكل بعد منازعات ومشادات •

آفات وكوارث أخرى :

وقد قتل المتوكل - كما لا يخفى - أقدم على قتله ابنه المنتصر ، وقد استند المنتصر لدى الفتك بأبيه على فتوى صدرت من بعض فقهاء عصره صرحوا فيها بسوء مذهب أبيه كما رواه المؤرخون ^(١) ، وقد بويع المنتصر بعد اختلاف ونزاع بينه وبين اخوته على الولاية - في حياة أبيه - والمشهور ان الفتح بن خاقان وزير المتوكل كان يضلّع مع اخوة المنتصر فقرروا خلعه لانه أرشد وأجلد بنى أبيه ^(٢) •

يعتبر مقتل المتوكل أول حادثة من نوعها تقع في الدولة العباسية ولا توازيها حتى الحادثة التي قتل فيها الامين اذ لم يجرأ الموالي والمماليك على قتل خليفتهم كما وقع هذه المرة ، وفي وسعنا ان نحصى أعظم المحن والفتن الكبرى التي هزت كيان الدولة العباسية على الصورة الآتية :

- ١ - فتنة الاخوين التي قتل فيها الامين بسبب النزاع على ولاية العهد والبيعة •
- ٢ - غلبة الموالي وسيطرة المماليك ، وجلهم من الأتراك على الدولة العباسية بعد مقتل المتوكل •
- ٣ - استيلاء الديلمة والسلاجقة بعدهم على دار الخلافة ، وبذلك تجردت الدولة العباسية من سلطانها السياسي وانحصرت وظائفها في شؤون روحية بحتة ، وكان عدد من الخلفاء في عصر الديلم والسلاجقة كالمساجين داخل أسوار دار الخلافة وفي حريم تلك القصور ، وليس من النادر سمل العيون وازهاق الأرواح ، الى غير ذلك من فنون التنكيل والتعذيب ، وهو أسوأ ما منيت به الدولة العباسية في تأريخها الى ذلك الحين ، وكل واحدة من هذه الكوارث تكفى في الواقع لمحو دولة كبرى ولكن الدولة العباسية كانت تلوذ بسياج الاسلام والخلافة الاسلامية ، وهذا

(١) الكامل (٣٥/٧ - ٣٦) •

(٢) المصدر المذكور (٣٩ ، ٤١) •

سياج لا يسهل اقتحامه في كثير من الأحيان •

مقارنات تاريخية :

ولنا ان نعبر سيطرة الديلمة وبنى سلجوق على دار الخلافة انكى وأمر من سيطرة الموالى والأتراك قبلهم ، ويبدو لنا ان سلطة العباسيين فى فترة هؤلاء الموالى كانت أعظم وحرمتهم - على علاقتها - كانت أوفر لان هؤلاء الأتراك المتأثرين لم يكونوا دولة مستقلة ذات سيادة بخلاف الديلمة ومن بعدهم السلاجقة ، وما ابعد الفرق بين الموالى والاتباع والدول المستقلة ، ومجمل القول : كان لديوان الخلافة فى فترة غلبة الموالى أو الأتراك سلطته واستقلاله وبهاؤه الى حد ما بل كان النقض والابرام والنصب والعزل وكانت الأوامر والنواهي تصدر من ديوان الخلافة وتنفذ بواسطة هؤلاء المماليك من الأتراك ورجال الجيش ، وفى هذه الفترة كان غير واحد من الخلفاء العباسيين يقود الجيوش ويسير فى مواكب رائعة كما كان بعضهم يجلس للنظر فى المظالم ويحكم بين الناس ويتشبه فى سيرته بسيرة بعض الراشدين ، ومن أشهرهم فى ذلك المعتضد والمهتدى والمعتز والمستعين وآخرون من القوم (١) ، الى هذا ونحوه مما لم يكن له أثر فى ديوان الخلافة بعد ذلك أى بعد استيلاء الديلمة والسلاجقة •

فرج موقوت :

ويلاحظ ان الدولة العباسية تنفست الصعداء فى الفترة الواقعة بين أواخر عصر الدولة السلجوقية وظهور المغول اذ استعاد فيها بعض الخلفاء المتأخرين سلطانهم واستقلالهم ، ومن أشهرهم فى ذلك الخليفة الناصر ففى هذه الفترة عادت بعض الاقطار القريبة من العراق كبلاد اربل فى الشمال أو الشمال الشرقى وكاقليم الأهواز فى الجنوب الى حظيرة الدولة ، ومرد ذلك الى الانقسام والشقاق الذى وقع بين أمراء السلاجقة وقتل بعضهم بعضا مما استنفذ قواهم وشغلهم عن البقاء فى العراق أو التدخل فى شؤون دار الخلافة ولكنه كان فرجا موقوتا لان التار شرعوا فى الزحف على الشرق ، وقد انتهى زحفهم بعد جيل أو أكثر قليلا بالاستيلاء على العراق وسقوط الدولة العباسية ، ولا بد لنا من القول ان تلك الاقطار التى عادت الى الالتحاق بالعراق فى هذه الفترة عادت

(١) يرجع فى هذا الباب الى المروج (٣٣٧/٢ ، ٣٤٧) والآداب السلطانية

الى دولة انهم اهلها نظام الاقطاع وارهقهم سوء سيرة الحكام واودى بحضارتها وعمرانها ومجدها تعاقب الفتن والحروب .

مذهب آخر في السياسة الشرعية :

اطلعت - فيما مر - على طرف مما اخذه بعض المؤرخين على اولئك نفر من خلفاء بني العباس وغيرهم من ناحية غلبة الاثرة والانانية والطمع عليهم وتمكن العاطفة منهم في اثار ابنائهم وفتنتهم بأولادهم ، ويلاحظ ان الفقهاء الباحثين في الاحكام السلطانية والسياسة الشرعية يتحاشون التحامل على هؤلاء الخلفاء ويتجنبون النقد والتجريح ، ولهم في تخريج هذه المآتي والأعمال وتسويغ هذه السياسة مذهب آخر يختلف عن مذهب بعض النظار ، اجاز بعض هؤلاء الباحثين أن يعهد الخليفة الى اثنين او اكثر بالبيعة ، وعنى بعضهم بالبحث في تصرف المنصور وسياسته من الناحية الشرعية فارتأى ان من حق الوازع او من حق ولى الامر ان يفعل ذلك وارتأى آخرون انه كان مبطلا غير محق ، وقد اشار الماوردى الى تضارب آراء الفقهاء في هذه الناحية (١) وصحح عمل الرشيد في عهده الى ثلاثة من بنيه وأسنده الى مشورة من عاصره من العلماء وكانوا لا يجدون في ذلك محذورا (٢) ، وقد عرض الماوردى في الأحكام السلطانية لقصة عيسى بن موسى وما فعله المنصور والمهدى من بعده في استئزال هذا الأمير عن حقه الذى يدعيه فى الولاية و اشار الى مذاهب الفقهاء واختلافهم فى جواز ذلك أو عدمه وفى صحة هذه السياسة أو بطلانها ، ويظهر ان جمهورا من الفقهاء طعن فى سياسة المنصور وابنه المهدى فى هذا الشأن بدليل ان المنصور اراد من عيسى بن موسى ان يخلع نفسه بنفسه طيب النفس غير ساخط ولا متظلم ، وقد دافع الماوردى عن أبى جعفر وحاول تصحيح تصرفه فى ولاية العهد بقوله : « اما استطابة المنصور نفس عيسى بن موسى فانما أراد به تألف أهله لانه كان فى صدر الدولة والعهد قريب والتكافؤ بينهم متيسر وفى احشائهم نفور ففعله سياسة » ، ومن رأى ابن خلدون ان اثار الصدر الاول كالمنصور والمهدى من بني العباس لابنائهم فى ولاية العهد لا يقدر

(١) الأحكام السلطانية (١١ - ١٢) ط الاتحاد .

(٢) المصدر نفسه (١٠ - ١١) .

في عدالتهم (١) .

هذا ما قاله ابن خلدون ، والحقيقة ان كثيرا من هؤلاء الباحثين والفقهاء المتأخرين الذين صححوا تصرف الأول من خلفاء بني العباس على الاطلاق ، لم يسعهم التجرد عن الهوى ، والهوى اله معبود كما قيل وظالما غلب عليهم التقليد ومجاراة الاقدمين .

بدء الصراع :

بدأ الصراع بين أبي جعفر المنصور وابن أخيه بشأن ولاية العهد عقب مضي مدة لا تقل عن عشر سنين على بيعته ، ولم يكن للجفاء الشديد والوحشة بينهما أثر ظاهر خلال هذه المدة ، ذلك لكثرة الفتوق والهيجات على الدولة فيها ، وهي فتوق وهيجات استغرق رتقها معظم أوقات المنصور ، ولهذا ونحوه عني في الفترة التالية - فترة الاستقرار واتساق الامور والظفر بالتأثرين - أول ما عني باعادة النظر في نظام ولاية العهد ، وهو نظام خليق بذلك لانه يقرر مصير الخلافة ، وليس في خلفاء بني العباس من يهون عليه خروج الامر من عقبه مهما كانوا ، فكيف اذا فتن القوم بأولادهم وغلبت عليهم العاطفة فيهم ، ويحكي أن المنصور كان مشغوبا بابنه المهدي .

من اجل ذلك قام وقعد وجد واجتهد في تبديل النظام المذكور على أساس استئزال عيسى بن موسى عن الولاية وعلى أن تكون البيعة من بعد المهدي لعيسى نفسه ترضية له وهي سياسة لا مناص معها من الاختلاف ومن القال والقييل ، بل هو ضرب من الاثرة يوشك أن يؤدي الى فتنة وسفك دماء بين العباسيين أنفسهم ، فيهم كثير من الاكفاء المتطلعين الى المنصب المذكور وفيهم عدد غير قليل من الناقمين على المنصور في هذه الفترة ، وكانت لابي جعفر في صراعه مع ابن أخيه مكائد وحيل معروفة .

مكائد المنصور :

يقال : لم يعرف رجل في سلم أو حرب أمكر ولا انكر ولا أشد تيقظا من المنصور (٣) ، ويروى المؤرخون مكائد عدة نصبها هذا الخليفة لتوريط ولي عهده وابن

(١) المقدمة (١٤٨) المطبعة البهية .

(٢) قف على أصل هذه الكلمة لقائلها يزيد بن عمر بن هبيرة في تأريخ الطبرى (٩/ ٣١٣) وفي الآداب السلطانية ط الرحمانية (١١٥) ، وفي آخر هذه الكلمة يقول ابن هبيرة : « حصرنى المنصور فى مدينتى - أى واسط - تسعة أشهر ومعنى فرسان العرب فجهدنا كل الجهد أن ننال من عسكره شيئا فما تهيا ، وقد حصرنى وما فى رأسى بيضاء وخرجت اليه وما فى رأسى سوداء » .

أخيه ، من ذلك أنه أمره بقتل عمه عبدالله بن علي سرا ليقتله به بعد ذلك فيستريح من خصميه معا ، وقد أوشك ان ينخدع عيسى وأن يقع في الفخ المنصوب له لولا فطنة كاتب عنده قال له : اياك ان تفعل ، انه يريد ان يقيدك به والا لا أمرك بقتله علانية فيستصوب عيسى هذا الرأي وأبقى عبدالله عم المنصور حيا عنده فهو مدين في بقاءه حيا وفي نجاته من القصاص لكاتبه المذكور ، وبذلك بطلت حيلة المنصور وحقن عيسى دمه في قصة غريبة يستنتج منها ان عيسى كان على جانب عظيم من المنزلة في ديوان المنصور (١)

هذا وللمنصور حيلة أخرى دبرها ليقع فيها ابن أخيه وذلك عندما جهزه الى الحجاز لقتال النفس الزكية اذ كان من بعض أغراض المنصور أن يلقي به الى التهلكة يتضح لنا ذلك من جملة فاه بها الخليفة بعد حركة عيسى الى الحجاز ، وهي قوله : « لا أبالي أيهما قتل صاحبه » (٢) ولهذه الجملة دلالتها فهي تعني أن المنصور لا يفرق بين عدوه وأمير جيشه ولا يعنيه اذا دفع به الى المهالك ، ولا ندري كيف شاعت هذه الجملة وكيف تناقلها الرواة عن المنصور وهي تتم عما يضره من الشر لابن أخيه .

ليس هذا فحسب بل رأينا بعض رجال الديوان العباسي في العصر المذكور يتفنون في نصب الفخاخ وحبك الدسائس لهذا الامير تزلفا الى الخليفة وطمعا في الخطوة عنده ، من ذلك أنهم أشاروا عليه مرة ان يقلده أعمالا ديوانية مخرجة من شأنها اثارة الخواطر عليه مثل أعمال الخراج والجباية ، فصاحب الجباية اذا مال الى الضبط والدقة ذمه الناس واذا جنح الى التساهل والرفق عجزته الدولة ، ثم ان هؤلاء الخاصة أشاروا على الخليفة ان يحتفظ لابنه المهدي بأعمال من شأنها أن تحجب أصحابها الى الجمهور مثل النظر في « ديوان المظالم » ، وهو ديوان يشبه « مجلس الدولة » في هذا العصر (٣) وكانت له في صدر الدولة العباسية سلطة واسعة ، ومن وظائف هذا الديوان مراعاة السنن العادلة وتطبيق الاحكام الشرعية ورد الحقوق الى مستحقيها والمظالم على أهلها .

(١) تجد هذه القصة في كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (١٣٠) ، وفي تاريخ الطبري (٢٦٤/٩ - ٢٦٥) والمروج (٧٤/٢) والكمال (٢٧٥/٥ - ٢٧٦) ، واسم الكاتب الذي أنفذ الأمير عيسى يونس ابن أبي فروة .

(٢) رويت هذه الكلمة عن المنصور في الكامل (٢٢٧/٥) .

(٣) انظر في هذا الباب حكاية رواها الجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب ووردت فيها أسماء بعض خواص المنصور الذين يعول على آرائهم ومشورتهم في هذه الامور (٣٧ - ٣٨) .

ولهذا الديوان بعض الاسس والاصول فى تأريخ العرب قبل الاسلام ^(١) تجدها فى بعض مواثيقهم وأحلافهم ومنظماتهم العامة مثل « حلف الفضول » ^(٢) و « حلف المطيين » ^(٣) و « دار الندوة » ^(٤) وغير ذلك من أحلاف العرب وهيئاتهم السياسية فى الجاهلية وان كانت منظمات أو هيئات سياسية محدودة .

كان المنصور اذا كوشف بمثل هذا الدس على ابن أخيه يغرق فى الضحك ، وفى اغرافه بهذا الضحك دليل بانغ على انه ممن يطيب له هذا النوع من احاديث الكيد والتغريب بهذا الأمير ^(٥) ولا تخلو دولة من الدول من طبقة مصانعة تتظاهر

(١) من أوفى المراجع فى البحث عن ولاية المظالم وتحديداتها وشروطها وعن الفرق بين ولاية المظالم وولاية القضاء وعن أشهر ولاية هذا الديوان فى الدولتين كتاب الاحكام السلطانية للماوردى ، ط الاتحاد (٦٤ - ٨٢) وانظر عن ديوان المظالم فى الدول الاسلامية مقدمة ابن خلدون ط انبيهة (١٥٥ - ١٥٧) .

(٢) كانت للعرب فى جاهليتهم الأخيرة بعض العهود والمواثيق والاحلاف والمنظمات العامة التى تعاهدوا بموجبها على ردع الظالم وانصاف المظلوم ومنع البغى والعدوان على الضعيف ، ومن أشهرها حلف الفضول وهو بمثابة محكمة عليا اليها تحتكم قبائل العرب المتنازعة فى ذلك العصر أو هو ميثاق من مواثيق عدم الاعتداء ، وقد ظهر هذا الحلف فى أعقاب فترة من فترات الفوضى والظلام استباح فيه القوى حوى الضعيف وانقادت كل عشيرة الى حكم طاغيته وركبوا رؤسهم فى همجية منقطعة النظير فكان حلف الفضول يقوم مقام ديوان المظالم ويؤدى وظيفته من بعض الوجوه أو يؤدى وظيفة مجالس التحكيم ، ظهر هذا الحلف فى مكة ويعد من مفاخر العرب وقد بقى له شأن لا يستهان به فى صدر الاسلام وهدد به الامام الحسين بن على بعض أمراء بنى أمية فى نزاع بينه وبينهم فأوشك ان يهتف بحلف الفضول ، وقد أذعن له خصومه بعد هذا التهديد ، انظر عن حلف الفضول طبقات ابن سعد (٨٢/١) وسيرة ابن هشام (١٢٥/١ - ١٢٦) ومروج الذهب (٢٧٥/١) وثمار القلوب للشعالبي (١١٠) وشرح نهج البلاغة (٤٦٤/٣) .

(٣) انظر عن حلف المطيين سيرة ابن هشام (١٢٦/١) وثمار القلوب للشعالبي (١١٠) .

(٤) دار الندوة أو دار الشورى يقال أنها أول دار أحدثت بمكة تقضى قريش وتقطع فيها أمورهم ، يجتمع اليها أهل الحل والعقد للمشاورة وتقليب وجوه الرأى فى أمورهم العامة ، انظر عن دار الندوة تأريخ الطبرى (١٨٢/٢ - ١٨٤) وسيرة ابن هشام (١١٨/١ - ١٨٢) ومعجم البلدان للحموى ط لايسك (٥٢٤/٢) وشرح النهج (١٥٤/٣) .

(٥) الجهشيارى فى كتاب الوزراء والكتاب (٣٨) .

بالغيرة على مصلحة السلطان أكثر من غيرته نفسه ، وبهذا الضرب من المصانعة والنفاق يعظم جاه هذه الطبقة وترتفع منزلتها في الدولة ، والويل لدولة يعلو جاه السفلة فيها وينحط قدر الغلبة في أيامها •

قيمة الموثيق :

لما كبر المهدي ابن ابي جعفر المنصور شغف به ابوه شغفا شديدا وعز عليه حرمانه من البيعة بعده واستكثر ذلك على ولي العهد عيسى واراده على التنازل عن منصبه تارة بالترغيب وطورا بالترهيب فامتنع عيسى عن خلع نفسه ، واحتج بان عليه أيمانا مغلفة وموانيق فاطعة ، ومجمل القول ظهر الجفاء بين عيسى وعمه ومرد ذلك فيما نرى الى أمور ، منها وجاهة عيسى ومكاتبه وكثرة اتباعه وأنصاره ، ومن أجل هذا اختلفا اختلافا بعيدا في كثير من الاحداث وفي كثير من الاشخاص ، ومن هذا القيل اختلافا رأيهما في ابي مسلم الخراساني اذ كان لعيسى في صاحب الدولة او الدعوة رأى يختلف عن رأى المنصور فكان من رأى عيسى وقد جاهر به امام المنصور ان لا خطر على الدولة من وجود ابي مسلم في هذه المرحلة من مراحل حياتها وان صاحب الدعوة لم يزل على نصحه وطاعته واخلاصه طبقا لرأى ابراهيم الامام فيه ، ولكن المنصور يادر الى قتله خلافا لرأى ابن اخيه فيه ، اذ كان من رأى عمه ان ابا مسلم اصبح اعدى أعداء الدولة على وجه الارض وأنه لا امر ولا رأى ولا سلطان مع وجود ابي مسلم ، وقد دارت بين عيسى وعمه محاوراة في هذا الشأن كان المنصور فيها كثير الاستخفاف بآراء ابن أخيه (١) ، ومما زاد في الطين بلة ان المنصور لم يلتزم بالا مان الذي اعطاه لابي مسلم ، وكان عيسى كفيلا له في ذلك ، وقد اضاف عيسى امان المنصور لابي مسلم الى غيره من المكائد والخدع التي خبرها بذاته في سيرة عمه المنصور قبل خلافته وبعدها فانه صاحبه في الهجرة من الحميصة الى الكوفة وهو الذي مهد الأمور ووطأ الأكناف وأخذ البيعة له في العراق ، وهو عامله على الكوفة وقائد جيوشه في كثير من الحروب الطاحنة ، فلا يوجد بين امراء بني العباس من يماثله في الاتصال الوثيق بعمه المنصور وفي مباشرة اعماله والاطلاع على دخائله ، وكان أول من يؤذن له في الدخول عليه قبل حدوث هذا النزاع •

(١) تجد نص هذه المحاوراة في مروج الذهب (١٦٨/٢) والكامل (٢٢٧/٥) •

لم يكن هذا الأمان الذي أعطى لأبي مسلم ثم لم يلتزم به المنصور بأول أمان من هذا القبيل فقد آمن المنصور بن أبي هبيرة ثم فتك به وآمن عمه عبدالله بن علي ثم فعل ما فعل به ، ولذلك عيره محمد بن عبدالله النفس الزكية بالغدر وأبى أن يقبل منه الأمان •

لماذا قتل أبو مسلم ؟ :

ما من شك أن ارتياها وشكا كبيرا في اخلاص أبي مسلم وفيما ينطوى عليه من نيات قد خامر المنصور ، وهؤلاء المؤرخون من قدماء ومحدثين يقولون تبعاً لما قاله أبو جعفر المنصور قبل مقتل أبي مسلم : ان أبا مسلم يكيّد للدولة العباسية ويغيثها الغوائل ، وفيهم من يزعم أنه يريد احياء مجد الدولة الساسانية البائدة من جديد ، وليس هناك دليل قاطع او نص صريح في هذا الشأن ، والصحيح فيما نرى ان أبا مسلم كان يخشى المنصور على نفسه قبل خلافته لما اتصل به انه حاول قتله في خلافة أخيه السفاح فكيف وقد صار الأمر اليه ، ومعنى ذلك ان أبا مسلم كان يكيّد لشخص أبي جعفر نفسه أكثر من كيدته للدولة العباسية ، وكان يضلّع مع أمراء آخرين من بني العباس في مقدمتهم هذا الأمير عيسى بن موسى •

كانت بين الأمير عيسى وأبي مسلم صفة أكيدة ومودة قديمة على خلاف ما كان بينه وبين المنصور ، وحسبك انه - أعني الأمير المذكور - كان رسول المنصور الذي حمل رسالته اليه طالباً فيها أن يعدل عن التوجه الى خراسان وان يتجه الى العراق بعد وقعة « نصيبين » ، ولولا هذه الرسالة التي حملها عيسى ولولا عهد قطع بالامان فيها - وكان كفيّله فيه عيسى نفسه - لم يأمن أبو مسلم جانب المنصور ولم يسكن جاشه المضطرب ولم يقدم عليه ، وكان أبو جعفر يعرف هذه الصلة الوثيقة بين الرجلين ويحسب لها حسابها ، ولو عاش أبو مسلم وشهد محنة صاحبه الأمير عيسى واكراهه على التنازل عن ولاية العهد لآزره وحال بين المنصور واستنزاه عن الولاية •

لا عجب اذا خذل أبو مسلم أبا جعفر ولا غرابة اذا وقف هذا الموقف من تأييد عيسى وتقديمه على المهدي - لو عاش - فان مرد ذلك الى جفاء والى فتور قديمين بين أبي مسلم وأبي جعفر ، ولهذه الجفوة بين الرجلين اصول تمتد الى عصر أبي العباس السفاح لما جهز المنصور الى خراسان لتصفّح احوالها ، وكان ذلك في أواخر أيامه فاستخف أبو مسلم الخراساني بأبي جعفر وثقل مقدمه عليه ولم يبلغ ببره ولم يحتفل كثيراً به (١) ، على

(١) الاخبار الطوال للدينوري (٣٦٥) وتاريخ الطبري (١٥٣/٩) •

ان المنصور شاهد في رحلته هذه طاعة أهل خراسان لصاحبهم وتعظيمهم البالغ له ،
 ولاحظ ان أبا مسلم يأمر وينهى ولا راد لأمره في خراسان وخيل اليه ان سلطة الخليفة
 العليا تتضاءل شيئاً فشيئاً وان الناس لا يعرفون الخليفة ولا يهابونه كما يهابون أبا مسلم ،
 ولذلك عاد المنصور وفي نفسه أشياء عن أبي مسلم زعيم الشرق وعن استخفافه به فهو
 لا يرى بدا من قتله ، وكان أول ما قاله لأخيه السفاح : « أظنني واقتل أبا مسلم
 فوالله ان برأسه لغدرة فلست بخليفة ما دام أبو مسلم حيا فاحتل لقتله قبل أن يفسد
 عليك أمرك » (١) ، وقد هون المنصور على أخيه قتل أبي مسلم وتعهد أن يقوم به بنفسه
 بيد أن السفاح استعظم الفتك به لأنه مطاع في قومه وله على جنوده سلطة منقطعة
 النظير ، وهو الى ذلك حبيب الى أهل تلك الاقطار (٢) ، وقد فطن المنصور الى تنكر
 أبي مسلم له فصار يوجس خيفة منه على نفسه خاصة ، وأصبح يخشى جانبه ويحذر
 من ادخال أنفه في شؤون الخلافة .

لما فاجأ المنصور الأمير عيسى بأنه قد فرغ من قتل أبي مسلم لم يتمالك الأمير
 من اظهار أسفه لأنه كان يثق به ، وأهم من ذلك أنه كفيhle عندما أخذ الأمان له
 من المنصور ، ولذلك ظل يسترجع ثم عراه شيء من الوجوم كما لو كان يخاطب نفسه
 قائلاً : ما معنى هذا الأمان وما نتيجة ذلك الضمان (٣) ! .

والغالب أن الأمير عيسى شعر في هذه الفترة بأن دوره قد حان ، وأن العهد
 اليه بالولاية في عصر السفاح أصبح أضغاث أحلام في عصر المنصور .

دور الأمير :

أصبح الأمير عيسى بن موسى ينتظر دوره ، ويلاحظ ان عمر المهدي عندما بويع
 أبوه أقل من عشر سنين قليلا وهو سن لا تتعقد فيه بيعة لذلك أمهل المنصور
 عيسى بن موسى فلم يحرك ساكنا في السنين العشر الأولى من خلافته وكان ينتظر
 نشوء ولده لأن البلوغ شرط في صحة البيعة وفي مستهل العقد الثاني من خلافته
 أي في حدود سنة ١٤٦ لم يبق مانع يمنعه من النشاط في هذا السيل - أعنى إعادة
 النظر في نظام ولاية العهد - ففي هذه الفترة شب ولده المهدي وبلغ مبالغ الرجال ،
 فلم يكن من الصعب عليه ان يجعل من ابنه - وقد بلغ مبالغ الرجال - ندا منافسا

(١) و (٢) و (٣) : الاخبار الطوال للدينوري (٤٦٥) وتأريخ الطبري (١٥٣/٩) .
 (٤) : قف على اشارة صاحب الآداب السلطانية الى الأمان والكفالة المذكورة
 ط الرحمانية (١٢٥) .

لابن أخيه في المناصب والولايات الجليلة مع تفاوتهما في السن وفي كثير من المؤهلات السياسية^(١) ، ولكن لعيسى حق في البيعة لا بد من نقضه والتحلل منه ، والا خرج الأمر من عقب المنصور - ولو الى زمن محدود - وقد حذا العباسيون حذو الأمويين في عقد الولاية لواحد أو أكثر من أولادهم أو اخوانهم حتى لا تخرج الخلافة منهم الى غيرهم من أبناء العشيرة وكان المنصور أول عباسي عقد البيعة لابنه^(٢) .

لا يزال بمعارضة الخليفة :

على هذا ففتح عيسى بن موسى من قبل عمه في معنى خلع نفسه وتقديم المهدي عليه ، فاحتج وامتنع امتناعا شديدا مستندا الى براهين لا تخلو من قوة ، وفي مقدمتها وصية أول الخلفاء العباسيين أبي العباس السفاح ، وقد بعث عيسى في هذا المعنى رسالة وبخ فيها عمه توبيخا غنيا على نكث العهد وقطيعة الرحم خاطبه فيها خطاب الأنداد والنظر ، وكيف لا يكون عيسى ندا للمنصور وهو زميله في الولايات قبل الخلافة فقد كان أميرا على الكوفة بينما كان المنصور أميرا على الجزيرة في عصر السفاح ، وفي هذه الرسالة وكانت نفثة مصدور وصيحة موتور تقف على مبلغ اعتداده بنفسه وعلى ما كان له من شأن في الدولة^(٣) .

كان لهذه الرسالة أثر سيء في نفس الخليفة عاد بعدها الى التهديد والوعيد فعانى عيسى ما عاناه من السخرية والاهانة فتفاقت الأزمة حتى مشى شيوخ العباسيين وكبار القواد في اصلاح ذات البين وفي مقدمتهم عيسى بن علي عم المنصور^(٤) ، وممن

(١) انظر ما رواه الجهمشياري في كتاب الوزراء والكتاب (٢٧ - ٢٨) .

(٢) انظر المروج (١٥٣/٢) عن مبلغ عناية الاموين والعباسيين في عقد البيعة

لاخوانهم وابنائهم .

(٣) قف على هذه الرسالة في تاريخ الطبري (٢٧٠-٢٧٢) .

(٤) عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس صاحب « قصر عيسى » و « نهر عيسى » و « قطيعة عيسى » من أشهر اعمام المنصور ، وله اخوة آخرون يعدون من أشهر امراء الدولة العباسية في عصرها الاول ، كان عبدالله بن المقفع كاتباً عنده وبسبب اخلاصه لآل علي قتله المنصور ، والقصة مشهورة ، كان الامير عيسى بن علي وافر الحرمة عند المنصور لانه اعتزل السياسة مطلقا في الدولة العباسية ، وتجد ترجمة له في تاريخ بغداد (١٤٧-١٤٨) وفي كتاب للوزراء والكتاب للجهمشياري نبذة من اخباره تجدها في الصفحات الآتية (٣٧ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٢٥) وانظر عن ثروته وضياعه وعن نعمته معجم البلدان ط لايسك (١١٥-١١٨) ومن اوفى المراجع في أخبار آل علي وفي قصة كاتبهم ابن المقفع وفيات الاعيان ط باريس (٢٢٢-٢٢٣) وفي هذا البحث من الوفيات ملاحظات تاريخية دقيقة ، وراجع مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي في حوادث سنة ١٤٥ .

سعى بالإصلاح خالد بن برمك وآخرون من خواص المنصور^(١) ولكن بدون جدوى •

حزب ولي العهد :

وكان ولي العهد عيسى بن موسى هذا يستند في رد طلب المنصور الى حزب قوامه بعض مشيخة بنى العباس وبعض وجوه القواد والزعماء ممن يرون رأيه في الامتناع من بيعه المهدي ، فقد اعتبرت سياسة المنصور ضرباً من الاعتداء على حق ابن أخيه في نظر كثير من انصاره واصحابه ، فهم حزب يرى ان عيسى أحق بولاية العهد ، أحق من المهدي وأحق من غيره من الامراء وان المنصور يغمطه حقه اذا اراد تأخير عن ابنه المهدي ، ومن أشهر هؤلاء الانصار هرثمة بن أعين القائد المشهور كان يث الدعوة لعيسى بخراسان فأمر المنصور بالقبض عليه واشخصه مقيدا الى العراق^(٢) وكان عيسى بن علي عم المنصور الانف ذكره يقول لولي العهد هذا ولابنه : « اني لأعلم أنه لاخير في هذا الامر بعدكما وانكما احق ولكن المرء مغرى بما تعجل به^(٣) » . كان هذا الحزب مصدر قلق ومتاعب جملة للمنصور بيد ان الخليفة لم يدخر وسعا في مقاومته حتى تغلب عليه ولم يكن له بد من رجال ينظمون الدعوة لابنه ويزكون سياسته ، وقد بذل المنصور في هذا السبيل اموالا طائلة لبعض المرتزقة من الشعراء الذين انتقم منهم عيسى شر انتقام بعد ذلك •

كانت الجرأة البالغة من مميزات هذا الأمير بل كان ينقصه شيء غير قليل من المداورة والمداراة ، وقد رأينا مثالا في الجرأة والاعتداد بالنفس غير مرة ، وحسبنا عدم امتثاله أمر المنصور بقتل عمه عبدالله بن علي ، ويقول الطبري : آمن عيسى بن موسى وهو أمير على الكوفة جماعة من أبناء علي واکرمهم وحباهم فلم ينسوا له هذه الصنعة^(٤) ، وهو لا يحجم عن الرد على الخليفة وعن معارضته بمرأى ومسمع من

(١) انظر الكامل (٢٧٥/٥) •

(٢) قال ابن الاثير : (قبض المنصور على عباد مولاة وعلى هرثمة بن أعين بخراسان واحضرهما مقيدين لتعصبا لعيسى بن موسى) الكامل (٢٨٨-٢٨٩/٥) ولهرثمة قصة مع ابن يوسف صاحب ابى حنيفة يراجع عنها تاريخ بغداد (٢٥٠/١٤) ، وانظر عن مصير هرثمة تاريخ الطبري (٣٦-٣٧/١٠) ، ويراجع عنه ص (١٥٥) من هذا الكتاب •

(٣) تاريخ الطبري (٢٧٢-٢٧٤/٩) •

(٤) المصدر نفسه (١٩٥) •

الناس ، وقد يستبد بآرائه وأعماله ولا يلتفت الى عواقبها الوخيمة كما يفعل الحاكم الجبار ، فهو الذى سفك دم شاعر مجيد لا ذنب له سوى بث الدعوة لابن عمه المهدي وتقديمه على غيره فى قصيدة من قصائده ، وقد ارتكب عيسى هذه الجريمة غير مكترث بموقف المنصور من هذا الشاعر ومن اعجابه بقصيدته على ملأ من الناس ومن صلته المالية الكبيرة التى وصل بها الشاعر المذكور (١) .

الى هذا ونحوه من مظاهر الجرأة والشجاعة - فيما نرى - مرد بعض مظاهر الاعجاب به والاكبار له ، ولا شك انه كان يعتمد فى اطراح المبالاة وعدم الاكتراث بنتائج أعماله على دالته وسابقته وانه ممن ذلوا المصاعب ووطأوا الأكتاف فى هذه الدولة ، وقد فاتته ان هذه المميزات لا قيمة لها فى عالم السياسة وانها قد تزيد أصحابها بعدا واضطهادا من السلطان ومقتا من خواصه وايتارا لغيرهم من السفلة الساقطين ، فالسياسة غير العاطفة ، وما أكثر شواهد التأريخ على ذلك ، وما أحوج هذا الامير فى صراعه مع عمه الجبار الى الحزم وبعد النظر والفتنة ، فهو من رجال الحرب وليس من رجال السياسة .

دم الشباب وحكمة الشيوخ :

سعى شيخ بنى العباس عيسى بن على صاحب « قصر عيسى » فيمن سعى من وجوه الدولة فى الصلح وفى الوصول الى تسوية ما فى هذا النزاع .
كان الشيخ واسع الحيلة موفور التجربة الا ان آل عيسى بن موسى يكرهونه ويتهمونه ، وقيل انه كان يغرى المنصور بهم مرة ويتظاهر بالتظلم لهم أخرى ، فهو الذى لفت المنصور الى أن عيسى بن موسى انما يتربص بالخلافة لابنه فاذا امتحن واذا عرض الولد على السيف نزل ابوه عن الولاية ، وهكذا كان (٢) وقد مضى ان للأمر عيسى ولدا شابا سماه باسم جده « موسى » وقد شهد موسى الصغير هذا مراحل الصراع العنيف بين آبيه وعمه ورأى كيف يسام ابوه الهوان وكيف يهدد وتدس له المكائد ويعبث به القواد والحجاب ويؤخر اذنه على باب المنصور (٣) ، والى موسى

(١) تجد تفصيل ذلك فى تاريخ الطبرى (٢٧٢/٩-٢٧٤) وانظر قصة الشاعر المذكور وشيئا شعره فى أبى العباس السفاح فى المروج (٢٥٥/٢) .

(٢) الكامل (٢٧٤/٥ - ٢٧٥) .

(٣) تأريخ الطبرى (٢٦٧/٩) .

هذا فيما شاع مرد هذه الأئمة وأن أباه كان يرشحه للخلافة فهو أثير عنده ، ولا يقل شغف عيسى به عن شغف المنصور بالمهدى وقد بلغ موسى ان الخليفة واجد عليه وأن له دخلا في خلاف والده وامتناعه وأنه يحدث نفسه بولاية العهد من بعد أبيه فضاق موسى ذرعا بهذه الشايعات وكان دم الشباب يغلى في عروقه وحاول أن يفشى سرا خطيرا له صلة بهذا النزاع من شأنه أن يورى بحياة عيسى بن علي فنهاه أبوه عن ذلك .

خوف الوجوه^(١) ولى العهد وأندروه عاقبة هذا النزاع وتلطف شيخ بنى العباس في مدخله الى الاصلاح مستعينا على الأمير بابنه وقبل الابن أن يعرض على القتل ظاهرا في ديوان المنصور وأن تشهر عليه السيوف وأن يخنق بالحملات ، ولا شك ان أباه الذى امتنع عن خلع نفسه سيلين ويستجيب ، وهكذا تنازل ولى العهد ابقاء على فلذة كبده المذكور .

من رأينا أن تصرف الشيخ العباسي في هذا النزاع على أساس نزول عيسى بن موسى لا يخلو من حكمة فان قوى الدولة من مال ورجال كانت في قبضة الخليفة^(٢) ، ومن ثم أعلن الأمير عيسى خلع نفسه عن الولاية في يوم مشهود وقد تم تدبير هذه الحيلة مع العباس بن محمد أخى المنصور^(٣) فانهالت الهدايا الثمينة والأموال الطائلة على الأمير المخلوع وعلى أولاده وأتباعه كافة^(٤) .

أزمة نفسية :

على هذه الكيفية ثم خلع عيسى وكان أثر الألم الممض باديا على ملامحه ظاهرا

(١) لم ينفرد عيسى بن علي بمسعاها اذ سعى معه في هذا السبيل غير واحد من وجوه الدولة وفي مقدمتهم خالد بن برمك فانه استساع شهادة الزور لمصلحة المنصور ، انظر تاريخ الطبرى (٢٧٢/٩) .

(٢) المصدر المذكور .

(٣) يعدون العباس بن محمد أخا المنصور من رجالات بنى هاشم ، ولى دمشق والشام سنة ١٤٠ وولاه الرشيد امارة الجزيرة ثم عزله سنة ١٥٥ ، وله ذكر في كتب الأدب ، وهو ممدوح ربيعة الرقى بأبياته السائرة التى أولها :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل : لا وأنت مخلص ما قلها

كان الرشيد يعظمه جدا وفيه يقول : « العباس يذكرني بأعلامنا » له ترجمة مفصلة في مذهب تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٥٢/١-٢٥٥) ، وفي الكامل (٢/٥-٣) .

(٤) انظر عن ذلك تاريخ الطبرى (٢٧٥/٩) .

على وجوه أهله وأنصاره وعددهم غير قليل بيد أن القوم لم يحرموه بتاتا فإن الولاية جعلت له بعد المهدي، وقد تم أخذ البيعة الجديدة له بموافقة المنصور وهي فيما زعموا تسوية لا بأس بها، ولما سئل عن رأيه في ذلك أظهر عدم الاكتراث قائلا: « ما خرجت من هذا الأمر لأدخل فيه مرة أخرى » وهي كلمة تدل على غاية التبرم والامتناع وعلى شعور عميق بألم الصدمة وهو شعور عبر عنه بأبيات تعد من عيون الشعر، منها قوله:

خيرت أمرين ضاع الحزم بينهما أما صغار وأما فتنة عمم
وقد هممت مرارا أن أساجلهم كاس المنية لولا الله والرحم^(١)

والواقع أن موقف عيسى في محنته - كما قال - بالغ الحرجة، فهو موقف يتجاذبه عاملان • عامل التسليم والنزول على حكم خصومه وفي ذلك ما فيه من صغار وهوان وعامل آخر هو عامل المقاومة والدفاع، وفي المقاومة ما فيها من الحاق شيء لا يستهان به من الضعف والوهن بالدولة، وقد عبر عيسى وهو معدود من شعراء ذلك العصر عن هذه الأزمة النفسية التي كان يعانها بقطع من الأشعار^(٢).

جناية السياسة على التاريخ:

هذا ويلاحظ أن كتب التاريخ حافلة بالمتناقضات في سياق الروايات المتصلة بهذا النزاع وفي كيفية خلع عيسى بن موسى، منها ما يشير إلى ضعف عيسى وأنه خلع نفسه من أجل المال ولسبب عجزه عن الاضطلاع بمهام الخلافة وأنه أقدم على ذلك طيب النفس قرير العين، وفي رواية أنه باع حقه في ولاية العهد بثمن طائل من الذهب، إلى غير ذلك^(٣)، ومن الرواة من يربأ به عن الاسفاف ويرفعه إلى مستوى

(١) روى هذه الابيات أبو الفرج في الاغانى (٢٢/١٥) ط التقدم، ولم يروها المرزبانى مع انه روى قطعا من اشعاره، ويلاحظ ان ما رواه المرزبانى من شعر عيسى دون هذا انطراز الذى نقلناه من الاغانى •

(٢) ترجم المرزبانى لعيسى فى باب من اسمه عيسى من معجم الشعراء ونقل مقطعات من شعره فى توبيخ عمه المنصور وما الى ذلك، وجاء فى ترجمته له مانصه:

« من مشايخ بنى هاشم ورؤسائهم وشجعانهم ولد سنة ١٠٢ وتوفى سنة ١٦٧ » •

(٣) تجد بعض هذه الروايات فى تأريخ الطبرى (٢٧٤/٩ - ٢٧٥) والكامل (٢٧٥/٥) والآداب السلطانية (١٢٥ - ١٢٦) •

أبلى الرجال وأنه أكره على خلع نفسه بعد مقاومة تخللها كثير من التهديد والوعيد فدست له الدسائس وعرض على المتالف وضحي في مسيل امتناعه عن تقديم المهدي على نفسه بالولايات والمناصب ، ومن ذلك ولاية الكوفة وسوادها وزعامتها وقد وليها ثلاثة عشرة سنة حتى عزله سنة ١٤٧^(١) ، وعلى كل فهذه الروايات متناقضة مختلفة باختلاف مذاهب الرواة ونعراتهم الحزبية ونزعاتهم السياسية ، وقد ساهم بعض المرتزقة من الشعراء بقسطهم في ذلك^(٢) ، ومن هذه الناحية تتجلى جناية السياسة على التاريخ وأثر المال في تشويه المحاسن وتزيين المساويء وقلب الحقائق ، وقد لاحظ بعض المؤرخين ماتخلل هذه الفترة من تأريخ الدولة العباسية وأحداثها من رياء ومصانعة ، والرياء والمصانعة - كما قال ابن تغري بردي في تعليقه على الاحداث المذكورة - من الآفات الاجتماعية القديمة^(٣) ، ولنا أن نقول على أي حال : ان عيسى بن موسى مثل دورا ذا شأن في تأريخ هذه الدولة فأتعب فحل بنى العباس وكانت قضيته شغل الخليفة الشاغل ردحا من الزمان ، بل لنا أن نقول أكثر من ذلك : انه خرج من هذا الحادث خاصة موفور العرض - وان لم يكن كذلك في غيره من الاحداث - وان المال لم يكن له كبير دخل في تخليه عن الولاية ، ولذلك يقول الطبري : « توفي عيسى والمهدي واجد عليه وعلى ولده ، وكان المهدي يكره التقدم عليه لجلالته »^(٤) ، فلو كان الرجل ضعيف النفس كما تصوره بعض الروايات لما وجد المهدي عليه وعلى ولده ولما كره التقدم عليه الى أن مات ، وحسبنا أن نرى كتب التاريخ طافحة بأخباره مع المنصور وبمبلغ ما داخل الخليفة من القلق والخوف من ناحيته حتى دسوا لعيسى ما يتلفه فمرض من جراء ذلك وامتنع طبيبه بختيشوع من علاجه في دار السلام خوفا على

(١) تأريخ الطبري (٢٧٥/٩) .

(٢) انظر عن تحزب بعض الشعراء في هذا النزاع ، وعن مقتل أبي نخيلة الشاعر بأمر عيسى بن موسى ، تأريخ الطبري (٢٧٢/٩ - ٢٧٤) والاغاني (١٣٩/١٨ - ١٤٠) ط التقدم .

(٣) قال ابن تغري بردي وهو يسرد أحداث سنة ١٥١ ما نصه : « وفيها جدد الخليفة أبو جعفر المنصور البيعة لولده محمد المهدي ثم لابن أخيه من بعده عيسى بن موسى فكان من يبايعه يقبل يده ويد المهدي ثم يمسح على يد عيسى بن موسى ولا يقبلها ، قلت البلاء والرياء قديمان » ، النجوم الزاهرة (١٦٠/١٢) .

(٤) تأريخ الطبري (٩/١٠) .

نفسه فترك بغداد الى الكوفة ، ويكفى عيسى انه لم يلب طلب الخليفة فى البقاء عنده فكان المنصور يعود فى الكوفة مرة بعد اخرى ، ولم يفت بعض الشعراء ذلك فقالوا ما قالوه فى هذه الحادثة (١) .

كانت وصية أبى العباس السفاح - كما مر - أقوى حجة تمسك بها عيسى واستند اليها هو وأنصاره فى المطالبة بولاية العهد وصاروا يغمزون المنصور من هذه الناحية وينسبون اليه الاثرة واتباع الهوى ، الى غير ذلك مما يقدح فى عدالته ، ولم يسع المنصور انكار الوصية لذلك اختار - على قوته وجبروته - أن يسوى النزاع تسوية سلمية وفضل هذه التسوية على غيرها من أساليب العنف والشدة وعمل كل ما فى وسعه ليداع أنه لم يستخدم القوة وانما نزل عيسى عن حقه مختاراً طيب النفس حيث سجل غير واحد من الزعماء شهادتهم بذلك ، وهى شهادة قابلة للطعن والتجريح فيما يراه غير واحد من قدماء المؤرخين (٢) .

الولد على سر أبيه :

يقولون فى أمثالهم : الولد على سر أبيه ، كما يقولون : العصا من العصية ولا تلد الحية الا حية ، ومصدق هذا فى سيرة المهدي عندما بويع بالخلافة بعد أبيه فإنه نسج على منوال سلفه وحذا حذوه فى سياسته ، أى ان المهدي أراد لابنيه موسى الهادى وهارون الرشيد ما اراده المنصور له من التقدم ، وهو أمر لا يتم الا بخلع عيسى بن موسى مرة ثانية ، فطلب منه ما طلبه المنصور من قبل ، أرهبوه مرة وأرغبوه أخرى حتى أجاب (٣) واشهدوا عليه بالخلع مرة أخرى وبويع للهادى والرشيد بالخلافة بعد المهدي ، وكان ذلك سنة ١٦٠ ، والفرق بين الحادثتين ان عيسى لم يجامل فى المرة الاخيرة كما جاملوه بالبيعة فى المرة الاولى ، فكان ذلك آخر عهده بولاية العهد التى تقلدها اكثر من عشرين سنة من أيام السفاح الى أيام المهدي ، وكان يتقلد مضافاً الى ذلك

(١) تجد تفصيل ذلك فى تاريخ الطبرى (٢٦٦/٩ - ٢٦٧) والابيات التى قيلت فى ذلك ليحيى البرجمى أبى زياد مشهورة ، وأولها :

افلت من علة الطبيب كما يفلت ظبى الصريم من قتره

(٢) انظر ذيل الصفحة (٤٤) من هذا الكتاب .

(٣) تجد أخبار خلع عيسى فى المرة الثانية فى تاريخ الطبرى (٣٢٩/٩ - ٣٣٤)

وفى تهذيب تاريخ ابن عساكر (٣١٠/٣) ، وفى الآداب السلطانية (١٣٢) .

بعض الولايات والاعمال ، وهكذا سيقى البيعة والخلافة فى اولاد المنصور من صلبه الى أن انقرضت الدولة العباسية •

بلغت الفترة الواقعة بين الحادثتين أكثر من اثنتى عشرة سنة ، ويروى فى هذا التنازل أو الخلع الثانى ما يروى فى سابقه ، وأنه كان فى مقابل عوض مالى كبير تناوله المخلوع ، وليس من السهل اثبات ذلك ولا يقصد من بعض هذه الروايات غالبا الا الطعن والتجريح •
ختم مأساة :

اعتزل عيسى أعمال الدولة سياسيا وعسكريا بعد سنة ١٤٧ وهى السنة التى نزل فيها عن منصبه ، فلم يل الكوفة ولا شيئا آخر من الولايات بقية أيام المنصور وأيام ابنه المهدي ، وخلفه على ولاية الكوفة من بعده كبيرا آل على وزعيمهم « محمد بن سليمان بن على » ، ولهذا الاختيار معناه فقد مر بك أن آل عيسى يكرهون « آل على » ويتهمونهم ، ويعلل بعض الرواة هذا التعيين برغبة المنصور فى الاستخفاف بعيسى بيد أن محمد بن سليمان لم يفعل ذلك وظل مبجلا له ^(١) ، ووالى الكوفة الجديد « عظيم أهله وجيل رطله وسيد عشيرته » ، بهذا وصفه المؤرخون ، وله اخوة منهم جعفر واسحاق وموسى ما كانوا دونه وجاهة وان لم يلحقوا شأوه فى الغنى والثروة ^(٢) ،

(١) الطبرى (٢٧٥/٩) •

(٢) تحدث المؤرخون مليا عن ثروة محمد بن سليمان وقد صارت ثروته بعد موته سنة ١٧٢ الى الرشيد ، وكان أخوه جعفر يحسده فى حياته فحرمه الرشيد من ميراثه بعد مماته ، ولما أمر الرشيد بتصفى تركته وقبض أمواله وودائعها وجد فى ضمنها قناطير أو كميات هائلة من الاطعمة والمأكول المنتنة فسد بسببها هواء المربد ، وحسبك أنه أهدى من البصرة الى « الخيزران » مائة وصيفة فى يد كل واحدة منهن جام من ذهب وزنه ألف مثقال مملوء مسكا ، ويستفاد من أقوال المؤرخين أن جانبا كبيرا من الثروة المذكورة جمع مما كان يهدى لصاحبها من الاقطار الغنية التى ولى أمرها أو ما جاورها من الاقطار ، ولا يخفى حكم الشرع فى مثل هذه الهدايا وهو أن ترفض ولا تقبل أو أن ترسل الى بيت المال ، ومجمل القول : يعد محمد بن سليمان أغنى أغنياء الأمراء العباسيين ، من أبلغ أوصاف المؤرخين لهذه الثروة وصف الطبرى (١٠/٥١ - ٥٢) ، ومن أوفى المراجع فى أخبار محمد بن سليمان وأخبار اخوته جعفر واسحاق وموسى تأريخ بغداد للخطيب (٢٩١/٥ - ٢٩٢ و ١٣/٦ ، ٢٠ ، ٣٢٩) والمقاتل لأبى الفرج (٢٦٣ - ٢٦٨) ط النجف ، والكامل (٤٨/٦) وشرح النهج لابن أبى الحديد (٤٧١/٣ - ٤٨٢) ، والنجوم الزاهرة (٦٥/٢ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٧) ويرجع أيضا الى الصفحة ١٠٨ من هذا الكتاب •

ويقال ان ابناء سليمان كانوا اعظم من ملوك بني أمية ، غنى الاول من خلفاء بني
العباس بتكريمهم عناية بالغة ، وأبوهم سليمان بن علي أول ولاية العباسيين على البصرة
اختاره السفاح لهذه الولاية في السنة الاولى من تأريخ الدولة العباسية وخلفه عليها بعد
موته ابنه محمد بن سليمان مرة وجعفر أخرى^(١) حتى عصر الرشيد •

الامير المحتفى به :

بالغ المؤرخون في وصف حفاوة الرشيد بمحمد بن سليمان لما قدم عليه بعد بيعته
في بغداد فانها حفاوة تحدثت بها الركبان ، وفيها اضاف الرشيد الى ما كان يتولاه
أعمالا أخرى اذا استعرضناها اليوم وجدنا كل عمل منها دولة ذات شأن ، وحسبك ان
منها البحرين وعمان واليمامة وكور فارس وكور الاهواز الى غير ذلك ، ولم يجمع
هذا لاحد غيره ، وفي مقدمه المذكور الى بغداد زوجه الرشيد باخته العباسية وشيعه في
خروجه من بغداد الى « كلواذي » مع ان المهدي أباه عزله عن ولاية البصرة قبل ذلك •

(١) جعفر بن سليمان أخو محمد السالف ذكره لم يكن دون أخيه وجاهة ، ولي
البصرة للمنصور ، ذكر المؤرخون أنه مات عن ثلاثة وأربعين ذكرا وثلاثين امرأة كلهم
من صلبه فما ظنك بمن مات من ولده في حياته ؟ ، وما رأى جعفر راكبا الا ظن
أنه خليفة ، وأمر جعفر بن سليمان قد عاينه عالم من الناس وعامتهم أحياء على ما يقول
الجاحظ ، قال الهيثم : افضى الملك الى ولد العباس وجميعهم من الذكور ثلاثة وأربعون
ومات جعفر بن سليمان عن مثل ذلك العدد من الرجال ثم قارن الجاحظ بين جعفر
وقوم آخرين قرب ميلادهم وكثر نسلهم حتى صاروا كبعض القبائل الى أن قال : وولد
جعفر اليوم أكثر من هذه القبائل ، وداود وسليمان من ولد جعفر من أشهر خطباء
بني العباس ، وكان سليمان بن جعفر بن سليمان واليا على مكة فكان أهل مكة يقولون
لم يرد علينا أمير الا وسليمان أبين قاعدا وأخطب قائما ، وكان داود اذا خطب استحضر
فلم يرده شيء ، ملك جعفر بن سليمان ألقى عبد من السودان غير البيض وغير الاماء ،
ولما مات محمد أخوه حرمة الرشيد من ارثه لانه كان يسعى به ويحسده ، ويقول المؤرخ
ابن تغرى بردى في تعليقه على ذلك ما هذا نصه : « هذا من شؤم الحسد فالحاسد
ظالم في صورة المظلوم » ، ولا ندرى لماذا يبلغ حسد الامير جعفر أخاه هذا المبلغ حتى
يحرم من الارث ، فما كان جاهه وثروته بالشئ اليسير بيد ان الطمع لا حد له عند
بعض الحكام ، وأكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع ، وفي كتب الأدب بعض
الاحاديث عن بخل هذا الامير راجع عن أخبار جعفر بن سليمان شرح النهج لابن أبي
الحديد (٤٧١/٣ ، ٤٧٤ ، ٤٨١ - ٤٨٢ ، ٤٨٧) ، والغرر للوطواط (١٨٨) ،
وانظر ذيل الصفحة السابقة •

لم يعلل المؤرخون هذه الحفاوة البالغة من قبل الرشيد بمحمد بن سليمان ، ومردّها - فيما نرى - الى أمور في طبيعتها موقف محمد بن سليمان وأهل بيته من سياسة العباسيين مع العلويين والطلبيين حيث أيد آل سليمان سياسة البطش والتتكيل بالعلويين تأييدا تاما ، ومحمد بن سليمان هو الذي سلم موسى بن عبدالله بن الحسن - المعروف « بموسى الجون » ثالث الاخوين محمد و ابراهيم - الى المنصور وهو لاجئ عندّه في البصرة ولم يكثرث برابطة القربى التي تربطه به^(١) ، أضف الى ذلك ان محمدا هذا ممن شهد وقعة فخ بنفسه ومعه أخوه جعفر بن سليمان وساهم في سفك تلك الدماء ، وله في الواقعة المذكورة أخبار غير قليلة^(٢) ، وقد يقال في تعليل هذه الحفاوة ان محمدا أسن من الرشيد بكثير ، ومن عادة الاول من خلفاء بني العباس اكبار مشيختهم وتوقيرهم في كثير من الاحيان ، هذا ومن الامور التي لا ينكر ما لها من دخل كبير في هذا التكريم ذلك الغنى الفاحش الذي عرف به محمد بن سليمان فقد رأينا ألطافه وهداياه الثمينة تترى على آل الرشيد في بغداد من البصرة .

لم يتمتع عيسى بن موسى بعد عزله ونصب « محمد بن سليمان » خلفا له في الكوفة من الإقامة فيها وفيما اليها من السواد أو في برية النخف أو في ضيعة له في الرحبة محتفظا بزعامته ومكائنه في ولاية محمد بن سليمان اذ كانت الإقامة في الكوفة أحب شيء اليه ، وهذه بغداد تم تخطيطها وانشاؤها وانتقل اليها المنصور في تلك الايام فلم تجذبه اليها كما اجتذبت غيره من الامراء وفضل عليها الكوفة ، ويصح ان يقال انه زعيم الفرات والكوفة - في هذه الفترة - غير مدافع - ومرد ذلك الى أنه الشخص الذي يلي الخليفة في المرتبة بحكم منصبه في ولاية العهد ، والخلاصة ، كان ميالا الى الإقامة في سواد الكوفة والفرات مفضلا لها على الامصار والحوضر الكبيرة ، وقد شب على كره التصنع فهو من قادة الجيش المطبوعين على التقشف والخشونة .

نكب عيسى بن موسى مرتين ، وكانت نكبته الأخيرة في بغداد ، فكان لا يرغب في التردد عليها الى أن مات في الكوفة سنة ١٦٧ وفيها دفن كما كان عمره لما مات خمسا وستين سنة ، ومات المهدي بعده بستين ، ومما هو جدير بالذكر ان المهدي عزل والي الكوفة

(١) المقاتل لأبي الفرج (٢٦٣ - ٢٦٨) ط النجف ، ومن المؤرخين الذين رووا قصة موسى هذه الطبري وابن الأثير .

(٢) المقاتل (٣٠٢ - ٣٠٣ ، ٣٠٦ - ٣٠٧) .

لأنه أبى أن يمثله في الصلاة على جنازته واعتبر ذلك غضا من مقامه ، وليس للمهدى فيما نرى أن يغضب من استخفاف الوالى المذكور بعيسى وآل عيسى فانه كان يخشى العقاب لو فعل ذلك ، وهذا المنهج هو منهج المنصور ومنهج المهدى من بعده في سياسة العنف والشدّة مع هؤلاء القوم ، فما ذنب الولاة والعمال ؟ ، ومن ذلك يتضح لنا على كل حال ان هذه القاعدة وهى ان عامل السلطان يعتبر ممثلا له في كل شيء كانت من جملة القواعد السياسية المعروفة في ديوان الخليفة (١) .

وفي اطمئنان عيسى وسكونه الى الاقامة في الكوفة وهى عريقة في نزعها العلوية دليل على هول المصيبة التى أنزلها بالعلويين وأوليائهم ومن يضلع معهم ، وكان اولياء بنى الحسن في الكوفة يتربصون بمعسكرات المنصور ، ولو غلب عيسى في معركة « باخمري » لاستولى العلويون على العراق بأسره ، والواقع ان المنصور كان يتهيأ لمغادرة العراق الى خراسان عندما حمى وطيس القتال بينه وبين ابراهيم بن عبدالله شرقى الكوفة (٢) ، ولم يكن للعلويين ولكثير من أنصارهم بد من مغادرة الكوفة في العصر المذكور ، وان عادوا اليها بعد ذلك وعادت الكوفة علوية كما بدأت الى اليوم ، أما الامويون فان لعيسى بهم نكاية لا تقل عن نكايته بالعلويين .

ظل عيسى حاقدا على بنى أمية يربى نشء بنى العباس على ذلك ويغذيهم بغض القوم ويتحدث اليهم عن مساويهم الى أن مات ، وله في هذا الباب قصة طريفة يرويها حفيد له يدعى ابراهيم بن موسى بن عيسى كانت أمه أموية (٣) ، وقد عرف هذا الامير العباسي مع ذلك بحمية وعصبية شديدة للعرب تدل على ذلك رواية عن ابن أبى ليلي وردت في باب المتعصبين للعرب من كتاب العقد الفريد (٤) ويستفاد من هذا الباب ان

(١) تجد قصة والى الكوفة هذا واسمه وكيف غضب المهدى عليه في تاريخ الطبرى (١٠/٨ - ٩) ، وانظر بعض أخبار عيسى في الاغانى (١٥/٣٢ - ٣٤) ط التقديم ، وفي الجزء (١١١/٨) بعض أخبار ابنه موسى .

(٢) يراجع عن ذلك تأريخ الطبرى (٩/٢٠١ - ٢٠٩) ، والمروج (٢/١٦٩) ، والمقاتل (١٦١ - ١٦٩) ط النجف ، والكامل (٥/٢٥٠ - ٢٦٣) ومعجم البلدان (٤/٥٨٢) ط لايبسك .

(٣) رويت هذه القصة في شرح النهج لابن أبى الحديد (٢/٢١٤) ومنها يستنتج ثيف كان الهاشميون والامويون يتوارثون الحزازات والعداوات خلفا عن سلف في الفترة المذكورة ، وقد ساق ابن أبى الحديد هذا الحديث الطريف على طوله في الكتاب المذكور .

(٤) (٢/٢٦٢) ط الجمالية .

بعضهم يرى في الحمية للعرب والتتويه بمحامدهم غصراً من عناصر الديانة وإن الشعوبية ضرب من العقوق وبخس الحقوق •

هدنة على دخن :

كان الأمير المخلوع عيسى بن موسى كثير النسل ، ولد له من الذكور أكثر من ثلاثين ، وهو من هذا القبيل مثل غير واحد من أمراء بني العباس ولكن آل عيسى من أكثر الأمراء العباسيين تقلباً في الولايات فإن أربعة منهم أو أكثر حكموا مصر^(١) ومما لا شك فيه أن الأول من خلفاء بني العباس عنوا كثيراً باختيار ولاتهم من السلالة العباسية ، ولا مناص في مثل هذه السياسة التي يقصد منها في كثير من الأحيان ترضية الأهل والعشيرة من أن يتأثر مستوى الكفاءة في الدولة وهذا ما وقع فعلاً ، فإن غير واحد من أولئك الولاة المنتسبين إلى السلالة العباسية لم يحالفه التوفيق في عمله ومنهم من عوقب بالعزل أو بالحبس إلى غير ذلك ، فهذا العباس بن محمد وإلى الجزيرة عزله أخوه المنصور وصادره وجبسه لشكوى أهلها منه وكما أن المنصور أكثر من تولية أهله أكثر من عزلهم كذلك ، وهذا العباس بن موسى بن عيسى - الآتي ذكره - وهو وإلى المأمون على مصر لم يحالفه التوفيق في إدارة شؤونها لا هو ولا من استنابه وهو ابنه عبدالله فلم تحمد سيرة ابنه المذكور ، وقد رأينا أيامه وأيام أبيه كثيرة الفتن والاضطرابات نار المصريون فيها غير مرة^(٢) وانشطروا في بعضها إلى شطرين تبعاً لما وقع في الشرق في فتنة الأخوين ، شطر يؤيد الأمين وآخر يعاضد المأمون في هذه الفترة التي حكم فيها العباس بن موسى وإلى مصر من قبل المأمون •

(١) وهم موسى بن عيسى بن موسى وأخوه اسماعيل وابنهم العباس وقد استناب موسى في إحدى ولاياته ابنه يحيى كما استناب العباس ابنه عبدالله ، وقد استعمل غير واحد من آل علي على مصر وهم أقدم واعرق في هذه الولاية من عصر السفاح ، النجوم الزاهرة (١٦١/٢ - ١٦٢) •

(٢) في هذه الفترة ظهر مذهب محمد بن ادریس الشافعي وتغلب تدريجياً على مذهب مالك الذي كان شائعاً في الديار المصرية قبل ذلك ، فقد روى المؤرخون أن الشافعي وجماعة من أصحابه دخلوا مصر مع العباس بن موسى وفي قول مع ابنه عبدالله ، وكان ذلك مبدأ ظهور مذهبه وغلبته على مذهب مالك بن أنس في مصر ثم ظهر مذهب الشيعة الفاطميين وتغلب على مذهب الشافعي إلى أن زال بزوال الدولة الفاطمية ، يراجع عن دخول الشافعي إلى مصر مع العباس بن موسى أو مع ابنه كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي (١٥٤) وخطط المقرئ (١٤٥/٤ - ١٤٦) والنجوم الزاهرة (١٦١/٢) •

وما من شك ان العباس والى المأمون على مصر لم يكن على شيء من الحزم ، وقد استتاب ابنه عبدالله على ولايته هذه (١) وكان أضعف من أيه فلم يكتب له نجاح قط ولم يستطع تهدئة المصريين اثنائين ، وكانت البلاد تعج بالفتن والاضطرابات وهى فتن واضطرابات غيفة لم تقع عفوا وانما فتن المصريون فيها تبعا لفتنة العراقيين وفتنة أبناء خراسان وفتنة أبناء الشرق بأسره فى الخلاف الناشب بين الاخوين على البيعة •

قد يقال لماذا لم يبادر العباس فى الذهاب الى عمله فى مصر ولماذا بقى فى الشرق ؟ فى هذا الصدد يقال ان العباس بقى فى الشرق ينتقل بين بغداد ومكة والمدينة يشهد المواسم ويث الدعوة للمأمون فهو معدود من أكبر أعوانه وأكثرهم نشاطا ، وقد ندبه المأمون فى هذه الفترة العصبية للقيام بمهام خطيرة فى جملة من الامصار الكبرى ، فرأيناه أميراً على مواسم الحج معنيا مع بعض أعمامه بث الدعوة للمأمون بيد ان الاحوال ساءت فى الديار المصرية وقام حزب الامين بقسط لا يستهان به من النشاط فاضطر العباس أن يذهب الى مصر ولكنه لم يتغلب على الحزب المذكور حتى غلب الامين على أمره وقتل فى بغداد ، والحقيقة أن فتنا سياسية خطيرة طغت على الدولة العباسية بعد موت الرشيد فانقسم الناس شيئا وأحزابا فى الشرق والغرب حزب يطلع مع الامين وآخر مع المأمون ، وكان لمصر قسط لا يستهان به من الفتن المذكورة ولم تهدأ فى أيام حاكمها العباس المذكور حتى مات مسموما وقيل قتله الجيش (٢) ، ولنا ان نقول ان البيت العباسى نفسه اضطر فى هذه الفترة الى شطرين شطر يؤيد المأمون ومنهم آل عيسى بن موسى وشرط آخر يؤيد الامين ومنهم بعض أبناء صالح بن على كعبد الملك بن صالح الزعيم الهاشمى المشهور •

نظام الخلافة العباسية :

من ذلك يتضح لنا ان رابطة الخلافة العباسية كانت تنظم الدولة من أقصاها الى

(١) من أوفى المراجع للاطلاع على تأريخ ولاية العباس وابنه عبدالله نيابة عنه وما جرى خلال ذلك من الفتن والاضطرابات فى مصر كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندى (١٥٣ - ١٦٥) ، ويراجع عن مهام العباس المذكورة فى الشرق وامرته على المواسم ومساهمة عمه داود بن عيسى فى بث دعوته الكامل لابن الاثير (١٠٧/٦ - ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٢٢) •

(٢) النجوم الزاهرة (١٦١/٢ - ١٦٢) •

أقصاها وهي تجبو الى أوج مجدها وسؤددها في عصر هارون الرشيد وعصر المأمون
فأصبحت الدولة وحدة سياسية متماسكة اذا اضطربت منها ناحية اضطربت لها سائر
النواحي واذا تألم عضو سرى الالم الى بقية الاعضاء فما ان ذرت فتنة ألاخوين في
 ناحية الشرق من خراسان الى العراق وما أن اختلف الاخوان على أليعة حتى تسربت
ألقلاقل والاضطرابات من هناك الى الشطر الغربي في جزيرة العرب من الشام والجزيرة
وفي مصر واليمن وفي غير ذلك من الاقطار حيث تتطاحن الاحزاب السياسية •

موسى بن عيسى :

ما أكثر آل عيسى وأبناءه من صلبه (١) على أن أنبلهم وأجلهم على ما يقول
المؤرخون « موسى بن عيسى بن موسى » وهو الذى شهد محنة أبيه في أيام المنصور
وابنه المهدي ، وكان أهل موسى يرشحونه لبيعة ، تقلب في الولايات على أيام المنصور
والمهدي ثم في أيام الرشيد ، ولى الكوفة وسوادها ومكة والمدينة وافرقيقة ومصر
ثلاث مرات للرشيد (٢) •

قال لموسى - وكان متواضعا - تواضعك في شرفك خير من شرفك ، فقال ان
قومنا - يعنى بنى هاشم - يقولون ان التواضع أحد مصايد الشرف (٣) وعلى أى حال
لم تقطع صلة موسى بديوان الخلافة كما انقطعت صلة أبيه بهذا الديوان من بعد محنته
المعروفة فكان خلفاء المنصور كالمهدي والرشيد ثم المأمون يعنون بآل عيسى وبموسى
وأولاده منهم خاصة فيعهدون اليهم بالولايات والاعمال الكبيرة ، وقد رأيت ما هي
الاعمال التى وليها موسى للمهدي ، وهذا الرشيد يستعمله مرارا ثلاثا واليا على مصر
كما يستعمل أخاه اسماعيل بن عيسى من بعده فيها (٤) وهذا المأمون يستعمل العباس

(١) انظر عن أسماء بعض أولاد عيسى بن موسى تأريخ الطبرى (٩/١٠ ، ٢٩) ،
والكامل (١٦٥/٦ - ١٤٦) وشرح النهج (٤٨٨/٣) ويلاحظ شىء من الاضطراب فى
سياق هذه الاسماء •

(٢) شرح النهج (٤٨٨/٣) •

(٣) يراجع عن أخبار موسى بن عيسى فى ولايته وأعماله النجوم الزاهرة (٤٥/٢) ،
٦٢ ، ٦٦ - ٦٨ ، ٧٠ - ٧١ ، ٧٨ - ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٨ - ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٥) ، والخطط
المقرئزية (٩٥/٢ - ٩٦) ، وعن ولاية أخيه اسماعيل بن عيسى على مصر النجوم
الزاهرة (٦٦/٢ ، ١٠٥ ، ١٠٩ - ١١٠ ، ١٣٣) •

(٤) ولاء الرشيد مصر سنة ١٨٣ تجد ذلك فى الخطط المقرئزية (٩٧/٢) •

ابن موسى كذلك على الديار المصرية ، والخلاصة : غنى هؤلاء الخلفاء في هذا العصر بآل عيسى أكثر من عنايتهم بآل علي في بعض الأحيان إذا استثنينا أبناء سليمان بن علي وهادنوهم وإن كانت هدنة على دخن ، وشتان بين البيتين في الواقع فال عيسى قوم نزلوا عن حقهم في البيعة وتم حسم النزاع بينهم وبين ديوان الخلافة صلحا وسويت قضيتهم تسوية سلمية لم ترق فيها الدماء ، وأما آل علي فإن في سلفهم وفي خلفهم بعد ذلك من قاتل قتالا مريرا في سبيل دعواهم وحقهم الموهوم في البيعة كما فعل عبدالله ابن علي وكما فعل أو حاول أن يفعل ذلك عبدالملك بن صالح في عصر الرشيد وفي عصر المأمون ، وكما حاول آخرون من آل علي ذلك فلم يقدر لهم التوفيق ، وما أبعد الفرق بين موقف الفريقين فإن آل عيسى أحصق وأقرب إلى بيت المنصور وأبنائه ولذلك وجدناهم أشد عطفًا وأكثر حبا على الخلافة العباسية .

موسى بن عيسى وعليه بنت المهدي :

ومن المرجح جدا أن المصاهرة بين البيتين بزفاف الأميرة عليه صاحبة الأخبار والحكايات إلى هذا الأمير تمت في هذا العصر كما زفت أختها العباسية إلى محمد بن سليمان في العصر المذكور .

لم يعن المؤرخون كثيرا بهذا الحادث - أي قران عليه - ومتى وقع وكيف وقع على كثرة ما رواه الرواة من أخبار عليه في الشعر وفي الأدب وما إلى ذلك (١) وإنما يلمحون إلى قرانها لمحا وأكثر من ذلك أننا لا نجد للاختين العباسية وعليه ذكرا ما في قسم النساء البغداديات من تأريخ بغداد للخطيب فقد اقتصر على ذكر الخيزران وزبيدة وزينب بنت سليمان وزينب حفيدة المنصور (٢) .

(١) من المؤرخين الذين أشاروا إلى زواج موسى بعليّة أبو الفرج في الأغاني (٩٠/٩) ط التقديم قائلا كانت عليه بنت المهدي عند موسى بن عيسى ولم يزد على ذلك وأورد ابن الأثير وفاتها بين وفيات سنة ٢١٠ قائلا كان زوجها موسى بن عيسى وولدت له ، الكامل (١٦٤/٦) ، ولم تكن عليه زوجته الوحيدة بل كانت لموسى زوجة أخرى من الأمويات ولدت له كذلك ، وأخبار عليه في كتب الأدب غير قليلة ، من ذلك الأغاني (٢٩/٩) ولها ترجمة في فوات الوفيات (١٢٤/٢ - ١٢٦) ، وانظر عن بعض أخبارها زهر الآداب للمحصرني (٤٤/١) .

(٢) (٤٣٠/١٤ ، ٤٣٣) .

خطأ في التقدير :

أغاضت بعض أعمال موسى بن عيسى أو موسى الصغير اثنين من الخلفاء هما الهادي والرشيد فغضبا غضبا شديدا وعاقباه ، والى قسوته البالغة في واقعة فنج والى استعجاله في قتل صاحبها الحسين بن علي وتكيله به مرد غضب الهادي بن المهدي ، ومن غرائب الاتفاق ان يقود موسى بن عيسى هذا بعوث العباسيين على العلويين الثائرين في هذه الواقعة سنة ١٦٩ كما قاد أبوه عيسى من قبل بعثة المنصور الى قتال ابناء الحسن في المدينة سنة ١٤٥ ، وقد بلغت الفترة الواقعة بين المعركتين أربعاً وعشرين سنة .

شارك في وقعة فنج من جانب العباسيين أمراء يمثلون مختلف البيوت العباسية كآل علي وآل محمد وغيرهم كما شارك فيها من ناحية العلويين قوم يمثلون مختلف البيوت العلويين حسنيين وحسينيين وغيرهم كذلك .

كانت نكاية موسى بالثائرين في هذه الواقعة لاتقل فظاعة عن نكاية أبيه في الواقعة السابقة ان لم تزد عليها اذ قتل كما لا يخفى صاحب فنج وقتل معه عدد من وجوه أهله بالغ موسى في التكيل بعضهم ظانا ان ذلك يرضي الهادي ويرفع من مقامه عنده بيد أنه أخطأ في تقديره وجاءت الامور على خلاف ما يريد فقد رأينا الهادي على غبطته بظفره في هذه الواقعة وعلى أمره بقتل بعض الاسرى فيها صاحباً ثائراً موبخاً قادة جيشه بمجرد رؤية رأس الحسين بن علي صاحب فنج قائلاً لهم : « كأنكم والله جثم برأس طاغوت من الطواغيت ، ان أقل ما أجزيكم به ان احرمكم جوائزكم » (١) ، هذا ما قاله الهادي ثم حرمهم وصادر أموال موسى ولم تعد اليه حتى مات فندم هذا الامير على عمله ولات ساعة مندم .

عبر الهادي بكلمته هذه عن تأثره لسوء تصرف قادة عسكره ولشعوره بأن قادة الجيش أهانوه واستحفوا به وتجاوزوا الحدود في النكاية بذوى قرباه ، وهذه الكلمة من الهادي بن المهدي تذكرنا بأبيات البحتری من قصيدة مشهورة له في صلح بني تغلب الذي جرى على يد المتوكل ، والابيات تدل على ان للرحم والقرباة أثرها في تحريك العاطفة وتناسي الحزازات في بعض الاحيان (٢) .

(١) روى هذه الكلمة ابن الاثير في الكامل (٣٨/٦) .

(٢) في هذه القصيدة يقول البحتری :

و فرسان هيجاء تجيش صدورهما	باحقادها حتى تضيق دروعها
تقتل من وتر اعز نفوسهما	عليها بأيدي ما تكاد تطيعها
اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها	تذكرت القربى ففاضت دموعها

والغالب ان الهادى كان يفضل حسم هذا النزاع صلحا أو سلما ولم يكن ذلك متعذرا لولا تعسف قادة الجيش وقسوتهم ، وما أبعد الفرق بين هؤلاء القادة وقادة خلفه الرشيد اذ حدث للرشيد مثل ما حدث لآخيه المذكور مع يحيى بن عبدالله بن الحسن فسوى الامر صلحا^(٢) ، فمن الخطأ ظن من يظن من امراء الجيوش أن التمثيل والنكاية الشديدة خير وسائل النجاح ، هذا وقد مات موسى الهادى بعد هذه الواقعة بسنة واحدة^(١) .

يعزله بأخس من على بابيه :

هذا ما وقع لموسى الصغير مع الهادى اما ما وقع له مع الرشيد بعد ذلك فانه أدهى وأمر ، تلقى الرشيد أخبارا سيئة عن موسى واليه على مصر وأنه يحاول الخلع فاتهمه وعزله عزلا قبيحا على صورة فيها شيء غير قليل من المهانة • أى عزله بعامل أو كاتب مغمور كان يكتب للخيزران ، هذا وللرشيد قسم معروف فى قضيته مع موسى اذ قال : « والله لاعزلنه بأخس من على بابى » ثم استدعى هذا العامل ودفع اليه رسالة تتضمن عزل الامير ، وكان ذلك آخر عهده بالولاية وزايله الغرور بذلك الملك فتمثل بالآية الكريمة قائلا : قاتل الله فرعون فهو القاتل « أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتى » فهذه القصة قصة عزل الامير موسى على هذا الشكل يصح ان تكون رمزا لمنتهى ما يصل اليه الاستقرار والنضوج السياسى فى الدولة^(٢) .

هذا ويلاحظ ان هذا الكاتب المغمور الذى عزل به موسى واسمه « عمر بن مهران » أصلح الشؤون المالية التى رآها مختلة فى القصر المصرى اذ كان خيرا بالجباية والخراج ، ومن أجل ذلك استخدمته الخيزران ، وقد ظفر الباحثون المعاصرون بوثائق مخطوطة مؤرخة سنة ١٧٦ تؤيد ما رواه المؤرخون عن المهارة والخدمة التى أداها كاتب الخيزران فى مصر للدولة العباسية ، وفى ولاية ابن مهران على مصر أقوال ولا ذكر له فى كتاب

(١) راجع عن أسماء أمراء بنى العباس وأسماء وجوه العلويين الذين شاركوا فى وقعة فخ وعن غضب الهادى على الأمير موسى وتقريعه له وعن اضطرابه بعد الواقعة تاريخ الطبرى (٣٠/١٠ - ٣٢) والمروج (١٨٣/٢٠ - ١٨٤) والمقاتل ط القاهرة (٤٥٠ - ٤٥٢ ، ٤٥٤) ، وانظر ذيل الصفحة (١١٩) من هذا الكتاب .

(٢) يرجع فى ذلك الى ذيل الصفحة اللاحقة .

الكندى ولا فى الخطط المقريزية ، على ان ذكره ورد فى تأريخ الطبرى وفى الكامل لابن الاثير ، هذا ولعزل الأمير موسى بأمر الرشيد على هذه الكيفية بكتب الخيزران قصة تحدثت عنها كتب التاريخ (١) .

طور جديد من النزاع :

جد فى الدولة صراع جديد بعد ذلك الصراع القديم . جد هذا الصراع بين الخلفاء وبطن آخر من بطون بنى العباس ، وحياة الدولة كحياة الاقتراد ضرب من الصراع والنزاع . على أن هذا النزاع الجديد يختلف عن القديم فهو صراع عنصري عنيف شجر بين العرب وزعمائهم من ناحية وبين الخلفاء وانصارهم من الخراسانيين من ناحية أخرى فامتاز به عصر الرشيد ثم عصر كل من ولديه الأمين والمأمون ، وللاُمراء من أبناء على بن عبدالله بن عباس قسط كبير فى اثاره هذا النزاع الذى عاد كما بدأ بينهم وبين الخلفاء بيد أنه تقمص ثوبا آخر اعنى ثوب التظلم والشكوى من سياسة الخلفاء فى تقديم الاعاجم من خراسانيين وغيرهم على العرب والمطالبة بالعدل والمساواة ، وبين الخلفاء والامراء من آل على نزاع قديم بدأ - كما لا يخفى - حينما طالبوا بحقوقهم فى البيعة ، ومن أجلها ثار عبدالله بن على عم المنصور واعلن الدعوة الى نفسه وأزره غير واحد من اخوته ومنهم من عهد اليه بولاية العهد وهو عبدالصمد بن على يقال له فى كتب التاريخ والانساب « قعد بنى العباس » (٢) .

(١) من رواية هذه القصة الطبرى فى تأريخه (٦٠/١٠ - ٦١) وابن الاثير فى الكامل (٥٠/٦) ونقلها وعلق عليها الوطواط فى الغرر بما نصه « وانما ذكرنا هذه الحكاية لما فيها من التنبيه على ان الرتبة النفيسة اذا وليها ذو القدر الحقير والنفس الحسيسة لا يكون ذلك قادحا فى جلالتها ولا مغيرا لها عن حالها وانما ذلك بحسب ما ينظر اليه الزمان » وفى هذا الباب يروى الوطواط قول الخوارزمي « لا حقير فى الولاية والعمالة ولا كبير مع العطلة والبطالة » ويلى ذلك فى كتابه الغرر المذكور باب عنوانه « ذكر من نال المراتب السنوية من ذوى الاعراق الدنية » ، انظر ص (٤٤ - ٤٥) من الكتاب المذكور .

(٢) القعد هو قريب الاءاء من الجد الأكبر ، وهكذا كان عبدالصمد بن على فانه عاش الى زمان الرشيد مع انه أحد أعمام السفاح ، وقد ألحق الاوائل بالآخر من أمراء البيت العباسي له ترجمة فى تأريخ بغداد للخطيب (٣٧/١١ - ٣٨) قال فيها كان أقعد الهاشميين بالنسب ادرك السفاح وهو ابن أخيه ثم أدرك ابا جعفر ثم ادرك المهدي وهو عم أبيه ثم ادرك الهادي وهو عم جده ثم ادرك الرشيد وكانت اسنانه صمتا وقد دفن باسنان الصبا على ما يقولون ، كما انفرد بخلال ذكرها المؤرخون ، كما سيجي .

يلاحظ ان الأوائل من خلفاء بنى العباس ومنهم السفاح والمنصور وبعدهما المهدي والهادي والرشيد عنوا بعمومتهم وأبناء عمومته ومشيختهم الذين حرموا من البيعة فكان جل عمال السفاح على الولايات من أعمامه وأبناء عمومته ، ومثله في ذلك المنصور والمهدي والهادي والرشيد ، والحقيقة أن الرشيد كان يعطف كثيرا على مشيخة بنى العباس ويعني برفاهم فمن كان منهم كفؤا للخدمة استخدمه ومن لم يكن كفؤا أغناه وكفاه ، وقد يستخدمون غير الأكفاء منهم تألفا لقلوبهم ، وكيف لا يعنى الخلفاء بقوم يعدهم الناس أكفاء لهم ولا ينكرون سابقتهن في تمهيد الملك وتوطيد قواعده ، ولبعضهم أحزاب تؤيدهم في طلب الخلافة •

الى فراغ بعض هؤلاء الأمراء وعطلتهم وضيق ذات يدهم أحيانا مرد عناية الخلفاء بهم فلا مناص من صرف أذهانهم عن التفكير في السياسة العليا وشغلهم عن ذلك بالولايات والمناصب أو باقطاع القطاعات واغداق المال فان الذهن البشري اذا فرغ من الخير تسرب اليه الشر ، وأى شر اعظم من الطموح الى البيعة والتحدث بها في العصر المذكور حتى ان كثيرا من هؤلاء الأمراء خولوا سلطانا واسعا فكانوا يتصرفون تصرف الخلفاء في الولايات فيعطون ويمنعون ويصلون ويقطعون ويرفعون ويضعون كما يفعل الخلفاء^(١)

فرق تسد :

طالما خشي الخلفاء بادرة هؤلاء الأمراء من أبناء جلدتهم أو ذويهم فان بينهم الكفوء والنظير وفيهم الحاسد أو المطالب بالبيعة وفيهم المتكرر المعارض • لذلك اعتمد الخلفاء ووزراؤهم سياسة التفرقة وبث الكراهية بين أبناء هذا البيت أو ذاك كما فعلوا في التفريق بين بيت الأمير عيسى وأولاده وبين أبناء على وأولادهم فاذا غضب ديوان الخلافة على آل عيسى واذا جفا الخلفاء واحدا منهم جىء بال موسى وبالعكس واذا تقدم هؤلاء تأخر أولئك ، فنحن نرى ديوان الخلافة مع هؤلاء مرة وعلى أولئك تارة ونحن نراهم يضربون طائفة بطائفة وأسيرة بأسرة نزولا على مقتضيات مصالحهم السياسية ومصلحة الديوان ، طبقا لقول من قال « فرق تسد » ويستفاد من كتب التاريخ أن آل عيسى كانوا يكرهون

(١) راجع ص (١٥٢) من هذا الكتاب •

آل على ويتهمونهم بالدس عليهم في ديوان الخلافة^(١) ، وقد كتب لهذه السياسة سياسة
التفرقة بين الأمراء التي غنى بها الصدر الأول من الخلفاء شيء غير قليل من النجاح
فأخفقت مساعي الساعين منهم الى سدة الخلافة •

لم يقف هؤلاء الخلفاء عند هذه السياسة بل كانوا يلجأون الى العنف والارهاق
والى السجن والاعتقال أحيانا غير قليلة ، ومما لا شك فيه أن تهادى الخلفاء الأول في
اختيار عمالهم وأصحاب اعمالهم من ذوى قرباهم ترك - كما قلنا من قبل - أسوأ الأثر في
مستوى الكفاءة العامة وفي ادارة شؤون الدولة طبقا لمقتضيات الانصاف والاصلاح فان
عددا من هؤلاء الأمراء العباسيين لم تحمد سيرتهم وطالما أفضت سياستهم الى القلاقل
والاضطرابات في الأقاليم كالشام والجزيرة ومصر وغير ذلك •

أشهر بيوت العباسيين :

لعل أشهر بيوت العباسيين بعد الخلفاء آل عيسى بن موسى وابناء على بن عبدالله بن
عباس أعمام المنصور العشرة المشاهير ، كانت لأمراء هذين البيتين كلمة نافذة في ديوان
الخلافة ، ويلاحظ أنهم خصوا بولايات الامصار في القسم الغربي من المملكة كجزيرة
العرب ومصر والشام • وولايات الثغور والعواصم والمغازي في الاقطار المصاحبة للعراق
وبلاد الجزيرة من الشمال وبلاد الروم من الجنوب ، كانت الأيام مواتية لمعظم آل على
من عهد السفاح والمنصور اذا استثنينا ما وقع لعبدالله بن على وبعض اخوانه فقد عهد اليهم
الخلفاء بالولايات الجليّة ، ولّى مصر والشام منهم صالح بن على غير مرة ووليها ثلاثة من
أبنائه هم عبدالله والفضل واسماعيل أبناء صالح بن على وأخوه اسحق ، ثلاثة من أولاد

(١) راجع ص (١٤٨) من هذا الكتاب ، واليك مثلا من امثلة الحسد بين البيتين
رواه ابن الاثير في الكامل (٢/٥ - ٣) ، وقد جاء فيه ما نصه : « عزل المنصور أخاه
العباس بن محمد عن الجزيرة سنة ١٥٥ وغضب عليه وغرمه مالا حتى غضب على عمه
اسماعيل فشفع به عمومة المنصور وضيّقوا عليه حتى رضى عنه فقال عيسى بن موسى
للمنصور : « أرى آل على - وإن كانت لعمك سابقة - يرجعون الى الحسد لنا فمن ذلك
أنك غضبت على اسمعيل بن على منذ أيام فضيقوا عليك حتى رضيت عنه ، وأنت غضيت
على أخيك العباس منذ كذا فما بكلمك أحد فيه ، فرضى المنصور عن أخيه العباس •

صالح فقط يتقلدون مصر • تقلدها بعضهم غير مرة^(١) ، وليس ذلك بالامر القليل فان ذلك يدل على مزيد من الثقة والاطمئنان في أكثر الاحيان أو على ضرب من سياسة الترضية وتأليف القلوب ، وقد تسنى للمقيمين من آل علي في العراق ان يجمعوا ثروة منقطعة النظير في عصر العباسيين بل في كل العصور أما المقيمون في الشام ومصر والحجاز فانهم تقلبوا في شتى الأعمال والولايات •

فسحة الامل

لم يقنط آل علي^(٢) أعمام الخلفاء الاول ولم ييأس أبناءهم من صيرورة البيعة اليهم يوما ما ، فظل الحسد يأكل قلوب نفر من زعمائهم بعد تلك الضربة القاصمة التي نزلت بهم في أوائل عصر أبي جعفر وظل بعضهم يتحين الفرصة ويتطلع الى انتزاع البيعة مدلين بسابقتهم والجهد الذي بذله أولهم قائلين انهم أولى وأحق بالامر ، وقوام هذا الفريق نزلاء مصر والشام وولاتها من آل علي ولهم حزبهم ودعوتهم وحججهم التي يحتجون بها في هذا الشأن ، وبذلك خالفوا نزلاء العراق من قومهم فهؤلاء - أعنى نزلاء بغداد والبصرة من آل علي - أذعنوا للواقع تاركين الخلاف غير معنيين بسياسة الدولة العليا منقطعين لخدمة الخلفاء متضامين معهم حتى سكن اليهم القوم ووثقوا بهم وأفادوا من سيرتهم هذه فوائد جلية •

(١) عهد السفاح الى صالح بن علي بولاية مصر بعد فتحها على يده سنة ١٣٣ أول مرة ووليها في المرة الثانية من قبل السفاح سنة ١٣٦ ، انظر عن ذلك كتاب الولاة والقضاة للكندي (٩٧ ، ١٠٢) ، وانظر عن ولاية ابنائه في عهد المنصور والمهدى والهادي والرشيد وهم الفضل وعبد الملك واسماعيل وابراهيم ابناء صالح ص (١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٥ - ١٣٦ ، ١٣٨) من الكتاب المذكور ويراجع عن ولاياتهم خطط المقرئى والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى •

(٢) من أوفى المراجع في التعريف بآل علي بن عبد الله بن عباس وبأسمائهم وأحوالهم كتاب المعارف لابن قتيبة الدينورى (١٦٣ - ١٦٤) ، ولا تخلو أمهات كتب التاريخ والادب عن ذكرهم كتأريخ الطبرى (٣٠٨/٩) والمروج (١٧٥/٢) والبيان والتبيين (٢٦٦/١ - ٢٦٧) والامالى للقالى (٢٦٩/١ و ١٨٤/٣ ، ٢٠٠) والكامل لابن الاثير (١٩٥/٥ ، ٢٣١ ، ٢٤١ ، ٢٧٩) ، ويراجع في هذا الباب كتاب الاغانى لابی الفرج وتاريخ بغداد للخطيب ومهذب تاريخ دمشق لابن عساكر وشرح النهج لابن أبى الحديد •

والخلاصة : ظل الجفاء يتفاقم بين البيتين أو بين أبناء محمد بن علي وأكثر أبناء علي بن عبد الله بن العباس وهم القوم المتورون بميتة أخيه عبد الله بن علي على الشكل الذي مات به في أيام المنصور ومنهم عبد الصمد وصالح واسماعيل وغيرهم الى أن تضاءلت الثقة وضعف الاطمئنان بين أمراء البيتين بسبب الانطواء على الخلاف وعقد النية على المطالبة بالحقوق وقد بلغ الحسد مبلغه من آل علي حتى كان أثره يظهر على الوجوه والعيون وعلى فلتات اللسان في مجالس أمراء بني العباس : ولا نبأ إذا قلنا أن هذا التنافس والاضطغان بين أمراء البيتين شبيهما وشبابهما كان معروفا لدى رجال القصر العباسي ولدى البطانة والحاشية والوزراء ، وربما جنح الى استغلاله والاستفادة منه فريق من أرباب الدواوين والوجوه والمقربين (١) .

تحرير محل النزاع

لم يعن المؤرخون كثيرا برواية حجج الفريقين المتنازعين من بني العباس وإيراد مستنداتهم في النزاع المذكور ، وما من شك أن هناك مستندات وحججا تقارع بها الحزبان في هذا العصر ، ويلاحظ أن كتب التاريخ أغفلت الإشارة إليها غالبا نزولا على سياسة الحزب الحاكم ، وهم آل محمد بن علي ، بيد أن بعض المؤلفين ومنهم الجاحظ انفردوا بتسجيل هذه الاحتجاجات سواء ما كان منها لآل علي أو عليهم في فصول نقلها ابن أبي الحديد (٢) ، ومن المفيد أن نوجز لك هذه الاحتجاجات ، فالعلي أو أعمام الخلفاء يقولون : لماذا صار أخوهم محمد وصار أبناءه أحق بالدعوة بالخلافة من أخوته وأبنائهم ؟ فإذا جاء ذلك من ناحية الارث فالأقرب الى الجد أحق بالارث وإن كان الاستحقاق لمكان السن والتجربة فالعمومة أولى بذلك (٣) .

هذا بعض ما يحتج به آل علي فيرد عليهم خصومهم قائلين : ليس ارث الامور المعنوية وارث المواهب والكفايات كارث المقتنيات المادية ، فارث الخلافة والرتبة والسيادة غير ارث المال ، ومعنى ذلك ان الابن البارع النجيب أولى بالامر من الابن الخائب المغمور

(١) لاحظ ما جاء في الصفحتين (١٥٩ ، ١٦٠) .

(٢) شرح النهج (٤٨٠/٣ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩) ويلاحظ تشويش واضطراب في

سياق بعض الاحتجاجات .

(٣) المصدر المذكور (٤٨٠) ، وراجع عن بعض مستندات عبد الله بن علي ذيل

الصفحة (١٢٩) من هذا الكتاب .

ولا عبرة بالسن ، وحتى اذا اعتبرنا السن والطبقة فان ما كان بين محمد بن علي وأبيه علي أربعة عشرة سنة^(١) حتى أنه ليس التمييز بينهما ، ويقولون : مما ينفرد به محمد ابن علي عن اخوته ان العباس ولده مرتين^(٢) ، وكان بعض ولد محمد أسن من عامة ولد علي ، ثم يذهب أنصارهم مذهباً آخر في تفضيلهم على أعمامهم ودعم حججهم في هذا النزاع قائلين ان محمداً تلقى الامر عن أساس وقاعدة مقررة ووصية انتقلت اليه من أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية - على ما يزعمون - ، ومن هذا نعلم أن أنصار آل محمد من العباسيين يتجحرون واسعا فاذا كانت الوصية انتقلت اليهم من بعض آل أبي طالب فكيف ارتكبوا منهم تلك الافاعيل ولماذا خرج عليهم هؤلاء جيلاً بعد جيل !

هذه خلاصة ماتر كه انقوم من الحجج ، ومن رأينا أن احتجاج آل محمد بالوصية لا يصار اليه بمثل هذه السهولة فان وصية أبي هاشم - ان صحت - يدعيها غير واحد^(٣) من الهاشمين ، وفي وسع آل محمد وأنصار دعوتهم أن يحتجوا بغير ذلك ، في وسعهم ان يحتجوا بما كان عليه هذا النزاع الهاشمي من ثقبوب الرأي وذكاء الفؤاد وأنه كان أمضى اخوته في نشر دعوتهم وتنظيمها واداعتها ، وهو صاحب الرأي المعروف باختيار

(١) ناقش ابن خلكان هذا الرأي مناقشة لا تخلو من الدقة والتحقيق ، يراجع عنها ترجمته لمحمد المذكور ، وفي باب تقارب السن بين الوالد والولد يقول ابن قتيبة كان بين عمر بن العاص وابنه عبدالله اثنتا عشرة سنة ، راجع كتاب المعارف (٢٥٦) .
(٢) كانت أم محمد « العالقة » بنت عبيدالله بن العباس ولم يكن لاحد من اخوته مثل ذلك .

(٣) يدعى وصية أبي هاشم جماعة منهم محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وقد مات أبو هاشم عند القوم في الحميمة وحضر وفاته من حضرها من الطالبيين والعباسيين ، من الفريق الاول عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فخرج يدعى وصية أبي هاشم أيضاً ، ومن رأى النقيب أبي جعفر الذي يروى أن أبي الحديد أقواله في شرح نهج البلاغة أن محمد بن علي العباسي كان صادقاً في دعوى الوصية المذكورة دون عبدالله بن معاوية وأنه - أعني محمد بن علي - الذي أفضى أبو هاشم اليه بالامر ودفع اليه كتبه ، ومن بينها « صحيفة الدولة » وأمر الشيعة بالاختلاف اليه ، ومن ذلك تعلم شيئاً عن الاختلاف في هذه الوصية ، هذا وأخبار عبدالله بن معاوية المطالب بالخلافة استناداً الى الادعاء بهذه الوصية كثيرة في كتب السير والتواريخ ، ويلاحظ تضارب آرائهم فيه ، ومن أصحاب السير المنددين بعبدالله جدا أبو الفرج الاصفهاني في « مقاتل الطالبين » وهو الذي يقول في بعض كلامه عنه « لولا أن يظن أن خبره لم يقع إلينا لما ذكرناه » ثم ذكر طرفاً من أخباره قائلانه =

المشرق وتفضيل مطلع الشمس على مغربها لنشر الدعوة العباسية فكان الامر كما قال فانه
أصاب المحز وحالف دعوته النجاح (١) .

منهج الموادعة

انقسم آل على - كما قلنا - الى فريقين ، منهم أمراء موادعون أو مسلمون ومنهم أمراء
منا بذون أو معارضون ، ويذكر في طليعة الموادعين من آل على الاميران عيسى وسليمان
وبنوه من نزلاء العراق وعددهم غير قليل ، فأما عيسى بن على فانه آثر الاعتزال والزهد في
السياسة والابتعاد عن الخلاف والانزواء في قصوره وقطايحه الواسعة ببغداد ، ولهذه العلة

= تحرك بالكوفة أيام يزيد الناقص أي آخر عصور الدولة الاموية ثم صار الى أصبهان
واستولى على فارس ومعه من معه من وجوه الهاشمين والامويين كالمنصور والسفاح بيد
أن أصحاب عبدالله هذا خذلوه ولم يجيبوه الى قتال الامويين فلجأ الى خراسان وفيها أبو
مسلم الخراساني فحبسه الى أن مات مسجوناً « بهرات » سنة ١٣١ وذلك بعد خروجه باربع
سنين ، راجع عن خروجه مقاتل الطالبين الطبعة الحديثة « ١٦١ - ١٦٩ » والطبرى
(٤٨/٩) وتاريخ أصفهان (٤٣/٢) والاغاني (٧٣/١١) والكامل لابن الاير (١٣١/٥)
وانظر عن النزاع في دعوى هذه الوصية شرح النهج لابن أبي الحديد (٢١١/٢ - ٢١٢)
وراجع أيضا المروج للمسعودي (١٤٣/٢ - ١٤٤) وكتاب الفرق للنوبختي (٢٩ - ٣٠)
ووفيات الاعيان (١١٥/١ ، ٤٥٤ - ٤٥٥) وعمدة الطالب ط النجف (٢٢) وقد مدحه
صاحب العمدة ولم يذمه قائلا : قبره بهرات في المشرق يزار الى الآن رأيته سنة ٧٧٦ ،
وقد عثر في عصرنا هذا على نقود مضروبة باسم عبدالله بن معاوية المذكور ، والغالب أنها
نقود ضربت باسمه بعد استيلائه على الري وبعض الاقاليم الفارسية .

(١) اختلف أصحاب الدولة الهاشمية ودعاتها في تعيين أصلح البلدان لبث
دعوتهم فاختر لهم محمد بن على « خراسان » في كلمة مشهورة تروى عنه - مفضلها على
غيرها من البلدان ، وهذا هو نص الكلمة « أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة على واما
البصرة فعثمانية تدين بالكف وتقول : كن عبدالله المقتول ولا تكن عبدالله القاتل ، واما
الجزيرة فحرورية مارقة أعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق نصارى وأما أهل الشام
فلا يعرفون الا آل أبي سفيان وطاعة بنى مروان عداوة لنا راسخة وجهلا متراكما ، واما
أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد
الكثير والجلد الظاهر وصدورا سليمة وقلوبا فارغة لم تنقسمها الاهواء ولم تتوزعها النحل
ولم تشغلها ديانة ولم يتقدم فيها فساد وليست لهم همم العرب ولا فيهم كتحارب الاتباع
بالسادات وكتحالف القبائل وعصبية العشائر ، وما زالوا يذالون ويمتهنون ويظلمون
فيكظمون ويتمنون الفرج ويؤملون الدول . وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب =

رأينا هارون الرشيد يخصه بالتناء ويدعوه « راهب بنى العباس »^(١) ، والمعروف أن هذين الاميرين كانا مقدمين عند انسحاق والمنصور ، وكان المنصور يطرح لعيسى مرفقة في مجلسه^(٢) ، ويعتبر تقديمه على سائر مشيخة بنى العباس للصلاة على جنازة أبى العباس دليلا على ثقة القوم وحسن رأيهم فيه^(٣) .

ويلاحظ أن أولاد عيسى حذوا حذو أبيهم وورثوا عنه الميل الى مشايمة الخلفاء فهذا اسحق بن عيسى أرشد ولده ومن أشهر أمراء العباسيين فى العصر المذكور وصف بسعة العلم والاحاطة بأخبار الهاشميين وأساليبهم ، وصفه بذلك الرشيد^(٤) وأوصى أبناءه

= وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة ، وبعد فكانى أتفائل الى المشرق والى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق » .

رويت هذه الكلمة فى غير كتاب من كتب التاريخ على اختلاف فى رواية نصوصها ، ولا يصحح بعض المؤرخين رواية هذه الكلمة بحذافيرها ولاسيما الفقرات الاخيرة منها ، انظر عن هذه الكلمة عيون الاخبار لابن قتيبة (٢٠٤/١ - ٢٠٥) وأحسن التقاسيم للمقدسى ، ومادة خراسان من معجم البلدان ، وشرح نهج البلاغة (٤٨٩/٣) وغير ذلك من كتب التاريخ ، ولمحمد بن على كلمة لطيفة فى الموازنة بين أصناف الكلام نقلها الجاحظ وأثنى عليها ، انظر البيان والتبيين . الطبعة الاخيرة (٨٥/١ - ٨٦) ، وللاصمعي كلمة يصف فيها أهواء البلدان فى عصره من الناحية السياسية مثل كلمة محمد بن على هذه ، وتمتاز كلمة الاصمعي بشئ من التحليل والتعليل ، يراجع عنها العقد الفريد ط الجمالية (٢٦٤) ، وانظر كلمة جيدة جدا عن أهواء أهل الامصار لعبدالله بن الكوا جوبا عن سؤال معاوية بن أبى سفيان نقل هذه الكلمة ابن عبد ربه فى العقد (٢٦٥ - ٢٦٦) ويلاحظ كثرة الاقوال فى هذه العصور عن أهواء أهل الامصار والاقطار وعن المفاضلة بين البلدان مما يدل على تفشى الاختلاف ، تجد طرفا من كلامهم فى هذا الباب فى المصدر المذكور (٢٦٤ - ٢٦٦) .

(١) تاريخ بغداد للخطيب (٥٠/١٠) .

(٢) كتاب الوزراء والكتاب للجهمشيارى (١٢٥) .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب (٤٧/١٠) وراجع ذيل الصفحة (١٤١) من هذا الكتاب .

(٤) مذهب تاريخ دمشق (٤٤٨/٢) واسحق اسم مشترك بين هذا الامير - أعنى

اسحق بن عيسى - وابن عمه اسحق بن سليمان بن على ، وأولهما أشهر ، ولى اسحق بن عيسى للرشيد المدينة ومصر والسند ومكران وورد ذكره فى قائمة ولاية مصر من « كتاب الولاة وكتاب القضاة » للكندى ، وله ترجمة موجزة فى تاريخ بغداد للخطيب (٣٢٩/٦) وخطط المقرئى والنجوم الزاهرة ، ويراجع عنه كتاب البيان والتبيين الطبعة الحديثة (٢٤٣/١ و ٢١٧/٨) ووجه اسحق بن عيسى المذكور سؤالا الى المهدي عن اكفاء بنى العباس فأجابه بجواب يراجع عنه كتاب الورقة لان الجراح .

بالأخذ عنه وقد ولاه أمانة دمشق ، وهذا أخوه داود بن عيسى ولى للرشيده أيضا أمانة
الحرمين وعن الحديث عن أبيه وجده مثل أخيه^(١) ، أما سليمان بن علي - أخو عيسى -
فهو وأولاده أمراء البصرة ومضافاتها من عصر السفاح الى عصر المأمون ، ومن أشهر أبناء
سليمان وأحفاده محمد وجعفر وعبدالله والى اليمن للمهدي^(٢) وقثم بن جعفر والى البصرة
والمدينة للمأمون وكانت ولاية البصرة فى عصر آل سليمان تغنى الولاية على فارس بأسرها
وما يليها من بلاد السند شرقا وعلى الاقاليم العربية الواقعة على الخليج الى عمان غربا ،
وسليمان مثل أخيه عيسى فى تأييده المطلق لمنهج الخلفاء ومشايخته لهم الا أنه لم يقف عند
حد القول أو اجتناب الخلاف أو الزهد فى الاعمال كأخيه المذكور بل نراه معنيا بالمهام
مضطلعا بالتبعات من ادارية وسياسية فكان واليا للبصرة وتوابعها مدة طويلة وهى من
أغنى الولايات واقتنى ثروة طائلة لم يقتنها قبله ولا بعده أمير من بنى العباس - اذا استثنينا
بعض ولده - كما مرت الإشارة الى ذلك^(٣) .

عداوة الشعراء

ويلاحظ أن عددا من اعلام ادباء ذلك العصر وفحول شعرائه كانوا منحرفين عن
سليمان بن علي وأهله ، ومنهم الخليل بن أحمد وله بيتان فى هجائه^(٤) ، وقد تبودلت بينه

(١) لداود بن عيسى هذا ترجمة مفصلة فى مهذب تاريخ ابن عساكر (٢٠٧/٥ -

(٢) تاريخ بغداد للخطيب (٤٦٣/٩) .

(٣) راجع ذيل ١٤٨ و ١٤٩ من هذا الكتاب .

(٤) قال الخليل :

وزلة يكثر الشيطان ان ذكرت منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبن لخير زل عن يده فالكوكب النحس يسقى الارض أحيانا
اقتصر العسكري فى ديوان المعانى « الفصل الثانى من الباب الثالث فى الهجاء » على
رواية البيت الثانى ، ومن روى البيتين ابن القفطى فى « أنباء الرواة » (٣٤٥/١)
والقاضى ابن خلكان فى الوفيات (١٧٣/١) وابن نباتة فى « سرح العيون » ، والمهجو فى
روايتهم أمير آخر اسمه « سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة » وكان واليا للسند
فى رواية ابن القفطى وعلى الاهواز فى رواية ابن خلكان ، وحبيب بن المهلب - أبو سليمان
- وجد مع أبيه المهلب فى خراسان أيام الحجاج ، وله قصة مع زياد الاعجم مروية فى بعض =

وبين هذا الأمير رسائل طريفة لها دلالتها على منهج الحليل في الاخلاق والزهد والاعراض عن الدنيا ، ومن مشاهير الشعراء المنحرفين عن آل سليمان بن علي - علي ما روى في كتب الادب والتاريخ - بشار بن برد ، وجد في كتبه بعد موته ما نصه : « هممت بهجاء آل سليمان ابن علي فذكرت قرابتهم من رسول الله فوهبتهم له » وروى له بيتان في هجائهم (١) .

أزهى عصور البصرة

ولنا أن نقول : أن عصر آل سليمان أزهى عصور البصرة مادة ومعنى اذ بلغت شوا من الرقي والتقدم لا يستهان بهما في العصر المذكور ، فكان جعفر بن سليمان كثير الاعتداد والمباهاة بما أنشأه من دور وقصور شيدها في البصرة حتى زعم ان داره مركز المعمورة (٢) ، وتروى له قصة في سهولة التقاضي والتسامح على عادة السراة (٣) ، وكان مطبوعا على الادب يروى عنه الاصمعي والجاحظ نواذر أدبية غير قليلة تدل على أنه كان ضليعا برواية الشعر ونقده

= كتب الادب والتاريخ ، ومن رواها أسامة بن منقذ في كتاب « لباب الآداب » (٢٦٤) - (٢٦٥) ، والاصح - فيما نراه - ان المقصود بهذين البيتين « سليمان بن علي العباسي » فهو صاحب الحليل كما ورد في نزهة الالباء للانبأري (٢٤٤) ومعجم الادباء - الطبعة الاخيرة - (٧٥/١١) وبغية الوعاة للسيوطي (٢٤٤) وفي غيرها من الكتب التي ترجم فيها للخليل ، ومما هو جدير بالذكر ان الاهواز والسند كانتا داخلتين في ولاية سليمان ابن علي والى البصرة المذكور .

(١) انظر كتاب التنبيه على أوهام أبي علي القالي للبكري (١٠٧) ، والبيتان هما :

دينار آل سليمان ودرهمهم كالبابليين حفا بالعفاريت
لا يوجدان ولا تلقاهما أبدا كما سمعت بهاروت وما روت

(٢) قال جعفر بن سليمان في وصف داره القوراء : العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عن البصرة وداري عين الربد ، العقد الفريد - ط الازهرية - (٢٦٤/٤) ، وانظر مروج الذهب (١٨٨/٢) .

(٣) انظر كتاب البخلاء للجاحظ - الطبعة الاخيرة - (٣٤٢) وراجع عن اتصال جعفر بن سليمان بالبلغاء في المدينة - لما كان واليا عليها - « كتاب الورقة » لابن الجراح - ط مصر - (٥٣ ، ٥٧) وانظر عن أدبه وخطبه الاغانى - الطبعة الاخيرة - (٣٧/١) و ٢٩٠/٢ ، ٣٠٢ ، و ٢٠٧/٣ و ٣٧٤/٤ - ٣٧٥ ، وعن نعتهم اياه العقد الفريد ط الجمالية (٣٦٩/٢) ، وانظر أمالي القالي (٢٥٣/١) و ١٦٤/٢ ، ١٦٦ و ١٣٧/٣ ، ١٨٤) راجع عن جعفر بن سليمان ترجمة مالك بن أنس وترجمة أبي العيثيل في وفيات الاعيان .

ورواية النوادر اللغوية عن الاعراب كما كان معنيا باقتناء المراكب الفارهة وبشؤون جياذ الخيل وانسابها الى غير ذلك من مظاهر الفتوة والرياضة ، وقد ورث عن تذوق الفنون الادبية من أبنائه جماعة أشهرهم الاخوان قثم وعيسى ، وكان عيسى كأخيه من أمراء الدولة العباسية في عصر الرشيد وعصر ابنه المأمون بعد ذلك ، ولعيسى هذا نادرة في مجلس الرشيد رواها عبد الصمد بن المعدل (١) .

وفي هذا العصر من عصور البصرة صار أهلها أهل العربية ورواة اللغة وعلومها ونشأ فيها مثل الخليل بن أحمد وابن المقفع والجاحظ وسيبويه ويونس بن حبيب وأبو عمر ابن العلاء والاصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد والنضر بن شميل وغير هؤلاء من أئمة العلم والادب ورواة الشعر واللغة والنوادر الادبية .

عاصر أبو عثمان الجاحظ آل سليمان واحتص بهم وعنى بأخبارهم عناية ظاهرة ، ويلاحظ أن كتبه حافلة بأخبار هؤلاء الامراء البصريين وما ذلك الا لانه بصرى مثلهم مختص بهذه الطبقة المعنية بالادب منهم فكان يغشى منازلهم ومجالسهم ، ومنها منازل اسحق وجعفر وعيسى (٢) وقثم ، ويتحدث الجاحظ في جملة أحاديثه عن الامير اسحق بن سليمان بحديث مفاده تفضيل رتبة العلم والدراسة على منزلة الحكم والسياسة (٣) ، وقد جاء في كتب المؤرخين أن دار قثم كانت مثابة لاعلام الشعر والادب في العصر المذكور (٤) وقثم هذا

(١) راجع عن بعض أسماء أولاد جعفر بن سليمان وعن قصة لهم مع المأمون كتاب بغداد لابن طيغور (١٠٣-١٠٥) ، وهي قصة لها دلالتها على عقل المأمون واصالة رأيه .
(٢) ولي البصرة وبنى كاخوته فيها داره المشهورة التي كان لها شأن لا يستهان به في بعث ضرب من النشاط العقلي في البصرة ، هجاء ابن أبي عيينة ووصمه بالبخل والعناية بتربية الدواجن ، انظر عن قصيدته الكامل للمبرد (٢٩/٢-٣٠) .
(٣) قال الجاحظ : دخلت على اسحق بن سليمان فرأيت السماطين والناس مثولا كأن على رؤوسهم الطير فرأيت فرشته وزيه ، ثم دخلت عليه وهو معزول واذا هو في بيت كتبه وحواليه الاسفاط والرفوف والقماطر والدفاتر والمساطر والمحابر فما رأيته قط أفخم ولا أنبل ولا أهيب ولا أجزل منه في ذلك اليوم ، لانه جمع الى المهابة المحبة ومع الفخامة الخلاوة ومع السؤدد الحكمة ، انظر عن هذا الحديث كتاب الحيوان للجاحظ - الطبعة الاخيرة - (١/٦١-٦٢) ، وانظر عن ولاية اسحق هذا على حمص وأرمينية للخليفة الامين المصدر المذكور (٣٤١) .

(٤) انظر عن قثم بن جعفر هذا كتاب الحيوان للجاحظ ط الحديثه - (٤٨٨/٦) وكتاب التاج (٦٦) والمحاسن والمساوي (٥٠٦) وانساب الاشراف للبلاذري ، وله ذكر في كتب الادب كالاغانى والمعارف لابن قتيبة

ثالث عباسي يسمى « قثم » ، والاول هو قثم بن العباس بن عبدالمطلب أخو عبدالله بن عباس^(١) ، أما الثاني فهو قثم بن العباس بن عبدالله من شيوخ العباسيين أيام المنصور^(٢) .

الامير المحدث

والامير قثم محدث بارع تحدث عن كثير من أخبار الخلفاء وأسماءهم في مجالسهم ، ومن ذلك حديث طريف^(٣) يروى في كتب الادب والتاريخ عن التحريض - في مجلس المأمون - على الانتقام من « دعبل الخزاعي » الشاعر المشهور ، وكان المحرض ابراهيم بن المهدي عم المأمون لان دعبلا هجاء هجاء مرا لخروجه على ابن أخيه وبيعه في العراق ، وأشعار دعبل في هجو ابراهيم بن المهدي والطعن في سيرته من الاشعار السائرة ، فهوا - أعنى ابراهيم بن المهدي المعروف « بآبن شكلة » - معدود بين أشهر الشعراء والمغنين

(١) يعنى أصحاب السير والمصنفون في موضوع الطبقات كثيرا بذكر قثم الاول أحد مشاهير الصحابة وتقوم في سمرقند الى اليوم قبة عالية على قبره ، وكان يقال : مارأينا بنى أب وأم قط أبعد قبورا من بنى العباس بن عبدالمطلب ، فقثم استشهد بسمرقند سنة ٥٧ ، وقيل بمرور ، وأخوه معبد استشهد بأفريقية ، ولم يعقب قثم وكان واليا للامام على مكة وفي قول المدينة منذ بويح الامام الى ان استشهد بالكوفة : قال الحاكم كما جاء في تهذيب ابن حجر كان قثم أخا الحسين بن علي من الرضاة وجزم الدار قطنى في كتاب الاخوة بان عليا وولاه المدينة وولى أخاه معبدا مكة وقتل على وهو على المدينة ، وهو من طبقة قالذين توفي النبي وهم أحداث ، راجع عن قثم بن العباس بن عبدالمطلب أو قثم الاول طبقات ابن سعد (١/٤) والاستيعاب لابن عبد البر (٢/٥٥١-٥٥٢) وتهذيب التهذيب لابن حجر (٨/٣٦١-٣٦٢) حيث تجد له ترجمة حسنة ، وشرح نهج البلاغة (٤/٥٢ ، ٢٢ ، ٢٤٣) وقد حفظ لنا هذا الشرح كتابين من كتب الامام اليه وهو عامله على مكة واحد هذين الكتابين قطعة نفيسة في الآداب الشرعية ، وورد ذكر قثم بن العباس في منهج المقال للاسترا بادي وفي التعليقات عليه للبهبهاني ونوه البههاني بعادته وعلمه وفضله استنادا الى كتاب الامام اليه ، وتجد أوسع ترجمة لابييه العباس في طبقات ابن سعد (٤/١٢١) ، وترجم له الاسترا بادي في منهجه (١٨٨) وانظر ما كتبه البههاني في التعليقات ، وفي منهج المقال ترجمة ضافية لآخيه عبدالله بن عباس تضمنت مختلف الآراء في سيرته تجدها في الصفحة (٣٠٦) من الكتاب المذكور ، وتجد في هامش الصفحة المذكورة تعليقات البههاني في هذا الشأن .

(٢) بنى المنصور الرصافة نزولا على رأيه ، انظر الكامل (٥/٢٨٥ - ٢٨٦) .

(٣) انظر عن حديث قثم هذا كتاب بغداد لابن طيغور (٦/١٩٣) والحديث مروي في عذة من كتب الادب ، ورواية ابن خلكان في الوفيات (١/١٧٩) تختلف عن رواية ابن طيغور .

الموسيقين في العصر المذكور^(١) ، ولذلك يقول دعبل : اذا جاز لابراهيم طلب الخلافة فلماذا لايجوز ذلك لمخارق ومعبد وغيرهما من المطربين ! ، وكيف تجوز بيعة رجل هجر الكتاب الى الاعواد والطناير ! الى غير ذلك^(٢) .

ولى قثم هذا للمأمون عدة ولايات منها ولايته على المدينة والبصرة ، ومن الاحداث المعروفة في ولايته على المدينة عنايته بالطالبيين والفاطميين ورد الضيعة التي كثر النزاع بشأنها - وهي فدك - الى أبناء فاطمة نزولا على أمر المأمون في رسالة

(١) روى صاحب كتاب الورقة قول من يقول : لم يكن في قريش ولا يكون أشعر من ابراهيم بن المهدي ، وفي هذا الكتاب فصل عن ابراهيم واسباب هجاء دعبل له (١٩ ، ٢١) .

(٢) من مختار شعر دعبل في هجاء ابراهيم قوله :
نعر ابن شكلة بالعراق وأهله فهفا اليه كل أحرق مائق
ان كان ابراهيم مضطلعا بها فلتصلحن من بعده لمخارق
انظر حوادث سنة ٢١٨ من تاريخ الطبرى والجزء السادس من كتاب بغداد لابن طيفور (٩٨) ومحاضرات الراغب (٣١٠) ، والابيات في بعض الروايات تزيد على أربعة كما في رواية ابن خلكان فقد أورد القطعة بكاملها لدعبل ، الوفيات (٨/١) .
ومن شعره السائر في هذا الباب :

يا أيها الاعراب لا تقنطوا خذوا عطاياكم ولا تسخطوا
فسوف يعطيكم حنينية لاتدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق أصحابه خليفة مصحفه البربط

تجد هذه الابيات في كتاب الورقة لابن الجراح وفي الاغانى والغرر للوطواط ومعاهد التنصيص وفي غيرها من كتب الادب مع شيء من الاختلاف في رواية النصوص .
ويلاحظ ان ابراهيم بن المهدي كان شديدا على العلويين وبذلك يعلل خلافه وخروجه على المأمون فان المأمون حاول نقل ولاية العهد الى العلويين على وجه أثار سخط العباسيين في بغداد فخلعوه ، وكان دعبل يضلح مع المأمون في هذه السياسة ، والى ذلك مرد هذه العداوة الشديدة بين دعبل وابراهيم ، وأخبار ابراهيم بن المهدي في خلافة المأمون وبعد ذلك كثيرة طريفة على كثرتها ، وابراهيم نفسه مصدر رواية كثير منها ، وفيها يعترف بجانب من العبث الذى ينسب اليه ، وفي بعض كتب التاريخ رواية ضعيفة عن مهاجاة شعرية بينه وبين ابن أخيه المأمون ، يراجع عنها مروج الذهب (٢٢٤/٢) ومن أو في المراجع في أخبار ابراهيم بن المهدي مذهب تاريخ دمشق فيمن اسمه ابراهيم ، وقد ترجم ابن عساكر له لانه كان أميرا على الشام .

طريقة بعث بها الى عاملة المذكور^(١) ، ومن هذه الحادثة الى حوادث أخرى شبيهة بها يستتج بعض المؤرخين تشيع المأمون وموالاته لاهل البيت •

دالة آل سليمان

هذا ويلاحظ أن كتب التاريخ حافلة بالاشارة الى المواقف السلمية التي وقفها أكثر آل سليمان الى جانب الخلفاء في كل منازعاتهم وخصوماتهم مع الطالبيين والعباسيين أنفسهم في الحجاز والعراق كما يشهد بذلك موقف جعفر بن سليمان والى المدينة من قبل المنصور من العلويين والطلبيين ومشايعهم في الحجاز ، وجعفر هذا هو الذى ضرب مالك بن انس ضربا مبرحا بسبب فتواه فى « يمين المكره » أو « طلاق المكره »^(٢) وكما تشهد بذلك أيضا وقعة فنج التى خاضوا غمارها الى جانب موسى انهادى - كما مرت الاشارة الى ذلك - ، وقد أفاد هذا المنهج السلمى آل سليمان فوائد جلية فعدت طبقتهم بعد طبقة الخلفاء جاها وثروة فى العراق •

(١) لا يعرف موقع فذك بالضبط لدى أكثر الباحثين الآن • ولا يعرف فى بادية نجد والحجاز مكان بهذا الاسم اليوم فكانه اسم مهجور وان كان معروفا فى كتب البلدان والتاريخ والمرجح أن الحصن المنيع الذى يسمى « الحائط والحويط » هو فذك وقد وصلنا الى الحائط وبتنا فى ذراه ليلة فى رحلتنا الى بلاد العرب سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٩) م وهو حصن حصين واقع فى مدخل حرة وعرة جدا تقع على الحدود الحجازية الشرقية فى منتصف الطريق بين جبل طى والمدينة وقد اجتزنا الحرة بمشقة واذا أغير على باديتها وهم من قبيلة (هثيم) غالبا دخلوا حرتهم بماشييتهم فامتنعوا عن المغيرين ولما توهموا اننا جيش نريد غزوهم أطلقوا علينا نيرانا حامية من خلف الصخور • وسرعان ما اتضح لهم غير ذلك فرجعوا بنا واعتذروا الينا ونزلنا على مناهلهم وعرجنا على مضاربهم فشربنا وطعمنا وحصن الحائط يشرف على عيون غزيرة عذبة وبساتين عامرة زراعتها من العبيد ويدعى بعضهم أن الحائط كان ملكا لاحد مشايخ عنزة فى القرون الاخيرة •

من أو فى المراجع فى البحث عن تاريخ النزاع فى قضية فذك وفى ماورد عنها فى السير والخبار شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (٧٧/٤) حيث تجد منازعة على والعباس فى الولاية على فذك والاختلاف فى كونها نحلة وفى سياسة فريق من خلفاء بنى العباس ورأيهم فى هذه القضية منذ ظهور الدولة العباسية الى عصور طويلة ، وفى كشف الغمة للاربلى (١٤٤-١٤٨) نبذة جيدة فى تاريخ النزاع المذكور وتداول الايدى على فذك فى الدولتين واختلاف خلفاء بنى العباس فى أمرها وما تبهم بشأنها بين عصر المأمون الى عصر المقتدر ، تراجع فى هذا الباب مادة « فذك » من معجم البلدان لياقوت •

(٢) انظر ص (١١٣) من هذا الكتاب •

كانت لسليمان بن علي - كأخيه عيسى - دالة عظيمة على ديوان الخلافة في عصر
انسفاح والمنصور حتى استجار به بعض الأمويين ولاذوا بكنفه في البصرة وأخذ هو
وأخوه عيسى الأمان لآخيهما الثائر عبدالله بن علي حيث استتر الأمير المخذول عند الأول في
البصرة^(١)، ثم شفعا به، وأبلغ دليل على خطر الجرم الذي ارتكبه عم المنصور في حق ابن
أخيه أنه أراد قتله، وفي رواية قتله فعلا فلم يستكر الموادعون من آل علي عمل المنصور
بأخيههم ونم يستكروا كذلك انتقامه من كاتبهم عبدالله بن المقفع وقتله غيلة بسبب ولائته
لآل سليمان •

ولاية الشام، أو الأمراء المنابدون

ذلك هو حديث الأمراء الموادعين نزلاء العراق من آل علي وهناك نفر آخر من
أخوانهم وذويهم نزلوا مصر والشام إذ كانوا ولائها منذ قيام الدولة، ومن أشهرهم الأمير
اندى مر ذكره - اعنى عبدالله بن علي - أول ولاية الدولة الهاشمية على الشام ثم أخواه
عبد الصمد بن علي « قعدد العباسيين » وصالح بن علي وأولاده الفضل وعبد الملك
وابراهيم واسماعيل •

يعد أكثر هؤلاء الأمراء - على جلالتهم وتقلبهم في المناصب والولايات - من المشكوك
في اخلاصهم ومن المتهمين في انولاء وفي تحين الفرص للوثوب على الدولة، ولذلك
فرضت عليهم رقابة شديدة حتى ان أكثرهم لم يترك الولاية الا معزولا عزلا مقرونا
بالاهانة في بعض الأحيان •

لهذا الفريق المتهم من آل علي منزلة كبرى في الشام ليست دون منزلة وجوه بني
أمية من قبلهم، ولا عجب، فان لهم في الديار الشامية آثارا وانصارا وأموالا واتباعا قبل
ظهور الدولة العباسية وبعد ذلك، وكانوا إذا غزوا مملكة الروم - وقد غزاها غير واحد
منهم - غزوها بجنود من أهل الشام وإذا نازلوا خصومهم نازلوهم بانصارهم من أهل الشام
في الغالب كما فعل عبدالله بن علي في خلافه مع المنصور وكما فعل غيره من اخوانه وابنائهم،

(١) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (١٠٣، ١٣١) ومهذب تاريخ دمشق

(٢٨١/٦، ٢٨٣) والاغاني (١٠٩/٥) •

ويلاحظ أن عبدالله هذا خالف وحارب بجيش قوامه أهل الشام^(١) ، كما يلاحظ.
ان المنصور حاربه بجيش قوامه أهل خراسان وقائدهم أبو مسلم صاحب الدعوة •

نكاية جيش خراسان

كانت نكاية الخراسانيين بالامير الثائر المخالف عبدالله وبأنصاره من أهل الشام عظيمة جدا ملأت نفوس القوم غيظا وميلا الى الانتقام حتى أمر عبدالله بقتل جميع الخراسانيين المجندين في جيشه فعد ذلك من أغلاطه الفاحشه ، ومن ثم ظهر الجفاء بين نزلاء الشام من آل علي وابناء خراسان ، ومن هذه الناحية لانجد في قائمة ولاية الدولة على خراسان - درة التاج ولؤلؤة الملك - واليا واحدا من آل علي حتى الموادعين المسلمين منهم بل لا نجد أميرا واحدا منهم تخطى حدود العراق الى الشرق أو الى خراسان على كثرة من انتدب للحكم من بينهم في الشطر الغربي من المملكة ومن ذلك مصر والشام والحجاز واليمن والجزيرة •
ندب للحكم في الشام من آل علي أكثر من طبقة واحدة قوام الطبقة الاولى أعمام الخلفاء الاول ، ندب بعضهم في خلافة السفاح فور الاستيلاء على الشام وانتزاعها من الامويين وفي مقدمتهم الامير عبدالله بن علي عم المنصور أو القائد الذي فتح الشام وقتل الوليد أميرها من قبل مروان بن مروان شاركه في ذلك أخوه صالح بن علي وممن ندب من هذه الطبقة أو من أعمام الخلفاء للحكم في الشام عبدالصمد بن علي ، يلي هذه الطبقة طبقة ثانية من أولادهم اذ ولي الشام اثنان من ابناء صالح هما عبدالملك وابراهيم ، وليها الثاني أكثر من خمس سنين وأقره غير واحد من الخلفاء على الولاية المذكورة لانه صهر الرشيد على ابنته الغالية ، ومن هذه الطبقة الثانية اسحق بن عيسى بن علي - السالف ذكره - والى الشام للرشيد • وكان هذا الخليفة معجبا به مطريا له ، هذا عدا من ندب من آل علي على اختلاف طبقاتهم للولاية على الديار المصرية •

لم تكن الايام مواتية لآل علي في مصر والشام الا في عصر السفاح اذ لم يخامر هذا الخليفة ادنى شك في ولاء اعمامه وابنائهم الى أن مات فبدأ الشك يتسرب الى نفوس

(١) انظر عن عناية هؤلاء الامراء بتكوين جيوشهم المقاتلة من أفراد القبائل الشامية كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي (١٢٩) ، وانظر عن جيش عبدالله بن علي في واقعة « نصيبين » تاريخ الواقعة المذكورة في كتب السير والتاريخ •

الخلفاء من بعده وتنكر من تنكر منهم للقوم وكان المنصور أول خليفة تنكر لأعمامه وأبنائهم من ولاية مصر والشام •

كان للمنصور من حزمه وكفاءته ومضائه غنى عن خدمة أعمامه وأبنائهم فعدل عن استعمالهم فى المناصب والولايات على الديار المصرية والشامية ولكن الخلفاء من بعده وفى مقدمتهم المهدي والهادي والرشيد لم يغنوا غناء المنصور فلم يستطيعوا الاستغناء عن خبرة هذا الفريق من آل على فى الإدارة وهيتهم فى النفوس فعادوا الى الافادة من استخدامهم متشددين فى مراقبتهم مكثرين من عزلهم حتى زادوا فى ذلك على المنصور ، وفى أواخر عصر المهدي ثم فى عصر الرشيد والمأمون تنكر ديوان الخلافة للقوم ولم يحمد الخلفاء سيرة بعض ولاتهم المذكورين وطريقتهم فى تصريف الامور بالشام وغيرها فاتهموهم بالتهاون فى قمع الفتن ، فهذا المهدي عزل الامير عبدالصمد بن على عم أبيه غير مرة عزله عن المدينة^(١) وعزله بعد ذلك عن الجزيرة لتهاونه فى الحفاوة بموكب الخليفة لما وصل الى الجزيرة غازيا ثم جرت بين الامير والخليفة مشادة رأينا عبدالصمد فيها بالغ الجراءة حتى عوقب بالعزل والحبس ، ويلاحظ أن عبدالصمد من أوفر الامراء حظا فى العزل فقد عزله وهو واليه على الشام بسبب محنة البلد بالاحداث القبلية الدامية التى تجددت بين

أقعد العباسيين

لاغرو اذا رأينا الامير عبدالصمد وهو أقعد بنى العباس جريئا فى مجابهة المهدي فانه عم السفاح وعم المنصور والد المهدي ، ومن أقوال المؤرخين : « مات عبدالصمد وليس على الارض عباسية الا وهو محرم لها » ، وللمؤرخين ملاحظات طريفة عن سنه وعلو طبقته وعن خصائصه التى انفرد بها من هذه الناحية^(١) فهو ينظر الى هؤلاء الخلفاء مابين السفاح

(١) من هؤلاء المؤرخين المعنيين بخصائص « قعد بنى العباس » الخطيب البغدادي فى تاريخه (٣٧/١١-٣٩) وسماها ابن الجوزى فى شذور العقود « عجائب » وعنه نقلها ابن خلكان فى الوفيات (٢٩٦/١) والصفدى فى « نكت الهميان » « ١٩٣ - ١٩٤ » وتختلف أساليب المؤرخين فى رواية غرائب عبدالصمد بن على هذه ، ومن أحسنها أسلوب البكرى فى التنبية على أوهام أبى على القالى ، وفيه تفسير لغوى لكلمة القعد ، ومما هو جدير بالذكر ان على بن عبدالله بن عباس والد هذا الامير انفرد بخصائص رواها المؤرخون يراجع عنها كتاب الوفيات (٣٢٣/١ - ٣٢٤) وانظر كتاب المعارف لابن قتيبة (٣٢٤) ، هذا والقعد من مصطلحات علماء الانساب وهم يزعمون أن ذلك عند العرب مذموم لطول العمر بالسلامة وذلك يدل على عدم الشجاعة انظر رسالة فى اصطلاح علماء الانساب نشرت ملحقا بكتاب عمدة الطالب ط النجف (٣٦٨) ولاحظ ص ١٥٨ من هذا الكتاب •

الى الرشيد وفي عصر الرشيد مات - نظره الى بعض اولاده وأحفاده •

وفي عصر الرشيد لم يكن خط الامير عبدالصمد خيراً منه في عصر أبيه المهدي فقد عزله وهو واليه على الشام بسبب محنة البلاد بالاحداث القبلية الدامية التي تجددت بين النزارية واليمانية في العصر المذكور وهي فتن لاتكاد تهدأ حتى تثور ولم يتهياً للرشيد قمعها الا بمجهودات عظيمة والا بعد أن الحقت ما ألحقته من اضرار جسيمة في أموال الدولة وأرواح ابنائها ، ومن آل على الذين سخط عليهم الرشيد الامير ابراهيم بن صالح لتراخيه في قمع فتنة خارجي من الامويين استولى على الصعيد^(١) •

لا يخامرنا أدنى ريب بأن آل على هؤلاء بالشام أدري والى الشام أميل وبها أعرف والحجازيين وما ذلك الا لانهم في البلاد المذكورة ولدوا وعاشوا وتنازلوا ، نزلوا « البلقاء » في الدولة الاموية ونزلوا « سلمية » في بادية حمص في الدولة العباسية وأقام من أقام منهم في رملة فلسطين وأنشأوا ما أنشأوه من مدن وحواضر وحصون وقلاع في الثغور ما بين مدينة حلب وبلاد الجزيرة الى حدود الروم فتكونت من هذا الجذم العباسي عصابة لا يستهان بها بل عشيرة ضخمة في عددها وعددها حتى تطلعت الى مماتنة الخلفاء وأرادت أن تدخل أنفها في شؤون الخلافة وفي ترشيح المرشحين لها والافادة من كل خلاف ينجم في هذا الشأن كالخلاف الذي نجم بين الامين والمأمون ، ففي هذا النزاع وقف غير واحد من آل على نزلاء الشام وفي مقدمتهم الامير عبدالملك بن صالح الى جانب الامين لكونه أضعف الاخوين وليس من الصعب خلع الضعيف أو الاستيلاء عليه كما وقف آل عيسى ابن موسى الى جانب المأمون لانهم - كما رأيت - يهتمون آل على ويكرهونهم ، وبنى هذين الفرعين من العباسيين ما بينهم من الوحشة والجفاء فلما تنكر الخلفاء لاعمامهم وأبناء أعمامهم وولاتهم على الشام وعزلوا من عزلوا منهم استعملوا بعض ذويهم الاقربين من آل محمد ، فهذا الرشيد يعهد الى أخيه ابراهيم بن المهدي صاحب الصنعة الغنائية والى العباس بن محمد بالولاية على الشام^(٢) •

ولاية مصر من آل على

بلغ عدد ولاية مصر من أمراء آل على في العصر الاول من عصور الدولة سبعة ، منهم

(١) راجع عن ثورة هذا الاموي على العباسيين في مصر كتاب الولاية وكتاب القضاة

للكندي (١١٢ ، ١٢٤ ، ٢٢٦ ، ١٢٨) وكتاب انساب الاشراف للبلاذري (١٨٥/٥) •

(٣) انظر عن ولاية الشام من آل على مذهب تاريخ دمشق (٢/٢١٩ ، ٢٤٨) •

أربعة فقط من أبناء الأمير صالح بن علي واثنان من أبناء أخيه سليمان تولوا مصر بين عصر أبي العباس السفاح الى عصر الرشيد ولم يل مصر بعد عصر الرشيد الا أمير عباسي واحد في عصر المأمون •

لا خلاف بين المؤرخين أن أول ولاية مصر من الهاشميين الأمير صالح بن علي عم السفاح وليهاله بعد قتل مروان الجعدى فيها على يده والاستيلاء على البلاد سنة ١٣٣ وقد ندب للولاية عليها بعد ذلك كل من ابراهيم والفضل وعبد الملك واسماعيل وكلهم من أبناء صالح بن علي المذكور ، ومنهم من وليها مرتين ، وفى استعمال هؤلاء الاخوة الاربعة على الديار المصرية واحدا بعد آخر دليل بالغ على خطر منزلة أبيهم صالح وأثره البعيد فى قيام الدولة • كان السفاح يقدر فى الواقع للأمير صالح بطولته وبسالته ومجهوده العظيم كأخيه عبدالله بن علي فى الاجهاز على الدولة الاموية ، ولذلك لم يشعر بغائلة تأتية من ناحية أول الخلفاء فعاش الأمير فى مصر عيشة راضية وكان فى نية المنصور على الأرجح أن يحذو حذو أخيه السفاح فى الاحسان الى عمهما الأمير صالح لولا الاحداث التى زعزعت ثقة المنصور بأعمامه فى مستهل خلافته ، ولولا ما آتتهم المعروفة بعد موت السفاح كالخلاف الذى جاهر به عبدالله بن علي وأخوه عبدالصمد وغيرهما من أخوة صالح فكان ذلك - فيما نرى - من أكد الاسباب فى تسرب الشك الى المنصور وارتياحه فى اخلاص عمه وواليه على مصر وما ترتب على ذلك •

ولا خلاف بين المؤرخين كذلك بان أول ولاية السفاح على البصرة هو الأمير سليمان ابن علي أخو صالح ، ومن أولاده أربعة - كأولاد أخيه عددا - ندبوا للولايات الجلييلة وهم اسحق وعلي ومحمد وجعفر ، ندب الاولان لولاية مصر الاول من جهة الرشيد (١) والثانى من جهة أخيه الهادى ، وقد عزل هذا الوالى - أى علي بن سليمان - عن ولاية مصر فى خلافة الهادى نفسه لايوائه ادريس بن عبدالله بن الحسن لما اجتاز بالديار المصرية فى طريقه الى المغرب وبذلك مهد السيل لقيام دولة الادارسة ، ويلاحظ انه انفرد من بين

(١) أدى عمل اسحق فى زيادة الخراج على بعض الاقاليم المصرية الى اشتباك بينه وبين أهلها ثم أذعنوا بعد عزله بوال آخر يقال له « هرثمة بن أعين » ، تراجع عن ثورة المصريين فى ولاية اسحق فى كتاب الولاة وكتاب لقضاة للكندى ، وفى كتب التاريخ ما يذلل على أن اسحق بن سليمان هذا ولى المدينة للرشيد والسند ومكران ، تراجع عن ذلك تاريخ الطبرى (٥٢/١٠) •

اخوته بشذوذه عن منهج أهله^(١) فكان جزاءه الغزل عن الولاية .

هكذا لم ينتدب من أمراء آل علي - سواء أكانوا من نزلاء العراق أم نزلاء مصر والشام - على اختلاف رأى الخلفاء فيهم أمير واحد على الشرق أو على خراسان على كثرة المناصب والولايات التي ندبوا إليها في القسم الغربي من المملكة .

الى نكاية الخراسانيين بآل علي وسخط هؤلاء عليهم ورغبتهم في الانتقام واخذ الثار منهم مرد الحيلولة بينهم وبين الأمرة على الشرق أو الأقاليم الخراسانية اذ كان ذلك من مقتضيات السياسة ولا عبرة ببعض من تقلد فارس بالاضافة الى البصرة من آل علي المسلمين في عصور السفاح والمنصور والمهدي والرشيد كسليمان بن علي وبعض

(١) علي بن سليمان والى الجزيرة أيام المهدي ووالى مصر أيام الهادي بنى قلعة الحدث من الثغور وأعدّها لتسع أربعة آلاف وفرض لهم العطاء ، جدد الرافقة البلد المعروف المتصل بالركة على الفرات أيام ولايته على الجزيرة ، ويلاحظ ان هذا الأمير من الأمراء المعنّين بالانشاء وتنظيم المدن وهو أول أمير عباسي ضرب اسمه على النقود الذهبية العباسية وكان ذلك أيام الهادي سنة ١٧٠ وهو يومئذ أميره على مصر ويوجد دينار عباسي مضروب عليه اسم علي المذكور ضرب في أيام الرشيد ، ومن المفيد ان نشير الى أن مجاميع النقود القديمة المحفوظة في بعض المتاحف ومنها المتحف العراقي تحتوى على دنانير نادرة ضرب على بعضها اسم « موسى » وعلى بعضها اسم « عمر » وعلى آخر اسم « العباس » وذلك في عصر الرشيد والمأمون ، والمرجح أن « موسى » هو موسى بن عيسى بن موسى ، و « العباس » هو العباس ابنه ، أو ابن المأمون ، و « عمر » هو عمر بن مهران من عمال الرشيد وابنه المأمون على مصر ، وقد سلف ذكر هؤلاء الأمراء ، راجع ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ من هذا الكتاب .

وفى أيام ولاية الأمير علي بن سليمان على مصر خرج « دحية بن مصعب بن الاصبغ » ودارت بينه وبين العباسيين حروب طاحنة فى مصر الى أن قتل على يد علي بن سليمان - وفى قول علي يد الفضل بن صالح بن علي - ، انظر عن ذلك كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى (١٨٥/٥) ومادة اهناس وبويط من معجم البلدان ، ولهذا الأمير قصة مشهورة مع الخليفة المهدي وشاعره « أبى دلالة » وياه أراد هذا الشاعر بقوله :

قد رمى المهدي ظيبا	شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليمان	رمى كلبا فصاده
فهنئاً لهما كل أمر	ىء يأكل زاده

ويلاحظ ان هذا الأمير احتمل هذه السخرية الشعرية البالغة لأن أبا دلالة كان أحد شعراء الخليفة .

أولاده فان اقليم فارس أو القسم الجنوبي من المملكة الايرانية كان تابعا للبصرة يفصل
بينه وبين خراسان أو الشرق مسافات شاسعة .

شطر المشرق :

اتجه الاول من الخلفاء العباسيين الى المشرق واتجه أعمامهم آل على أو وجهوا
شطر المغرب فكانوا في الهوى مختلفين ، كان هوى الخلفاء مع أشياعهم من أبناء الشرق
بل حاولوا الانفراد بهؤلاء الاشياع وتوثيق رابطتهم بتلك البلاد وأهلها فلم تنقطع صلتهم
بالقوم وتتابع رحلات الخلفاء وولاة العهد والامراء الى الأقطار الشرقية وكانت وجهة
القوم خراسان وما وراء النهر لتصفح أحوالها أو لتصريف شؤونها وما الى ذلك كما
فعل المنصور والمهدى والهادى والرشيد والمأمون فنصب المنصور ولى عهده المهدي أميرا
على خراسان وحذا المهدي حذو أبيه فنصب ولى عهده الهادي أميرا على تلك البلاد
ونسج على منوالهما الرشيد فعين المأمون أميرا على خراسان ولم يعن الخلفاء بالمغرب مثل
عنايتهم بالمشرق من هذا القبيل بل كانوا يعمدون أحيانا الى ادارة شؤون المملكة بأسرها
من خراسان وقد مات المهدي ودفن في « ماسبدان » من بلاد الجبل بينما كان ولى
عهده الهادي في « جرجان » ومات الرشيد ودفن في « طوس » . مات فيها وولى عهده
المأمون مقيم في « مرو » قاعدة تلك البلاد وهو يومئذ أمير خراسان كلها فبايعته كثرة
الخراسانيين ومن ثم زحف قادته على العراق وتغلب على أخيه الأمين بجيش قوامه
أبناء خراسان ، ويقول بعض مؤرخي الدولة العباسية : لم يمت بمدينة السلام خليفة
منذ بنيت الا محمد الأمين^(١) .

زيارات عابرة :

لا شك ان عددا من اولئك الخلفاء زاروا مصر وزاروا الشام الى أقطار أخرى
واقعة في الشطر الغربي من المملكة بيد أن زيارتهم لهذه الأقطار كانت زيارة عابرة
غالبا في طريقهم الى الغزو أو في قفولهم من الثغور أو من أجل قمع بعض الفتن
والثورات في بعض هذه الأقطار ، ومما لا شك فيه كذلك ان بعض الخلفاء المذكورين
أو ولادة عهدهم وعملهم عنوا عناية خاصة بزيارة الجهات الشمالية من ديار الجزيرة

(١) يعنى هؤلاء المؤرخون أنه لم يمت في عصور الدولة الاولى خليفة ببغداد ، انظر
فصلا في هذا الشأن أورده الخطيب في تاريخ بغداد (٦٨/١) .

والشام ومنها حلب لأنها قريبة من الحدود واقعة في طريقهم الى الثغور ، ولا ينكر - كذلك - ان المنصور أنشأ الرقة والرافقة التي جددها الرشيد فأكثر القوم من التردد اليهما لوقوعهما في اقليم يعد وسطا بين العراق والشام .

كان هؤلاء الخلفاء يزورون الرقة أو الرافقة على الفرات اما للاستطلاع او للاستجمام اما الشام على قربها من « الرقتين » فلم يظهر منهم ميسل الى زيارتها أو التردد عليها ولم يظهر من أهلها ميل واضح الى القوم بل كان العباسيون اذا ذكرت الجزيرة واذا ذكرت الشام واذا ذكرت قبائل الجزيرة وقبائل الشام تبرموا بذكرها وأوسعوها ذما ووصفوا أهلها بالمروق والفساد وأظهروا عيوبها ومساوئها وتجاهلوا محاسنها ومحامدها كما فعل السفاح والمنصور وكما ينقل عن الرشيد والمأمون في خطب مأثورة لهم ، وكما فعل الأمير صالح بن علي وبعض أولاده مثل ذلك^(١) ، وللمأمون قصة مروية مع بعض أهل الشام في هذا الشأن نسب اليه فيها التحيز الى الخرسانيين وتمييز العجم على قبال العرب وطولب فيها بالمساواة بين الفريقين^(٢) ، وأما مصر فانها لم تعجب المأمون وقد استولبها وأجمها في رحلته اليها سنة ٢١٧ ووقف عبدالله بن طاهر وزير المأمون على باب مصر فقال : « اخزي الله فرعون ما كان أخيه وأدنى همته ملك هذه القرية فقال : انا ربكم الاعلى ، والله »^(٣) ، وفي مقابل ذلك نوه من نوه بخراسان وبمجهودات أهلها من الخلفاء ونقباء الدعوة الهاشمية كقحطبة بن شيب^(٤) .

(١) انظر بعض خطب العباسيين وأمرائهم في تقرير أهل الشام وتهديدهم أو ذم قبائل الجزيرة والشام من تغلب وربيعة وخزاعة والقيسية واليمانية خصوصا بعض خطب السفاح والمنصور والرشيد والأميرين داود وصالح ابني علي وعبد الملك بن صالح تأريخ الطبري (١٣٢/٩) والعقد الفريد ط الجمالية (٣٦٩/٢ - ٣٧٢) والكامل (٧٦/٦ - ٧٧) وراجع الصفحة (٤٧) من هذا الكتاب .

(٢) انظر هذه القصة وما أخذ المأمون على قبائل الجزيرة والشام فيها الجزء السادس من كتاب بغداد لابن طيفور وتأريخ الطبري (٢٩٦/١٠) والكامل لابن الأثير (١٧٦/٦) .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب (٤٤٣/٩) وانظر مروج الذهب (١٨٤/٢ - ١٨٦) عن رأيهم في البيئة المصرية . وانظر عن زيارة المأمون لمصر وأمره بنقب الاهرام مادة « الهرم » في معجم البلدان وكتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس لابن دحية ط. بغداد (٦٠ - ٦١) والقسم الاول من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري ط مصر (٢٣٥ - ٢٣٦) وتجد اخبار هذه الزيارة في كتاب لا يزال مخطوطا لابن مماتي سماه « المقصد المرام في عجائب الاهرام » .

(٤) قال قحطبة : قال لي محمد بن علي وهو يذكر أهل خراسان « لا ننصر الا بهم =

مصطلح التاريخ :

واعلم ان هؤلاء الخلفاء والأمرء العباسيين وقواد جيوشهم لا يقصدون بعبارة « أهل الشام » - كلما وردت عبارة من هذا القبيل في خطبهم أو في كلامهم - الا قبائل العرب التي حملتها موجة الفتوح الاسلامية واستقرت في الشام وما اليها غالبا ثم شدت أزر الأمويين في سياستهم أو في حروبهم وتنكيلهم بالهاشميين وأنصارهم في وقائع معروفة مثل واقعة « الحرة » و « الطف » و « الكوفة » واذا طالعك في كتب التاريخ أيضا عبارة « أهل العراق » أو « أهل مصر » فاعلم أنهم يريدون بذلك قبائل العرب التي استقرت في العراق أو في مصر بعد الفتوح ولا يقصدون أهل المدر أو سكان الحواضر الأصليين في هذه الأقطار •

مرحلة انتقال في التاريخ :

مرت بلاد الأتراك والشرق المذكور بأسره في الفترة الواقعة بين أواخر خلافة هارون الرشيد الى أواخر خلافة المأمون وأوائل خلافة المعتصم بمرحلة خطيرة من مراحل الانتقال ، مرحلة امتازت باقبال الاتراك على الدخول في حظيرة الاسلام وهي ثمرة من ثمرات السياسة الانشائية التي انتهجها المأمون في ولايته على خراسان بل في خلافته بأسرها وولاية عهده قبل ذلك ، وفي هذه الفترة اشتهر الفضل بن سهل وزير المأمون الملقب « بنى الرياستين » ولهذا الوزير جهود لا تنكر في هذا الشأن •

= ولا ينصرون الا بنا قلوبهم كزبر الحديد أسماؤهم الكنى وأنسابهم القرى يطيلون شعورهم كالغيلان جعابهم تضرب كعابهم يطوون ملك بنى أمية طيا ويزفون الملك الينا زفا » ، ومن الشعر المروى في هذا الباب :

الدار داران ايوان وغمدان والملك ملكان قحطان وساسان

والناس فارس والاقليم بابل والاسلام مكة والدنيا خراسان

ولأعلام الأدب والمؤلفين في البلدان كلماتهم في الثناء على خراسان والدفاع عن الخراسانيين والتنويه بأعلامهم ، انظر عن كلمة قحطبة وعن البيتين معجم البلدان ط لايبسك (٤١٣/٢ - ٤١٥) وللمأمون كلمة عن بعض مميزات مدينة « مرو » تجدها في معجم البلدان (٥٠٨/٤) وقد شغف ياقوت الحموي بمرو هذه قاعدة خراسان ومنزل أميرها المأمون ، وهو - أعنى ياقوت - القائل : « أنساني حبها كل بلد وألهاني عن الأهل والولد » ، وقد وصف صاحب المعجم هذه المدينة الخراسانية وبيئتها العلمية وخزائن كتبها وصفا شائقا قائلا ان أكثر الفوائد التي حفل بها معجمه مستفاد من خزائن الكتب المذكورة ، انظر المعجم المشار اليه (٥٠٩/٤ - ٥١٠) •

أقبل أتراك ماوراء النهر أتراك « الصغد » و « الشاش » و « أشروسنة » و « الصغانيان » - وفي مقدمتهم ملوكهم وأمراؤهم وأشهرهم « كاوس » وابنه حيدر ابن كاوس المعروف « بالافشين » وأمثالهم - على الاسلام وازدحمت وفودهم على باب المأمون أمير خراسان ثم وفدوا على بغداد فرأوا حرمة وافرة وصلات دارة وحياة رافهة لم يروا بعضها في بلادهم ووجدوا أنفسهم في بلاد العرب أو في كنف حكامهم أحسن حالا من بقية اخوانهم الذين يعيشون في كنف ملوكهم وقبائلهم الرحل المتنقلة في فيافي الشرق • هذا وعلمنا ان نلاحظ أن الفترة المذكورة في تأريخ الأتراك والدولة العباسية امتازت بميل الفريقين الى التعاون أو ميل دار الخلافة الى التقرب من شعوب الأتراك بتخفيف المؤن والضرائب وحرمة الزعماء والأكابر ورعاية حقوق المسلمين منهم ومساواتهم بغيرهم من سائر المسلمين •

هكذا أسفرت هذه السياسة الانشائية عن نتائج باهرة في تلك البلاد اذ نعمت بعهد منقطع النظير من الطمأنينة والرخاء في عصر المأمون ثم استخلف المعتصم فحذا حذو أخيه ، ومن ذلك الحين انتظم في سلك عسكره من انتظم من أتراك ما وراء النهر صفدا وفراغنة واشروسنة وغيرهم وحضر ملوكهم بابه وغلب الاسلام على من هناك من القبائل التركية بالحرب مرة وبالمكاتبة والدعوة تارة ، وكفى هؤلاء الأتراك جيش بني العباس في الفترة المذكورة مؤنة الحرب في الثغور وراح الأتراك المسلمون يغزون من وراءهم تركا ومغولا ووصل طاهر بن عبدالله بن طاهر - من اشهر القواد في عصره - الى مواضع لم يصلها أحد من قبله (١) •

فهذا - اعني غناء الأتراك وكفائتهم في الفتوح والالاحاق في الغارات والحروب على بني قومهم - من أهم أسباب ركون المعتصم الى هؤلاء الأتراك وفي مقدمتهم كاوس وابنه الافشين بعد اسلامه وهو من ملوك القوم حتى غلب الاسلام على أهل تلك البلاد في خلافة المأمون ثم المعتصم ، ولاسلام الافشين وحضوره الى بغداد قصة معروفة في تأريخ الدولة العباسية •

وجد المعتصم - وقبله المأمون - مضاء وكفاية أظهرهما هؤلاء الذين دخلوا الاسلام من الترك في حرب من وراءهم من القبائل والبوادي التركية والنكاية بمن خرج من

(١) انظر فتوح البلدان للبلاذري (٤٣٥ - ٤٣٧) •

الخوارج من الخرمية وغيرهم بعد ذلك وقاموا في هذه الناحية بأعمال ومهام لا يتسنى لسواهم من الخراسانيين والعرب القيام بها لأن الأتراك أدركوا بلادهم فكان ذلك من أهم دواعي تلك الثقة والاطمئنان بالأتراك وسد الثغور بقوم من أهلها كما عرف ذلك عن المعتصم ولكن المعتصم أفرط في الاطمئنان إلى القوم حتى أدى الأمر إلى طغيانهم وغلبتهم على الخلفاء •

امتازت الفترة الأخيرة من عصر العباسيين الأول - أعني عصر المأمون وأخيه المعتصم بضرب من السياسة الانشائية في بلاد الشرق وما وراء النهر - كما قلنا - ، وقد نحا المأمون نحو سياسة مثمرة أساسها الكف عن الغزو والاثخان في البلاد النائية وقوامها التعاون مع أهل البلاد المفتوحة والميل إلى الصلح وتسوية ما بين الفريقين من الخصومات تسوية سلمية مهما أمكن ذلك ، وقد توالى بعد هذه الفترة أو في المائتين الثالثة والرابعة عصور ازدهرت فيها الثقافة الإسلامية ونهضت آداب اللغة العربية نهضة منقطعة النظير وأصبحت لغة الضاد فضلا عن كونها لغة الدين لغة العلم والكتابة والتأليف وتغلبت في تلك الأعصاف الواسعة على اللغات كافة ووضع فيها عدد لا يستهان به من أمهات الأسفار في العلوم والفنون •

سياسة وسياسة :

وخلاصة القول : يبدو لنا شيء من المقارنة بين منهج الأمويين ومنهج العباسيين في السياسة التي ساروا عليها في المشرق أن إدارة العباسيين امتازت بقسط لا يستهان به من الرفق والمحاسبة بخلاف إدارة الأمويين وعملهم التي تميزت بالشدة والجفاء • ومن هذه الناحية عاند الوثنيون والمجوس وحافظوا على وثيتهم في كثير من الأقاليم المتاخمة لما وراء النهر في العصر الأموي ، بيد أن القوم سرعان ما تخلوا عن الوثنية ودخلوا أفواجا في دين الإسلام وذلك في أواخر العصر الأول من عصور بني العباس وخصوصا في عصر المأمون حيث أبلى الأتراك بلاء حسنا في الدفاع عن حدود الدولة في بوادي تركستان وعلى تخوم الشرق الأقصى • وهي ثمرة من ثمرات السياسة التي سار عليها المأمون ورجال الدولة^(١) فلا غرو إذا رأينا العباسيين أبعد نظرا وأكثر توفيقا

(١) انظر مادة « ما وراء النهر » من معجم البلدان عن غناء أهلها وبلائهم الحسن في الدفاع عن الثغور وثقة العباسيين بهم من هذه الناحية

فى الاصلاح من الأمويين اذ كانت لبنى العباس سياستهم الانشائية ومثلهم العليا فى ادارة تلك الاقاليم بخلاف بنى أمية على الاكثر اذ كان مثلهم الاعلى فيما نحن فيه طلب الملك من أجل الملك والسلطة لغرض السلطة • ولا بد لنا من القول فى خاتمة هذا الفصل ان البلاد الاسلامية فى المشرق وفيما وراء النهر خاصة بقيت على منعيتها وشوكتها وعنو كعبها فى الحضارة الى أن استفحل النزاع المعروف فى التاريخ بين خوارزم شاه والترك حيث اخرب كثيرا من تلك البلاد لعجزه عن ضبطها وفرق مقاتلتها واجلى عنها اهلها ثم اخربها (الغز) فيما خربوه من ديار الترك وخراسان ثم اجهز عليها (الترك) فى صدر المائة السابعة كما هو مشهور فى التاريخ (١) •

ولا بد لنا من القول ان اكثر مغازى المسلمين لبلاد الترك وقعت فى الدولة الاموية ومن أشهر قوادهم فى تلك الحروب المهلب بن أبى صفرة ثم قتيبة بن مسلم الباهلى وربما كان أشهر قائد من قواد العرب فى ذلك العصر ، وكان قتيبة على بلائه مستوحشا من سيرة بنى أمية ويعتبر فاتح خراسان وما وراء النهر ، وممهد ذلك الملك العجسيم للعرب ثم قتل فى فتنه وقعت هناك فى أيام سليمان بن عبد الملك قتله العرب انفسهم وقتل معه جماعة من اخوته وزوجته ، ويلاحظ ان شطرا واسعا من بلاد الترك او ما وراء النهر فتح صلحا فى أواخر المائة الأولى • وكان عدد المسلمين من الترك غير كثير فى العصر الاموى ولكن زاد عددهم فى أواخر العصر المذكور على ان الاسلام غلب على تلك البلاد فى العصر الاول من عصور بنى العباس • فشا الاسلام بين الترك فى عصر المأمون ثم فى عصر المعتصم وان بدأ فى العصر الاموى ، ويلاحظ ان الأتراك الغربيين أسبق من اخوانهم الشرقيين الى ذلك • والخلاصة تأخر اسلام الترك فى الشرق الأقصى واواسط آسية ولكنهم أقبلوا على الاسلام شيئا فشيئا فى عصور العباسيين ثم فى عصور بعض

(١) انظر مادة (الشاش) و (نيسابور) من معجم البلدان ، ولا حظ تعليل المؤرخين الضعفاء لفتح نيسابور بمراسلة احد العلويين وقد استضعف ياقوت هذا الرأى ولهذا صدر الحكاية بقوله (زعم قوم) ولو كان المؤرخون الذين ظهروا بعد ياقوت فى طبقته من النقد والتمحيص لما جاز تصديق مثل هذه الاوهام ومن احسن المراجع فى وصف المراحل الاولى من هجوم التتار على العالم الاسلامى فى الشرق وتدمير حضارته كتاب الكامل لابن الأثير ففى عصر ابن الأثير شرع المغول فى غزو البلاد الاسلامية • ومن المراجع الحسنة فى هذا الباب شرح ابن أبى الحديد على نهج البلاغة

(٢ / ٣٦٧ - ٣٧١) •

الدول الإسلامية التي انفصلت عن الدولة العباسية فيما وراء النهر أو بعض ديار الأتراك وما زال هذا شأن بعض القبائل التركية حتى بعد زوال دولة بني العباس •

افراط في العصبية :

وتتضارب الآراء في سياسة بني أمية من ناحية عصبيتهم العنصرية الغالية وسياستهم مع الرعية فنرى بعض المعنيين بالمباحث الشرقية من الغربيين ومقلديهم من الشرقيين يحمدون لبني أمية افراطهم في احتقار الموالي ولو أسلموا ولو حسن اسلامهم قائلين : ان النازيين هم أمويوا أوربة من حيث دعوى التفوق العنصرى وان جنت هذه العصبية العنصرية على النازيين كما جنت من قبل ذلك على الامويين ، هذا وهناك كثير من الباحثين والمؤرخين من قدماء ومحدثين يعتبرون عددا من بني أمية مارقين عن هداية الاسلام في هذا الضرب من الافراط في العصبية فان الاسلام يدعو الى التسامح والتسوية ، ومع ذلك ينفى أصحاب هذا الرأي مشايعتهم للشعبوية •

معاملة الموالي :

تحفل كتب الأدب والتاريخ بذكر الأساليب التي اتبعها الامويون في احتقار الموالي وسوء معاملتهم في المجالس والموالك والمخاطبات وغير ذلك من المعاملات ولم يقف الامويون عند هذا الحد من الازدراء بالموالي بل تجاوزوه الى احتقار أبناء الامهات من الامويين وغيرهم فهم لا يرون استخلاف بني الاماء قائلين : لا يصلح بهم العرب أى ان بنى أمية ماكانوا يبايعون بنى أمهات الأولاد ، قال الأصمعى : لم يكن ذلك لاستهانة بهم ولكن لما كانوا يرون ان زوال ملكهم يكون على يد ابن أم ولد^(١) وكان عمال الدولة يستهينون بهم ولا يسوون بينهم وبين غيرهم من المسلمين في الحقوق ، واسقط الحجاج ديوان الموالي وفرق كلمتهم ونفاهم الى دساكرهم قائلا : « اتم علوج وقراكم أولى بكم » ، وقد استشار معاوية الأحنف بن قيس في التخلص من الموالي لكثرتهم فنهاه عن ذلك قائلا : ان منهم اخواننا لامهاتنا ومنهم أخواننا ومنهم موالينا وقد شاركناهم وشاركونا في النسب فكيف تطيب نفسى بقتلهم فأخذ معاوية برأيه ، والواقع ان جل الفقهاء

(١) العقد الفريد (١٨/٤) ط الجمالية •

وحملة الأثر في الدولة العباسية وما قبلها من الموالى وقد وردت أسماء حملة الأثر والفقهاء في حديث جرى بين ابن أبي ليلى والأُمير عيسى بن موسى الذي مر بنا ذكره فمنهم فقهاء البصرة والمدينة ومكة والشام وفقهاء اليمن وخراسان ، ويستتبع من هذه المذاكرة ان عيسى هذا كان من أشد الناس حمية للعرب ^(١) ، هذا وقد عرض ابن خلدون لموضوع الموالى والمصطنعين في فصول عدة من مقدمته وخاصة في مباحثه عن الملك والدولة والخلافة وعقد فصلا عنوانه « استظهار صاحب الدولة على قومه بالموالى المصطنعين » وله في هذا الفصل مقارنة بين الدولتين العباسية والاموية ومن رأى ابن خلدون ان الأول من خلفاء بنى العباس استظهروا في حروبهم وولاية اعمالهم بالعرب كالامويين ^(٢) ، أجل بايع العباسيون ابناء امهات الأولاد ولكن ذلك لم يمنع دولتهم من أن تعيش أكثر من خمسمائة سنة وكره الامويون بيعة القوم ولكن الدولة الاموية لم تعيش خمس هذه المدة وفي ذلك ما فيه من عبرة وموعظة .

هذا ولابناء الامهات أخبار وملح ونوادير غير قليلة في عصر الراشدين وعصر الامويين ، ولا قبحاح العرب نظرة خاصة الى هؤلاء الأبناء ولهم ذكر في أشعارهم وأقوالهم ، ومما احتجوا به لرفع منزلتهم الى مستوى الخلفاء من أبناء العرب ان كثيرا من أعيان التابعين وأئمة المسلمين كانوا أبناء امهات اجنيات وكان سعيد بن المسيب يميل الى تنقص أمثالهم الى أن رأى في يوم واحد الامام على بن الحسين والقاسم بن محمد ابن أبي بكر وسالم بن عبدالله بن عمر وأمهاتهم بنات يزدجرد فعظم أبناء الامهات في عينه وقد منع الامام على بيع بنات يزدجرد بعد السبي وقال لعمر : انهن بنات ملوك لا يعاملن معاملة بنات السوق ثم زوجهن بمن زوجهن ، وكان يقال لعل بن الحسين : « ابن الخيرتين » كما كان هو نموذجا في البر بوالدته الأميرة الفارسية ، وأخباره مشهورة في هذا الباب ، وقال عمر بن الخطاب ليس قوم اكيس من اولاد السراى لأنهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم ، ولبلال بن جرير في أم اولاده وهى جارية فارسية :

(١) العقد الفريد (٤/ ٢٦٠ - ٢٦٢) .

(٢) من اوفى المراجع في البحث عن الموالى وأبناء الاماء والسراى الكامل للمبرد وكتب ابن قتيبة خصوصا كتاب عيون الاخبار وكتاب العرب والرد على الشعوبية والعقد الفريد لابن عبدبريه ومقدمة ابن خلدون .

إذا عرضوا عشرين ألفا تعرضت
لام حكيم حاجة هي ما هيا
لقد زدت أهل الرى عندى مودة
وحيت أضعافا الى المواليا
وله فى الدفاع عن عنصر زوجته هذه أخبار ، قال المبرد انشدنى الرياشى :
ان اولاد السرارى
كثروا يا رب فىنا
رب ادخلنى بلادا
لا ارى فيها هجينا

بواعث الشك :

حجز السفاح والمنصور من حجزاء من الأعمام وأبناء الأعمام بعيدين عن خراسان وعن المشرق كما مر شرحه ومن ذلك نعلم أن حجر آل على فى الشطر الغربى من المملكة ما هو الا خطة سياسية مرسومة تدل على غاية الحزم واليقظة واذا تصفحنا تاريخ العصر الأول من عصور الدولة وقفنا على بعض بواعث الشك التى ساورت الخلفاء فى نيات أعمامهم وابنائهم فمن ذلك وشايات رواها المؤرخون ولا يستبعد وشاية بعض المسلمين من آل على فى العراق بالناقمين من ذويهم المقيمين فى مصر أو فى الشام واكثر من هذا اننا رأينا بعض أمراء البصرة من آل على يشنون باخوانهم فهذا جعفر بن سليمان ابن على يشى بأخيه محمد أمير البصرة عند الرشيد قائلا : انه يحدث نفسه بالخلافة بيد ان الرشيد لم يقم وزنا لهذه الوشاية اذ كان له فى زوج اخته العباسية هذا رأى آخر بل كان الرشيد سيىء رأى بالواشى يتهمة بالحسد كما مرت الاشارة الى ذلك (١) ، وهذا عبدالرحمن بن عبدالملك بن صالح يشى بأبيه الأمير ويتهمة بالكيد للخلافة والدعوة الى نفسه فى أيام الرشيد وعلى شهادته هذه نكب الرشيد أباه نكبته المعروفة كما ستراه ، ويلاحظ ان الرشيد استخدم عبدالرحمن بن عبدالملك عينا لموافاته بأخبار ذويه .

تجلى فى عصر المهدي والهادي والرشيد أى فى أواسط العصر الأول من عصور بنى العباس الى أواخر العصر المذكور ما كان يضمه فريق من آل على من الوثوب بالدولة أو ما يبيتونه للخلافة أضف الى ما قدمناه ان هذا الجذم من البيت العباسى أدنى طبقة الى جدهم العباس بن عبدالمطلب ثم ان لهم عددا لا يستهان به من الأئصار ، ولذلك رأينا أبا جعفر المنصور يبادر الى عزل عمه صالح بن على أمير مصر أجل أعمامه بعد أخيه عبدالله ولم يحجم عن نقله فى مدة وجيزة من شواطئ النيل الى شواطئ دجلة حتى اصبح

(١) انظر ذيل الصفحة (١٤٩) من هذا الكتاب .

عمل الأمير صالح على كتب من دار الخلافة لا تجهد المنصور مراقبته والوقوف على ما تاتي الأمير المذكور .

هذا ويلاحظ ان المنصور لم ينتدب لمصر - بعد عزل عمه المذكور - أميراً عباسياً على الاطلاق على طول مكثه في الخلافة فقد مكث فيها اكثر من عشرين سنة وفي ذلك ما فيه من الدلالة على ان المنصور فقد جانباً كبيراً من الثقة والاطمئنان بكثير من هؤلاء الامراء العباسيين في عصره ولم يأمن غوائلهم لانهم أصبحوا بين حاسد أو مكبوت في كثير من الأحيان .

من هذه الناحية رأينا المنصور يتجه الى اختيار عماله على الديار المصرية من غير أهله وذويه أو أعمامه المذكورين ولم يكن له مناص من ذلك بعد ارتيابه بهم ولم يكن له مفر من استعمال الولاة الأبعد المخكين ، وقد وقع اختياره مرة على أحد نقباء الدعوة العباسية وهو موسى بن كعب ^(١) واليا على الديار المصرية ، ولم يرجع المنصور عن خطته هذه في استبعاد أعمامه المذكورين عن تلك الولاية حتى مات .

لم يحدث خلال هذه الفترة وبعد اجراء هذه التجربة الجديدة اعنى استعمال الامراء الأبعد على مصر ما يزعج المنصور سوى انتقال دعوة بنى الحسن من المدينة الى الديار المصرية سنة ١٤٥ على يد أحد أبناء النفس الزكية محمد بن عبدالله بن الحسن ^(٢) بمؤازرة بعض رؤساء القبائل المصرية ولكنها دعوة لم يكتب لها النجاح في مصر ومات قادتها في مدة قريبة ، وفي هذه الفترة أيضاً من خلافة المنصور اضطرب الاقباط وخالفوا بعض الولاة ولكنهم سرعان ما غلبوا على أمرهم هناك ^(٣) .

عاد أبناء المنصور وأحفاده من بعده - وفي مقدمتهم المهدي والهادي والرشيد

(١) انظر كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي (١٠٦ - ١٠٨) وفي هذا الكتاب قائمة باسماء ولاة المنصور من غير اهله على الديار المصرية بعد عزل عمه عن الولاية .

(٢) هو علي بن محمد كان أبوه وجه به الى مصر من المدينة ووجه معاه أخاه موسى المعروف في كتب الانساب بموسى الجون ، وللوقوف على التفاصيل يرجع الى تاريخ الطبرى (٢٩٢/٩) ومقاتل الطالبين ط القاهرة (٢٠١ - ٢٩٥) وكتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي (١١٠ - ١١٦) .

(٣) كتاب الكندي (١١٦ - ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٥) .

والمأمون والمعتصم^(١) - الى استعمال الأمراء العباسيين على مصر والشام ولم يستنوا آل على من ذلك متشددين في مراقبتهم مكثرين من عزلهم كما فعل المهدي بعم أبيه الأمير عبدالصمد غير مرة وكما فعل الرشيد بعمى بن موسى وابنه الأمير موسى الى غير ذلك وقد غنى مؤرخوا مصر كالكندي والمقریزی وابن تغری بردي بشرح ذلك .

أمراء متزمتون :

عاش آل على في البيتين الشامية والمصرية عيشة تكاد أن تكون بدوية في بعض الأحيان أو هي تختلف عن حياة العباسيين في العراق بل كانت حياة فريق من أمراء آل على هؤلاء الى أن تكون حياة جافية أو حياة أمراء اعتادوا الخشونة والشظف أقرب من أن تكون حياة أمراء مترفين أو ناعمين فسكن أوائلهم المدن القريبة من البادية واختار صالح بن على الإقامة في مدينة « سلمية » لوقوعها في بادية حمص وحماه وهي ديار القبائل البدوية من كلب وتغلب وغسان قبل الاسلام وبعد معرفت هذه المدينة به فهي مدينة صالح بن على اتخذها هو وولده منزلا وأنشأوا الأبنية في هذه المدينة^(٢) وكانت لهم الرملة من مدن فلسطين حتى انها انتقلت لورثة صالح لما قبضت اموال بني أمية^(٣) ثم سكن آل على هؤلاء العواصم والثغور ولم تعرف العواصم والثغور بأسمائها الا في أيام هارون الرشيد وأيام هؤلاء الأمراء وهم الذين أنشأوا الحصون والمسالح والقلاع

(١) انتقلت الدولة العباسية بعد عصر المعتصم بمدة غير طويلة الى دور من ادوار التجزئة والانقسام وهو الدور الذي ضعف فيه سلطان الخلفاء وتضعف مركز دار الخلافة وانحسر ظلها عن بعض الاقطار الاسلامية البعيدة مثل خراسان في الشرق ومصر والمغرب في الغرب حيث انتقل الأمر الى ملوك الأطراف أو الأمراء المستقلين الى أن قنع الخلفاء من خلافتهم بضرب من السلطة الروحية البحتة على ملوك الأطراف المتغلبين ففي منتصف المئة الثالثة ظهرت الدولة الطولونية بمصر وعاشت الى صدر المئة الرابعة ثم ظهرت الدولة الاخشيدية ولم تعش الا مدة يسيرة واستقل من استقل من الأمراء بافريقية هذا في الغرب وظهر بعد ذلك السامانيون والديلمة ثم السلاجقة في الاقطار الشرقية .

(٢) انظر معجم البلدان ط لايبسك (١٤٣/٣ - ١٤٤) وفي سليمة هذه تم تنظيم الدعوة الفاطمية فكانت مركز هذه الدعوة ومنها انبت دعاة الفاطميين شرقا وغربا في اواسط عصور الدولة العباسية كما انبعثت الدعوة العباسية من « الحميمة » في ذيل الدولة الأموية ، ويراجع عن ذلك أيضا الكامل (١٢ - ١٤) ، والخطط للمقریزی (١٠/٢ - ١٢) واتعاض الحنفاء له والعبر (٣١/٤) .

(٣) معجم البلدان (٨١٨/٢) (١١١ - ١١٢) .

التي اطلقت عليها كلمة « العواصم » وكلمة « الثغور » وفيها أقام غير واحد منهم بين حلب وانطاكية الى بلاد الروم وعلى ضفاف الفرات الأعلى شرقيه وغربيه فكانوا يستجمعون من غناء الغزو في هذه القواعد كما كانوا يضطلعون بأعباء الدفاع عن حدود الدولة العباسية ويتغلغلون في مملكة الروم ، وهؤلاء الامراء المتزمتون المتكشفون من ولد على عنوا بتنظيم شؤون هذه الحصون الدفاعية ، ولعل اكثر مدن الثغور والدروب دروب الروم المعروفة من انشاء صالح بن علي وأولاده كأدنة « أطنة » بناها صالح سنة ١٤١ أو بعد ذلك بستة و « طرسوس » و « منبج » ^(١) مدينة عبدالملك بن صالح المذكور ومسقط رأس البحتري و « مرعش » و « ملطية » و « زبطرة » و « قلنسرين » و « بطياس » ^(٢) كان بها قصر لعل بن عبدالملك بن صالح بن علي أمير حلب و « ارتاح » ^(٣) حصن منيع من العواصم من أعمال حلب ملكها اسماعيل بن صالح بن علي ^(٤) .

لا نبالغ اذا قلنا ان آل علي شاميون اكثر منهم عراقيين واكثر منهم حجازيين وقد رأيت - كما سترى أيضا - ما يؤيد هذا القول ، قال الجاحظ - ولا يخلو قوله من الغلو - : « كان داود بن علي وعبدالله بن علي يعدلان أمة من الأئم » غلب التقشف والحشونة على عدد من آل علي فلم ينغمسوا بالترف انغمس ابناء محمد من الخلفاء والامراء غالبا لمكان بعدهم عن بغداد فكانوا يعيشون عيشة الجند ، ولذلك رأينا غير واحد من أبناء علي ينكر على أبناء عمهم انحرافهم عن سيرة سلفهم وحضور مجالس الشراب ، اعتبر ذلك بما قاله صالح بن علي واثان من أولاده عبدالملك وعبدالله ابنا صالح المذكور ، ول هؤلاء الثلاثة نوادرهم في التزمت والعزوف عن الترف واللين .

(١) كانت منبج في عصر الرشيد قسبة العواصم والحصون والمسالح التي يستجمع بها المسلمون بعد اياهم من غزو الروم وكانت « انطاكية » قبل « منبج » قسبة الحصون المذكورة ، وهي أي « منبج » مدينة عبدالملك بن صالح ، وله فيها أبنية مشهورة وصفها للرشيد بكلمة بليغة ، وفي مادة « الثغر » من معجم البلدان شيء من أسماء هذه العواصم والثغور وشيء من تاريخها وما وقع فيها من أحداث (١/٩٢٧ - ٩٢٩) .

(٢) انظر معجم البلدان (١/٦٦٧) .

(٣) انظر قصة تملكها في مذهب تاريخ ابن عساكر (٣/٢١) وانظر معجم

البلدان (١/١٩٠) .

(٤) من اوفى المراجع في البحث عن عناية العباسيين وخاصة آل علي منهم بتنظيم الثغور والعواصم فتوح البلدان للبلاذري (١٣٣ ، ١٧٧ ، ١٧٩) ومعجم البلدان

(١/١٧٩ ، ٧٦٥ و ٣/٧٤١ - ٧٤٢) .

احاديث فى التزمى والوقار :

يحفلى تاريخ الدولة العباسية بذكر آل على أعمام الخلفاء ويقرن ذكر المقيمين بالشام منهم خاصة باحاديث التزمى والوقار وانكار الانغماس فى الترف والاخلاد الى الدعة ويتحدث المتحدثون عنهم بالجد والصرامة واجتناب المجون والانهماك بالملاذ وغشيان مجالس القصف واللهو التى شاع أمرها فى الدولة العباسية ولهم فى هذه الناحية قصص وحكايات رواها اصحاب السير والتاريخ ، ومن هذا القليل ما روى عن الأمير صالح بن على وبعض أبنائه مثل عبدالله وعبدالمك وان بعضهم لم يشهد ناديا من اندية اللهو والقصف فى عصره حتى مات ، والحق اننا نجد فى سيرة كل من السفاح والمنصور امثلة من التزمى والغزوف عن اللهو والمجون .

حديث للمنصور فى السياسة والتاريخ :

ومن العادات المحمودة اجتماعيا ان الأول من خلفاء بنى العباس كانوا يجمعون أفراد اسرتهم من شباب وشيوخ ليملوا عليهم دروسا فى الحديث والتاريخ ، وكانت بعض محافلهم بمثابة مدارس تضمنت مناهجها ابحاثا فى السياسة والاخلاق ويعد المنصور من اكثر العباسيين خبرة بتاريخ العرب وتاريخ القرشيين من هاشميين وامويين ، وفى مجلس من مجالسه شهد حشد من ذويه وفى طليعتهم الأمير صالح بن على عم الخليفة جرى ذكر الأمويين وسيرتهم وسياستهم والسبب الذى من اجله دالت دولتهم وذعب مجدهم وتولى المنصور ادارة الحديث فاستهل كلامه بتعريف بنى أمية واحدا فواحدا عرف كلا منهم بكلمة جامعة فهذا عبدالمك بن مروان جبار لا يبالى بما صنع وهذا سليمان بن عبدالمك لا يعنيه شئ سوى بطنه وفرجه وحتى عمر بن عبدالعزيز فهو اعور بين عميان وكان رجل القوم غير منازع هشام بن عبدالمك ثم ينتقل المنصور من ذلك الى موضوع يتصل بقيام الدول وزوالها وصعودها وهبوطها حسبما تقتضيه سنن الكائنات وطبيعة الاجتماع قائلا : « لم يزل بنوا أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويحفظونه حتى افضى الأمر الى ابنائهم المترفين فكانت همتهم فى قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصى الله جل وعز جهلا منهم باستدراجه وأمناء لمكره مع استخفافهم بحق الرياسة وضعفهم فى السياسة فسلبهم الله العز والبسهم الذل ونفى عنهم النعمة » (١) .

(١) روى هذا الحديث الربيع بن يونس حاجب المنصور ونقله المسعودى عنه فى المروج (١٦٤/٢) .

هكذا يحدثنا المنصور عن الامويين ولا يخلو هذا الحديث من عبرة ، وموضع العبرة سوء عاقبة الانغماس فى الملاذ والشهوات على الافراد والجماعات وخصوصا اذا انغمست الهيئة الحاكمة فى ذلك وشاع فيها الانحلال والفساد ، ومما لا شك فيه ان غرض المنصور وعمه الأمير صالح بن على من اثاره البحث فى سيرة بنى أمية من الناحية المذكورة هى ان ينتفع العباسيون من موضع العبرة فى هذا الحديث وهى واضحة ، والامم الحية هى التى تنتفع بعبر التاريخ وتجارب الأجيال مفيدة من خطئها وصوابها على حد سواء .

حديث الأموى مع ملك النوبة :

وما انتهى المنصور من كلمته حتى بادره عمه الأمير صالح قائلا : عندى لهذا الحديث صلة فى قصة عبدالله بن مروان الذى فر الى النوبة فى أيام السفاح فان لملك النوبة حديثا شيقا فى أسباب زوال الدولة الأموية على أيدي المترفين من أبنائها فما مضت هنيهة حتى احضر الفتى الأموى من سجنه وادلى بحديثه مع ملك النوبة . والحديث عبارة عن حوار لطيف بينهما لا يخرج مداره عما جاء فى حديث المنصور ، بيد ان ملك النوبة ناقش آراء ضيفه الأموى فى علة سقوط قومه وفندها ولم يقبل معاذيره ناقشها بشكل لا يخلو من التهمك والسخرية ثم اعلن رأيه فى علة زوال الدولة الأموية وان مردها الى الظلم والطغيان والى سياستهم الخرقاء وعسفهم مع الرعية ، ويقول المؤرخون ان المنصور كان يصغى فى دهشة الى هذا الحديث وظهرت عليه الرقة لصاحبه وهم باطلاقه لولا ان فى عنقه بيعة .

هذه هى خلاصة الحكاية ، وسواء أكانت هذه القصة موضوعة كلا أو بعضا أو لم تكن كذلك فانها من تلك القصص التى تؤلف لتحقيق غرض من الأغراض الاجتماعية أو الخلقية أو السياسية ، لا يعدو الموعظة والدعوة الى المحافظة على منهاج السلف الأول والتحذير من مجاراة بنى أمية فى الترف والفساد والظلم والطغيان^(١) .

انظر عن هذه القصة عيون الاخبار (٢٠٥/١ - ٢٠٦) والمروج (١٦٤/٢ - ١٦٥) ورواية المسعودى اتم من رواية عيون الاخبار وقد اختار ابن خلدون رواية المسعودى ، ويحسن مقابلة النصوص فى القصة المذكورة فانها لا تخلو من الاختلاف .
وراجع عن هروب ولدى مروان وذويهما الى بلاد النوبة والبجة شرح النهج (٢٠٢/٢) .

النسك ورجال الدولة :

ويلاحظ ان هذا الضرب من التمسك بالحشمة والوقار لم يمنع فريقا من مشايخ ذلك العصر ونسائه من غمز صالح بن علي ونقده وانكار ما يحفل به خوانه من فخر الأطعمة والأشربة فهذا ابن قتيبة يحدثنا ان صالحا بعث الى « ابن أبي الحواري » وهو على مائدته في جمع من الفقهاء - وكان ابن أبي الحواري معروفا بالزهد والرقائق - بقدر من النبيذ فشربه ثم بعث اليه بثمان فامتنع من شربه فأخذته الناس بالسنتهم قائلين شربت المسكر على أخاوين هؤلاء وصرت لهم حجة فقال ابن أبي الحواري : احسبكم اردتم ان اكون ممن ذكر الله فقال : « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم » ♦

هذا ما رواه ابن قتيبة^(١) والظاهر ان هذا الصوفي الجريء استساغ تناول النبيذ على مذهب أهل الرأي من فقهاء العراق وجلهم على تحليله واشترط بعضهم عدم الاسراف فيه لأن الاسراف في تناول النبيذ يفضي الى معاقرة الخمرة في كثير من الأحيان ، ولهذا البحث صلة ستطلع عليها في بعض الفصول الآتية ♦

مثال آخر من التقشف :

رأينا في القصة الماضية مثالا من تزمّت الطبقة الأولى من العباسيين وهاك مثالا آخر ضربه عبدالله بن صالح من امراء آل على المقيمين في الاقطار الشامية وقد عاش القوم - كما قلنا - بعيدين عن بغداد وعن مباحج الحياة الناعمة فيها فهم يقيمون في البوادي أو في حواضر أشبه بالبوادي أو مرابطين بالثغور ، ومن هذه الناحية وجدنا غير واحد منهم ينكر على ذويهم المقيمين في العراق انحرافهم عن سيرة سلفهم في التقل والتقشف ويأخذون عليهم الاسراف في المجنون ومعاقرة المسكرات ولنعبر بما قاله عبدالله هذا في احدى زياراته لبغداد وكان قادما عليها من « سلمية » ♦

(١) كتاب الاشربة لابن قتيبة طدمشق (٨٤ - ٨٥) وانظر عن احمد ابن أبي الحواري الدمشقي المتصوف الذي يقول الجنيد عنه : « ريحانة الشام » وعن بعض اقواله كتاب اللمع (٥٣ ، ١٧٨ ، ٢٧١ ، ٢٨٥) وتذكرة الأولياء للشيخ فريد الدين العطار النيسابوري وهو كتاب مشهور عن الصوفية ألفه بالفارسية ففي هذه التذكرة فصل ضاف عن ابن أبي الحواري ونبذة من أقواله (٢٣٨ - ٢٣٩) ط طهران وراجع أيضا طبقات الشعرا ط مصر سنة ١٣٠٥ (٨١/٢) ♦

ويعد عبدالله بن صالح هذا فيما يرى الجاحظ ^(١) بين من لم يكن له نظير من ولد العباس في اصاله الرأي والعلم بشؤون الدولة ورجال الدعوة مع البيان العجيب والغور البعيد .

دخل هذا الأمير العباسي بغداد في خلافة الرشيد فوجدها تزهر باقشب حللها وتعج بمقاصفها وملاهيها الحافلة بروادها فلم تعجبه سيرة ذويه من شباب بنى العباس واستهجن جريهم على منهج يختلف عن منهج آبائهم على ما يقول ، ثم قال : « ما عرف فينا أهل البيت رجل يشرب نبيذا ولا يسمع غناء حتى ولى » ^(٢) .

هذه خلاصة ما جاء في تاريخ بغداد للخطيب ، ومكان اسم الخليفة الذي وردت الإشارة اليه وانه اول خليفة شرب النبيذ وسمع الغناء بياض في أصل النسخة ، ومن المؤلم حقا ان تذهب بسقوط هذا الاسم فائدة تاريخية جلية وشهادة شاهد من أهل البيت العباسي يصح الاستناد اليها في تعيين اول خليفة من هذا الطراز بين خلفاء بنى العباس لأن في تعيينه خلافا بين اصحاب السير والمؤرخين ، ولاشك ان الباعث على اسقاط هذا الاسم سياسى بحث وقد حذا هذا الحذو غير واحد من المؤلفين في تاريخ الدولة العباسية فهذا ابن قتيبة لم يعرض لمجالس الخلفاء في اللهو والشراب وما الى ذلك مما هو مشهور في تاريخ الدولة العباسية .

(١) البيان والتبيين الطبعة الثانية : ٢٦٦ .

(٢) ترجم لعبدالله بن صالح هذا الخطيب في تاريخ بغداد (٤٧٦/٩ - ٤٧٧) .
وما جاء في هذه الترجمة : قدم عبدالله بن صالح في خلافة الرشيد مدينة السلام فدخل عليه أحداث من أهل بيته فرآهم على غير منهاج آبائهم فلما مضوا من عنده تمثل :
سوء التأدب أرداهم وغيرهم وقد يشين صحيح المنصب الأدب
وروى صاحب تاريخ بغداد عن قال : سمعت عند عبدالله بن صالح فذكرنا ما حدث من الاستهتار باللذات فقال « » لقد ادركت من مضى من أهل بيتي يصونون من الدنس اعراضهم ويحفظون من العار أحسابهم ثم خلف من بعدهم خلف كما قال حسان بن ثابت .

انى رأيت من المكارم حسبكم ان تلبسوا حر الشياح وتشبعوا
في أبيات نسبها الماوردي في الاحكام السلطانية الى عبدالرحمن بن حسان
مات عبدالله بن صالح بن علي بسلامية في أرض حمص سنة ١٨٦ .

وعبدالله بن صالح هذا أخباره في كتب الادب والتاريخ ، فمن ذلك هديته الى الرشيد وقد زار الرقة مشفوعة برسالة غنى الادباء والمؤرخون بالاشارة الى بلاغتها وبراعة كاتبها ، وكان الرشيد أول من فطن الى موضع النكتة في هذه الرسالة اذ كانت الهدية موضوعة داخل اطباق نسجت من الخيزران فعدل الكاتب الى استعمال لفظة أخرى هي « القضبان » اعظاما لام الخليفة ، ويلاحظ ان الرشيد اغتبط بملاحظة هذه الكناية ، وينسب بعض المؤرخين هذه الهدية والرسالة الى عبدالمك بن صالح اخي عبدالله المذكور^(١) .

ومن أخبار عبدالله بن صالح بن علي ما رواه الجهشياري أنه استكتب قمامة ابن ابي يزيد مولى سليمان بن علي وكان يكتب لابييه صالح من قبل ثم للقاسم بن الرشيد من بعده ، ولقمامة رسائل مشهورة وبلاغة مذكورة وكان جده أحد من اتبع من صار من الحميمة الى الكوفة من بني هاشم في أول الدولة ، وأشار الجهشياري الى سعاية قمامة هذا بعبدالمك ابن صالح عند الرشيد^(٢) ، ومن أخبار عبدالله ان الامين ولاء قيادة جيشه لقمع بعض الفتن القبلية في الشام بيد ان فتنة الاخوين في بغداد كانت من العوامل التي أدت الى تخبط الشاميين بالفوضى ولم يتسن لعبدالله قمع الفتنة المذكورة^(٣) وعبدالله بن صالح هو الذي رفضت احدى بنات مروان التزوج به لما عفا أبوه عن بقية أهلها بعد أسرها قائلة : « أى اوان عرس هذا ؟ » ويقول المؤرخون ان نساء مروان طلبن العفو والحقهن بحران فأجابهن صالح الى ذلك^(٤) .

المسكرات في تاريخ بنى العباس :

لا شك ان جل خلفاء بنى العباس ولا نستثنى الطبقة الأولى منهم ما كانوا يرون حرجا في تناول الانبذة عملا بفتيا أهل الرأي من فقهاء العراق وهى فنيا معروفة وقد

(١) مروج الذهب للمسعودي (٢ - ٢٠٠) وقارن ما فيه بما ورد عن الموضوع في محاسن الملوك من مخطوطات « طوبقبو » فى الاستئانة .

(٢) كتاب الورزاء والكتاب للجهشياري (٢٦٢ - ٢٦٣ ، ٢٦٥)

(٣) تاريخ الطبرى (١٠ - ١٥٥) وانظر عن قصة بنات مروان هذه كتاب الغرر

للوواط ص ٢٥٥

(٤) المروج (٢-٢٠٦ - ٢٠٧)

عنى مؤرخو بنى العباس حتى القائلين بنزاهتهم وان الشبهة لا ترقى الى سيرتهم بالاشارة الى هذه الناحية ولم يحجموا عن التصريح بان الطبقة الاولى منهم استعنت بحلال النبيذ عن حرام الخمرة على حد ما يقولون ، ومن هؤلاء المؤرخين ابن قتيبة وابن خلدون على ما سنراه •

هذا ما يتعلق بالنبيذ واما الخمر فان فريقا من هؤلاء المؤرخين يميلون الى تنزيه الطبقة الاولى عن معاقرتها على انهم قالوا : ان الطبقة الثانية من اولئك الخلفاء وهى التى تبدأ بالمعتصم ومن يليه ما كانت تخرج من معاقرة الخمرة فضلا عن النبيذ ، وأمر المعتصم والمتوكل والواثق وكثير من ذويهم وابنائهم معروف فى هذه الناحية ، وهذا هو رأى ابن خلدون وقد مر بنا قريبا اشارة الى تعيين أول من تناول النبيذ من القوم بيد ان مكان اسم الخليفة بقى بياضا فى النسخة ، هذا وكلام المؤرخين فى هذا الباب لا يخلو من اضطراب ، ويروى بعضهم ان السفاح اول خلفائهم ما كان يتخرج من تناول النبيذ ، وفيما يلي خلاصة ابحاث المؤرخين فى هذا الموضوع •

رأى مؤلف كتاب التاج :

جاء فى كتاب التاج المنسوب الى الجاحظ شىء من عادات العباسيين فى الشراب من السفاح الى الواثق ^(١) ولم يصرح مؤلف الكتاب بماهىة الشراب ، والمشهور ان الطبقة الاولى منهم اقتصرت على تناول النبيذ المحلل عند القوم • قال صاحب التاج ^(٢) : « كان الرشيد فى اخلاق أبى جعفر المنصور يتمثلها الا فى العطايا والصلات والخلع فانه كان يقفو فعل أبى العباس والمهدى ، » ومن أخبرك انه رآه قط وهو يشرب الا الماء فكذبه وقد كان لا يحضر شربه الا خواص جواريه وربما طرب للغناء » ومعنى هذا ان الرشيد كان يشرب ولا يتظاهر بذلك ، وفى كتب السير قصة

(١) كتاب التاج (١٥٢ - ١٥٣) •

(٢) ص (٣٧ - ٥٣) •

معروفة له مع ابن بختيشوع الطبيب تؤيد الرواية السابقة في تكتمه وانه ما كان يتظاهر يتعاطى المسكرات (١)

هذا ما ورد في كتاب التاج وغيره ولا ندرى كيف نوفق بين هذه الأقوال وبينما كانت عليه بغداد في عصر الرشيد وهي دار السلام وجنة الأرض ، وفيها ما فيها من مسارح اللهو ومجامع السمر ومجالس الاغاني والمنادمة وفيها شيوخ الفن مثل ابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي وابراهيم بن اسحق ، أيجوز ان تخلو تلك المجالس والأندية البغدادية من معاظة المسكرات ومعاقرة الخمر ؟

رأى ابن قتيبة :

يعد كتاب « الاشربة » (٢) من امتع مؤلفات ابن قتيبة ، ورد له ذكر في كتاب عيون الاخبار له (٣) وقد نشأ ابن قتيبة في ارقى عصور الدولة العباسية وفي هذا العصر كان البحث في الاشربة واحكامها شغل الفقهاء الشاغل ولهذا المعنى عنى هذا الاديب الفقيه بتأليف كتابه فيها والاشارة الى مختلف الاقوال والمذاهب وتضارب آراء الناس في الاشربة والانبذة بين محلل ومحرم ومفرق بين أحكامها تبعا لاختلاف أنواعها واصنافها ومتردد بين هذه الاقاويل ، وللمؤلف تعليق لطيف في خاتمة بحث له عرض فيه الى مختلف الاقاويل الفقهية في الشراب يقول فيه : « أجمعوا جميعا على ان تركه خير من شربه والتزّه عنه اسلم في الدنيا والدين واحسن في الاحدوثة وأصون للمروءة خلا رجلين كانا به مغرمين أحدهما من أهل الرأي والآخر من أصحاب الكلام وهو تسويل النفس ومساعفة الهوى وتربص الشيطان (٤) ».

هذا هو تعليق ابن قتيبة ومهما كان الامر فان مذهبه تحليل النبيذ وهو القائل في ديباجة كتابه المذكور (٥) « حرم الله بالكتاب الخمر وبالسنة المسكر وعوضنا عنهما صنوف

(١) انظر عن هذه القصة مروج الذهب (٢/١٩١) وعيون الأنباء (١/١٢٩) .

(٢) ط دمشق سنة ١٣٦٦ .

(٣) العيون (١/٣٢٥) ط القاهرة .

(٤) كتاب الاشربة ٨٨ .

(٥) كتاب الاشربة (١٦) .

الشراب من اللبن والعسل وحلال النبيذ » ، ومن أقواله « في حلال النبيذ عوض عن الخمرة » ، ويلاحظ ان ابن قتيبة يروى ما يروى عن فضايح الامويين في الادمان والمعاقرة وما الى ذلك ويسكت عن ما تلى العباسيين حتى المعاصرين له من القوم ولا عجب فانه ربيب الدولة لذلك نراه يروى بعض أخبار المنصور والمأمون في التشديد على السكارى واحتقارهم واخذهم بالحدود الشرعية ، وفي كتابة^(١) إشارة الى أن المأمون كان يتناول النبيذ على قلة وفيه أيضا ان أكثر فقهاء اهل الكوفة ويقصد بذلك أهل الرأي ومن سلك سبيلهم على التحليل .

تناول ابن قتيبة في فصل آخر من كتابه جرائم المسكرات ومعاقرة الخمر والابذة وسوء مصرعها وكثرة موبقاتها صحيا واجتماعيا الى غير ذلك ، ومما جاء له في هذا الباب ، : « ومعاقرة الخمر تؤدي الى افشاء السر والتعرض للحرم وغير ذلك من الفضايح التي اودت بحياة كثير من المدمنين وأفضت الى زوال النعمة وسقوط المنزلة وربما بلغت جنابة الكأس الى عقب الرجل ونجله ، ومن شربة النبيذ الشطار والخلعاء والمجان حملتهم الكأس على المجون وحملهم المجون على ركوب الكبائر معلنين وايتان الفواحش مجاهرين ، ويروى قول من قال : « شهر المتعاشرون على الشراب بسوء العهد وقلة الحفاظ وانهم اصدقاؤك ما استغنيت حتى تفتقر وما عوفيت حتى تنكب وما غلت دنانك حتى تنزف وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك »^(٢) ، وفي هذا الباب رواية تاريخية طريفة رواها اسحق الموصلي للجاحظ وقد سألته عن احوال خلفاء بنى العباس في الشراب والغناء والموسيقى فتحدث عن احوالهم من السفاح الى المعتصم بالحديث المذكور^(٣) .

رأى ابن خلدون :

عنى ابن خلدون عناية بالغة بتنزيه العباسيين وكثير من رجال دولتهم عما نسب اليهم في الحكايات والروايات التاريخية من ضروب الاستهتار وطروق المنازل وتسور الاسوار

(١) كتاب الأشربة (٥٢) .

(٢) انظر الصفحات الآتية من كتاب الأشربة (٣٧ ، ٤٤) وراجع فصلا في احكام النبيذ والخمر والحد في ذلك للماوردي في الاحكام السلطانية ١٩٩ .

(٣) يراجع عن هذا الحديث الاغانى ط دار الكتب (٢٨٦/١ - ٢٨٧ ، ٣٠٩) وراجع عدة مواضع من الجزء التاسع من الطبعة المذكورة .

ومعاقرة المسكرات ، وهذه الحكايات فيما يرى هذا المؤرخ حكايات مدخولة واخبار واهية ، ويعلل ابن خلدون وضع هذه الاخبار عن الرشيد والمأمون ويحيى بن اكنم وعن العباسية والبرامية وعن بوران وغير هؤلاء بتلقين المجان والمستهترين من الاخباريين والقصاص وضعها بعض هؤلاء طلبا للترخص في انتهاك الحرمات ومقارفة الموبقات •

يجرى ابن خلدون في مناقشة هذه الاخبار وتمحيص الروايات المذكورة على طريقته المعروفة في فلسفة التاريخ فالخبر يحتمل الصدق والكذب فلا ينبغي التسليم بصحته مطلقا قبل عرضه على الاصول والمقاييس ورده الى النظر السليم وتحكيم العقل ، فللحوادث اسباب وللكائنات سنن وللواقعات شواهد لا بد من حمل الروايات عليها ، وكثيرا ما تورط المؤرخون والمفسرون في الاوهام ووقعوا في الاغلاط في اعتمادهم على المنقول لانه منقول وعدم الاعتداد بالمعقول •

شرح ابن خلدون طريقته في تمحيص تلك الروايات وتفنيد ما يراه واهيا أو مدخولا منها أو مختلعا في تاريخ الدولة العباسية قائلا : اذا اعتبرنا سيرة هؤلاء الخلفاء من الرشيد والمأمون وسلفهما وما كانوا عليه من صحبة العلماء ومفاوضة الاولياء ومحاورة العلماء واذا اعتبرنا ما يروى عنهم من اداء الفروض واطلاعهم على الاحكام الفقهية واذا عرضنا هذه الحكايات على هذه الصفحة من سيرة القوم لم يسهل علينا الوثوق بما قيل عنهم في الروايات المذكورة من عدم المبالاة بارتكاب كثير من الاوزار ايسرها معاقرة الخمرة واستماع الاغانى مع انهم على ثبج من اجتناب المذمومات والتخلق باخلاق العرب ، وحالة العرب في اجتناب المسكرات والتقزز من معاقرتها متعالة مأثورة حتى في الجاهلية •

يتخلص ابن خلدون من ذلك الى ان القوم كانوا يتناولون الحلال من النبيذ عندهم وانما كان الرشيد يشربه على مذهب بعض الفقهاء في العراق ، واما الخمر الصرفة فلا سبيل فيما يرى ابن خلدون الى اتهامه بها ولا الى الوثوق بالاخبار الواهية المنقولة في هذا الباب ولم يكن هذا الخليفة بحيث يقترب منكرا من اكبر المنكرات عند أهل الملة ، ولماذا يأمر الرشيد بسجن أبي نواس أشهر شعراء عصره ولماذا يستعطفه هذا الشاعر ويرغب اليه في الافراج عنه باشعار سارت بها الركبان ورواها القاصي والداني ، أليس ذلك تأديبا لأبي نواس على ادمانه واستهتاره في تعاطي المسكرات ؟ وهكذا يقول ابن خلدون فيما

نسب إلى المأمون من هذا القبيل وابن يقع ذلك من خليفة عرف بغزارة علمه ومناظرته للعلماء وحفظه للحدود •

يقف ابن خلدون عند المأمون في تنزيهه وتنزيه كثير من أعوانه عن المعاقرة ويزعم ان صلة قاضية يحيى بن اكثم ورابطته الوثيقة به رابطة لا ترتقى إليها الشبهة فهي رابطة روحية وان كان ابن اكثم يتعاطى الشراب الا ان شرابه النيذ • ولا يثق ابن خلدون بما ينقله الاخباريون عن الخلوات والمجالس المريبة والعريضة المشينة التي نقلت عن المأمون وقاضيه المذكور •

الا ان خلف المأمون ما كانوا بمنجاة من ذلك اى من الانغماس في الترف في مأكلهم ومشربهم وملبسهم وزينتهم فانهم قوم خرجوا عن مناهج سلفهم في ذلك ولم يسعهم الا الخروج على ما يقول ابن خلدون لبعدهم بالبداءة والبساطة التي كان سلفهم عليها ثم لا تنقل الدولة الى مرحلة بعيدة الشوط في سلم الحضارة •

يقول ابن خلدون في هذا الصدد : اتفق المؤرخون الطبرى والمسعودى وغيرهما على أن جميع من سلف من الخلفاء انما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف واللجم والسرج وان أول خليفة احدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد •

بهذه الطريقة وعلى هذا الشكل من فلسفة التاريخ وتمحيص الروايات وعرضها على الموازين الصحيحة فيما يراه هذا المؤرخ وعلى ما جرت به العادات واقترته العقول ينفى ابن خلدون عن العباسيين الاول ما نسب اليهم في بعض القصص والحكايات التاريخية وبهذه الفلسفة والطريقة نفسها يفند مطاعن الطاعنين بأنساب الخلفاء الفاطميين وبأنساب الادارسة العلويين أصحاب الدولة في المغرب الاقصى وفي بحثه عن نسب الادارسة يقول : ففراش ادريس طاهر من الرجس بحكم القرآن ومن اعتقد خلاف ذلك فقد باء بائم وبهذا الاسلوب يدحض ابن خلدون ما رواه الاخباريون واصحاب السير عن ارم ذات العماد وجملة من أخبار التبابعة والاكاسرة وبهذا المعنى الفلسفى في نقد التأريخ يبطل ابن خلدون كثيرا من الروايات الموضوعة والقصص المتحلة فيما يراه •

والحق ان المؤرخين ليسوا على وفق في هذه الناحية فان النويرى الصق بالمأمون

وبيحي بن أكرم كل ما نفاه عنهما ابن خلدون بعد ذلك وطبقة النويرى أقدم من طبقة ابن خلدون بيد ان ابن خلدون يتميز بنقد التاريخ والتاريخ فيما يراه علم ودراسة وليس مجرد رواية للسير والاعيان * ويلاحظ ان النويرى فى فصل عقده لذكر من شرب الخمر واشهر شرابها من الخلفاء والاكابر والاعيان^(١) ، لم يسم خليفة من الخلفاء المتقدمين على المأمون ولكنه عد بعد طبقته جماعة من خلفائهم فى المغنين والملحنين كالوائق والمتنصر ابن المتوكل كان جيد العلم بالغناء والمعتز بالله والمعتمد له يد بالغناء وصنعة حسنة غنى اصواتا^(٢) وغنى صاحب النهاية ببحوث عن احكام المسكرات •

أحكام المسكرات فى فقه الامامية :

ومن المفيد ان نختم هذا البحث عن المسكرات فى تاريخ الدولة العباسية بكلمة عن الانبذة والمسكرات فى فقه زاخر بالاحكام هو فقه الامامية ، فالفقهاء المفتون على مذهب العترة أو أهل البيت مجمعون - ولا عبرة ببعض الآراء الشاذة - على انه لا فرق بين الخمر والنبيذ فى شئ من الاحكام لا فى شرب الكثير ولا فى شرب القليل ولا يختص التحريم عندهم بما أسكر بل يحرم وان قل طبقا للقاعدة الشرعية المشهورة ما اسكر كثيره فقليله حرام ولا يتعلق بنوع دون غيره من الانبذة بل يشمل نبيذ التمر ويسمى « الفضيخ » ونبيذ العسل ويسمى « البتع » ونبيذ الذرة ويسمى « المزر » ونبيذ الشعير ويسمى « الجعة » و « الفقاع » ومن اوفى المراجع فى البحث عن تلك الاحكام كتب الشيخ ابى جعفر الطوسى المصنفة فى الحديث وفى مقدمتها « التهذيب » و « الاستبصار » ومن كتب الفقه كتاب « السرائر » « لابن ادريس » و « اللمعة » وشرحها للشيخين الشهيدين الى كتب اخرى كثيرة وتجد بحوثهم فى أحكام المسكرات فى باب « الاطعمة والاشربة » من الكتب المذكورة •

بين التبذل والوقار :

لعل أروع ما يحكى من القصص الجامعة التى قارنت بين الترف والخشونة والتبذل

- (١) نهاية الارب (٩٢/٧) ولا شك ان النويرى فى بحشه ناقل عن أبى الفرج الاصفهاني فى الاغانى الكبير •
(٢) المصدر نفسه ١٩٧

والوقار في تاريخ الدولة العباسية ما اتفق لعبدالمملك بن صالح في منزل جعفر بن يحيى البرمكى ، والقصة معروفة تناقلها غير واحد من أصحاب السير والتاريخ طورا مع القصد والايجاز وتارة مع الاطناب والمبالغة ولم يفت اولئك المؤرخين من قداماء ومتأخرين ان يمهّدوا لرواية هذه القصة بكلمة عن عبدالمملك نعتوه فيها بالجد والتزمت وانه أبعد أمراء الدولة عن مجالس اللهو والغناء والشراب ولم يعرف عنه انه لبي دعوة الى ذلك حتى اذا دعاه الرشيد على ما قالوه ووصف بانه فصيح بليغ ذو هبة ، والواقع ان عبدالمملك بن صالح هو الامير الذي انتهت اليه زعامة آل علي في عصره عصر الرشيد واولاده - كما ستره - وهو قائد من الطراز الاول في العصر المذكور وزعيم ثائر كانت روحه تضطرم بالثورة على الرشيد والمأمون ، ومن هذه الناحية نكل به الرشيد واوشك ان يريق دمه ثم زجه بالسجن وأوثقه بالقيود ولم يفرجوا عنه حتى مات الرشيد ، ويرد بعض المؤرخين هذه النكبة الى اصرار الرشيد على ادخاله في جملة ندمائه وعزوفه عن ذلك ، ويقولون ان الرشيد أنفق في طلب منادته اموالا جلية فلم يفعل لانه على جانب لا يستهان به من الوقار والدين والحشمة^(١) وفي رواية ابى الفرج الاصفهاني^(٢) : كان عبدالمملك بن صالح الهاشمي من جلالة القدر والتكشف والامتناع عن منادمة أمير المؤمنين على امر جليل ، وكان الرشيد قد اجتهد أن يشرب معه أو عنده يوما فلم يفعل رفعا لنفسه ، وهو قول لا ينهض على صحته دليل والحق ان الرشيد كان معنيا به جدا قبل النكبة المذكورة بل كان اكثر من ذلك بين ثقة الخليفة المذكور ، وللبرامكة دخل في ذلك لانهم كانوا يخشون بادرته وأثره في الدولة فيدارونه ويزكونه ، وكان هو لا يننى عن الاتصال بهم لقضاء حوائجه فتقضى مهما كانت خطيرة كما تدل عليه قصته المعروفة مع جعفر البرمكى فانه ذهب الى أبعد حدود المحاسنة والمجاملة مع البرمكى فشرب في منزله ولم يعرف عته تناول المشروب قبل ذلك قط ، ولو كان عبدالمملك بن صالح يستسيغ الشراب لشرب مع الرشيد الذي أراده على ذلك غير مرة فاصر على الامتناع - على ما يقال - ، ومن رأينا ان هذا الامتناع لسبب آخر وهو مخافة الرشيد ولا نظن رجلا يستجيب الى منادمة البرمكى ثم يمتنع عن منادمة الرشيد .

(١) انظر الآداب السلطانية لابن الطقطقى ١٥٢

(٢) الاغانى (٤٠٧/٥ - ٤٠٨)

تعنى القصة المذكورة حصول الامير الهاشمى فى منزل الوزير البرمكى فى مفاجأة غريبة وبدون اذن لان لجعفر بن يحيى قهرمانا اسمه عبد الملك ايضا ، وكان البرمكى مع بعض خاصته اذا انتظمتهم مجالس شربهم يحرصون جدا على كتمان أمرهم عن الامير الهاشمى المذكور لمكان سنه وأدبه وتزمته ولذلك ساءهم وكدر عيشهم مفاجأة عبد الملك لهم على تلك الحالة ، كؤوس تدور وعيدان تخفق وقيان تغزف الى غير ذلك من آلات الترف والحضارة والنعيم •

بادر الامير من فوره الى الاستجابة والاندماج بالقوم كما لو كان واحدا منهم فتلا فى بذلك حراجة الحالة ، وكان صنيع عبد الملك وما أظهر من ظرف وفتوة وكياسة باعنا على الدهشة فتهللت الوجوه وطابت النفوس وزالت الكلفة وكانت له حوائج ومطالب خطيرة لم يبرح المنزل حتى ضمن صاحبه على الرشيد قضاءها بدون استئذان •

تعتبر هذه الحكاية من حكايات السمر فى تاريخ البرامكة والدولة العباسية لا أكثر من ذلك، وهى والحق يقال حكاية يعوزها عنصر الخيال ولم يقصد من حبكها غاية معينة فهى تختلف عن قصة ملك النوبة مع ضيفه الاموى التى مر ذكرها^(١)، وقد تخلل سرد الحكاية

(١) يبدو لنا ان المسعودى صاحب المروج الذى لخصنا تلك القصة عنه من المؤرخين المعنيين جدا بتسجيل ملاحظاته السياسية والاجتماعية سواء ما كان منها له أو لغيره من الاخباريين مثل الهيثم بن عدى والمذائنى والمنقرى وغير هؤلاء ، وكانت القصة السابقة مروية عن الربيع بن يونس وهناك ملاحظة سياسية قيمة رواها المنقرى ووردت فى المروج (٢-١٣٩) على الصورة الآتية :

« ذكر المنقرى قال : سئل بعض شيوخ بنى أمية ومحصيلهم عقب زوال الملك عنهم الى بنى العباس ما كان سبب زوال ملككم ؟

قال : اننا شغلنا بلداتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا فظلمنا رعيتنا فيئسوا من انصافنا وتمنوا الراحة منا وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمها عنا وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعادينا فتظافروا معهم على حربنا وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا وكان استتار الاخيار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا • وقال المسعودى فى مكان آخر من المروج (٢/١٣٢) نقلا عن بعض الاخباريين ان السواس من بنى أمية ثلاثة معاوية وعبد الملك وهشام وان النصور كان فى أكثر اموره وتدبيره وسياسته متبعا لهشام فى أكثر أفعاله لكثرة كشفه عن أخبار هشام •

تنويه بسلطان البرامكة ونفاذ كلمتهم في ديوان الخلافة واشادة بمظاهر الترف والحضارة في منازلهم^(١) ، هذا من جهة وتفيض القصة من جهة اخرى بوصف منزلة الامير الهاشمي في محافل الدولة ووصف شمائله واخلاقه خصوصا من ناحية تقشفه وعزوفه عن المشاركة في مجالس اللهو والغناء حتى ما كان منها عند الرشيد^(٢)

غربة الروايات :

هؤلاء هم الامراء من آل علي الذين روى أصحاب السير والتاريخ اخبارهم في التزمتم والوقار على شكل لا يخلو من المبالغة ، وليس من السهل تصديق كلما ورد عنهم فيها ، ومتى كان المقيمون في الشام من آل علي متقشفين الى ذلك الحد وهم الذين اقتنوا الاملاك والضياع وشيدوا القصور الفخمة في الشام خصوصا في جهات حلب الى حدود

(١) انظر عن وصف قصر جعفر بن يحيى البرمكي الذي عرف باسمه كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (١٨) ووصف الاصمعي بعض قصور البرامكة وصفا رائعا تجده في طبقات الشعراء لابن المعتز (٩٧) ، ولياقوت فصل جامع بلغ الغاية في وصف « قصر جعفر » وتاريخه وتحديد موضعه وسبب بنائه ، قال ياقوت وهو يبحث عن « التاج » من أشهر دور الخلافة : « كان اول ما وضع من الابنية بهذا المكان قصر جعفر بن يحيى ابن برمك وكان السبب في ذلك ان جعفر كان شديد الشغف بالشرب والغناء والتهتك فنهاه أبوه يحيى فلم ينته فقال ان كنت لا تستطيع الاستتار فاتخذ لنفسك قصرا بالجانب الشرقي واجمع فيه ندماءك وقيانك وقض فيه معهم زمانك وابعد عن عين من يكره ذلك منك فعمد جعفر فبنى بالجانب الشرقي قصرا موضع دار الخلافة اليوم واتقن بنائه وانفق عليه الاموال الجمة » ، هذا ما جاء في معجم ياقوت عن سبب بناء القصر المذكور ويلى ذلك وصف أثنائه وكيفية انتقاله الى المأمون ثم الى من يليه من الخلفاء واحدا بعد آخر وما استضافوه الى أصل القصر المذكور وهو من أجود ما كتبه ياقوت في وصف قصور بني العباس من أول انشائها الى عصر المؤرخ ، انظر المعجم (١/١٠٨-١٠٩) .

(٢) من أقدم روايات هذه القصة رواية الجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب (٢١٢ - ٢١٤) وأبى الفرج في الأغاني (٤٠٨/٥ - ٤٠٩) وابن عبدربه في العقد الفريد ط الجمالية (٢٦٧/٣ - ٢٦٨) وابن خلكان في الوفيات (١٠٦/١) والفخرى في الآداب السلطانية ط الرحمانية (١٢٢ - ١٢٣) والابشيهي في المستطرف (١٥٣/٢ - ١٥٤) وكل رواية تختلف عن الاخرى ، وفي بعضها زيادات واضافات ، وبعض الاخباريين يرفع الحديث الى ابراهيم بن المهدي وبعضهم الى اسحق الموصلي ، الى غير ذلك من وجوه الاختلاف في اسماء الاعلام وفي المعاني والالفاظ ، ويلاحظ ان رواية الجهشياري أقرب الروايات الى القصد والاعتدال .

الروم فهم أصحاب العواصم والثغور في الشمال وهم أصحاب « سلمية » و « الرملة » في الوسط والجنوب بل هم ورثة الدولة الاموية في الشام بعد خلفاء بغداد، وقد رأيت كيف كانت مائدة صالح بن علي الهاشمي حافلة بما لذ وطاب وكيف يشرب عليها النبيذ ، وقد مر بك ما مر عن بستان عبدالله بن صالح وما أهداه من فاكهتها للرشيده ، وكيف نسلم بجميع ما قيل عن تقشف عبدالملك وعزوفه عن الملاهي ومجالس الغناء ، وعبدالملك هو الذي ابتاع « عنان » جارية الناطقي بمئات الالوف وكان ابو نواس يظهر لها التعشق واعطاها مولاها مالا جليلا وطلبها الرشيد فلم يبعها ثم باعها من عبدالملك بن صالح الهاشمي^(١) ، هذا وامر عنان مشهور في التطرف

والتأدب ولها شعر لطيف ، فكيف يصح تصديق جميع ما روه عن هذا الامير من التنكر للملاهي وهو يدفع ذاك المبلغ الطائل في شراء هذا القينة .

لذلك ينبغي قبل التسليم بصحة الروايات على علاقتها ان نقلها غربلة وتمحيصا وان

نعرضها على المقاييس والموازين السليمة .

هذا وغاية ما يمكن ان يقال عن آل علي هؤلاء انهم ورثة السجاياء الحربية وحب المغامرة ومظاهر الرجولة عن سلفهم ، وكان غير واحد منهم يفضل ان يعيش عيشة الجندي ويعمل عمله فلا يفارق السلاح ولا يخلد الى الدعة فنشأوا على الصرامة والشدة ، وفي أخبار صالح بن علي وابنه عبدالملك وغيرهما من ذويهم عبرة وفيها شواهد على براعتهم في الفنون الحربية وستقف على ذلك في موضعه من هذا الكتاب ، وليس هذا من التقشف البالغ في شيء ، والغالب ان القوم اخذوا بحظهم من العيش الرغيد وان لم يبلغوا في ذلك شأوا ذويهم المقيمين في بغداد .

سلطان التشريع وسلطان التنفيذ :

تناولنا في الفصل السابق ناحية من نواحي الجد والتزمت التي نعت بها نزلاء الشام

(١) كتاب الورقة لابن الجراح (٣٩-٤١) وانظر (٢٩ - ٣٤) وكتاب اخبار ابي نواس لابن هفان ط القاهرة (٤٥ ، ٧٩ ، ٨١ ، ١١٠-١١٢) وكتاب الوزراء والكتاب للجهمشياري (٢٠٤ - ٢٠٥) وتجد اخبار عنان في الاغانى ومختصر طبقات الشعراء لابن المبارك وفي جملة من كتب الادب والتاريخ .

من آل علي ناحية المحافظة على الوقار والحشمة وعدم الاسراف في اللهو والمرح وسنتناول في هذا الفصل ناحية أهم من الاولى واقوى في دلالتها على مذهب القوم في هذا الشأن نعى بذلك محاولة التوفيق بين سلطان التشريع وسلطان التنفيذ وتوخى ضرب من السياسة الشرعية والوقوف عند حدها في بعض الحالات والاستئناس بأراء ذوي الشأن في العلم والفتوى في بعض النوادر والواقعات •

لم يرغب هؤلاء الامراء ان تكون اجراآتهم في واقعات معينة اجراآت شاذة ولا تصرفاتهم تصرفات شخصية لذلك نراهم يفرعون الى رأى طبقة معروفة من كبار الفقهاء المعاصرين لهم ، ومن هذا القبيل ما جرى لصالح بن علي وولده عبد الملك بن صالح وهما واليا مصر والشام والثغور مما حفظه لنا المصنفون في كتب الفتوح والمؤلفون في السياسة الشرعية وفي مقدمتهم ابن سلام في كتاب الاموال والبلاذري صاحب فتوح البلدان فقد روى كل منهما أخبار هذين الاميرين وكيف ان صالح بن علي حارب اهل لبنان واجلاهم في حدث أحدثوه فكتب اليه الاوزاعي ينكر ذلك في رسالة طويلة أكد فيها هذا الفقيه احترام المواثيق والالتزام بالمعاهدات والنهي عن عسف المعاهدين أو أهل الذمة وتكليفهم ما لا يطاق (١) •

يقول البلاذري في هذا الصدد ما نصه : « حدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك فوجه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس من قتل مقاتلتهم وأقر من بقى منهم على دينهم وردهم الى قراهم وأجلى قوما من اهل لبنان فحدثني القاسم بن سلام ان محمد بن كثير حدثه ان الاوزاعي كتب الى صالح برسالة طويلة حفظ منها ما أورده ابن سلام في كتاب الاموال » (٢) ثم كان بعد ذلك حدث من

(١) كتاب الاموال (١٧٠ - ١٧١) وفتوح البلدان (١٧٦-١٧١).

(٢) تجد نص هذه الرسالة في كتاب الاموال (١٧٧) للقاسم بن سلام وهو استاذ البلاذري وعنه يروى الرسالة المذكورة في فتوح البلدان ويختلف نص كل من هاتين الروايتين عن الاخرى ورسالة الاوزاعي في كتاب الاموال أطول ولكنها في فتوح البلدان أصح وان كانت أقصر وفيها يقول الاوزاعي « قد كان من اجلاء اهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن مماثلنا لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم ووردت باقيهم الى قراهم ما قد علمت =

أهل قبرص في عهد عبد الملك بن صالح المذكور وهو على الثغور فعزم على محاربتهم والتكيل بهم إذ كان من رأيه أن ما أحدثه القبرصيون ضرب من النكت بالعهد بيد أنه فضل الرجوع إلى أهل الفتوى أو الكبار من فقهاء عصره فدارت بينهم وبين هذا الأمير مكاتبات ومجاوبات تضمنت آراء متضاربة واحكاما مختلفة إلا أن من أمر بالكف عن القبرصيين والوفاء لهم - وإن غدر بعضهم - أكثر ممن أشار بالمحاربة (١) .

هذا وتتميز لهجة الفقهاء في رسائلهم المذكورة بالقوة والمتانة وبعدها عن الملق والمداهنة إذ حوسب فيها هذا الأمير ونوقش رأيه في تلك الواقعة مناقشة دقيقة ، ومن المفيد أن أبا عبيد القاسم بن سلام عقد في كتاب الأموال فصلا مشبعا عنوانه : « أهل الصلح والعهد ينفكون . متى تستحل دماؤهم ؟ » ضمنه خلاصة الرسائل التي بعث بها زمرة من أشهر فقهاء العصر المذكور في هذا الموضوع ، ومن الطريف أيضا أن مصنف كتاب الأموال هذا استخرج الوثائق المذكورة من سجلات الدواوين العباسية وعنى بدراسة غناية حسنة خرج منها بأن أكثر أولئك الفقهاء نهى عن محاربة المعاهدين من القبرصيين واللبنانيين بسبب أحداثهم المذكورة إذ لا تؤخذ العامة بجناية الخاصة بل تؤخذ الخاصة بجناية العامة كما رأينا في رسالة الأوزاعي ، هذا ومن خالف الأوزاعي في رأيه الليث بن سعد وابن عيينة فقد كانا إلى الشدة ، ومما جاء في رسالة الليث « أن أهل قبرص لم نزل نتهمهم بالغش لأهل الإسلام والمناصحة لأهل الروم وقد قال الله تعالى « وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ لهم على سواء » ولم يقل لا تنبذ إليهم حتى تستبين خيانتهم واني أرى أن تنبذ

= فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم ، إلى آخره » ، والأوزاعي ومذهبه من المذاهب الفقهية البائدة له مواقف جريئة يضلح في بعضها مع الأمويين فمن ذلك موقف له مع الأمير عبد الله بن علي أخى صالح لما استولى على الشام وقتل بنى أمية قتلا ذريعا في قصة مشهورة حيث انكر الأوزاعي قتلهم في مجلس الأمير حتى أمر بإخراجه وقد تحدث الأوزاعي نفسه عن قصته المذكورة .

(١) إليك أسماء هؤلاء الفقهاء نقلنا عن ابن سلام والبلاذري ، مالك بن أنس ، سفيان بن عيينة ، موسى بن أعين ، ابن عياش ، يحيى بن حمزة ، الفزاري ، مخلد بن حسين ، ولكل من هؤلاء رسالة إلى عبد الملك بن صالح أشار عليه فيها برأيه كما تجد ذلك في كتاب الأموال وفتوح البلدان .

اليهم ثم ينظروا سنة يأتمرون الخ » ، ويقول سفيان بن عيينة « انا لا نعلم النبي عاهد قوما فنقضوا العهد الا استحل قتلهم غير أهل مكة فانه منّ عليهم وانما كان نقضهم الذي استحل به غزوهم ان قاتلت حلفاؤهم من بنى بكر حلفاء رسول الله من خزاعة ، ومن الفقهاء الذين نهوا عن الحرب فى الواقعة مالك بن أنس وموسى بن أعين وابن عياش ويحيى بن حمزة وغير هؤلاء ، وموضع العبرة فى هذه الدراسة هو أخذهم بقاعدة الفصل بين السلطات حتى لا تطغى سلطة على حدود أخرى ، ولا يخفى ان السلطة التى كان يتمتع بها هؤلاء الفقهاء الذين ناقشوا رأى عبد الملك بن صالح لم تكن من قبيل السلطات القضائية وانما هى من صميم السلطات التشريعية ، ويلاحظ ان هذه السلطة كانت تتمتع باستقلال لا يستهان به ، ومن هذه الناحية رأينا اولئك الحكام يفرعون الى مشاورة كبار الفقهاء واساتذة التشريع للنزول على آرائهم فى بعض النوازل والوقائع فان الحكام اذا طغوا واستكبروا ألبو عليهم الامة واستفزوا السواد الاعظم من الناس . ومجمل القول : : تبوأ هذه الطبقة من الفقهاء منزلتها الرفيعة بين طبقات الدولة بحيث لا يفتات عليهم فى رأى حتى رأينا صلاحياتهم تتسع للاعتراض على اجراءات الولاة والحكام ومناقشتهم الحساب فيما اشكل واعضل من الاحداث ، وجدير بالفقهاء والمتصدين للافناء ان يقفوا على سيرة السلف فيما اتفقوا عليه او اختلفوا فيه ليتبعوهم فى الاجماع وليجتهدوا رأيهم فى مورد الخلاف وذلك برد الفروع الى الاصول واستنباط الاحكام للنوازل وتمييز الحق من الباطل ، وبهذا الاسلوب المتبع فى الفقه والاجتهاد وفى الاحكام المستفادة من ذلك سنن واصول حرة بالولاة ان يأخذوا بها وأن يعتبروها دستورا لا مناص من العمل به فى الوقائع .

هكذا نرى نظام الحكم المتبع فى هذه الحوادث غير بعيد عن احدث النظم الديمقراطية وهكذا ترى فرقا بين المنهجين منهج الخلفاء ومنهج اعمامهم آل على فى ذلك وقد اوقفناك - فيما مر - على منهج آل محمد وفى مقدمتهم أبو جعفر المنصور وكيف رأيناهم اشداء غير رحماء بكثير من فقهاء عصرهم ونساک زمانهم وانهم قلما فزعوا اليهم فى الملمات ، فالمنصور أمر بضرب مالك بن أنس حتى خلعت كتفاه وفعل ما فعل بأبى حنيفة وآدى من آذى من الفقهاء لانهم لم يكونوا على وفاق معه ، ولك أن

تعدّ ذلك من وجوه الخلاف ومن جملة الفوارق البعيدة بين الخلفاء وأعمامهم المذكورين .

قتال أهل القبلة :

احتج ابن سلام ، لرأى القائلين بالتوقف عن قتال اللبنانيين والقبرصيين بما روى عن الامام علي بن أبي طالب في مقتل صاحبه عبدالله بن خباب بن الاثرت قتل الخوارج وكيف تريث في القتال وكيف راوض وصابر وكيف أراد القوم على تسليم القتلة فاعترفوا بانهم جميعا شركاء في ذلك الدم المراق وبذلك جاز للامام قتال القوم وقد تضمن الفصل المشار اليه من كتاب الاموال جانبا من فقه الحرب وتشريع القتال قتال البغاة والمخالفين من أهل القبلة وقتال الناكثين والمعاهدين من أهل الذمة ويقول بعض الباحثين ان الامام علي رأس المشترعين في هذا الباب وان سيرته في حرب الخوارج وحرب من حارب من أهل القبلة مثال يحتذى في ذلك ، ويقول الشافعي - على ما حكاه ابن أبي الحديد - لولا علي لما عرفنا الفقه في قتال أهل القبلة ، وعقد ابن سلام فصلا آخر في حكم الفئ وحق الخوارج فيه عند الامام علي ما لم يظهروا الحرب احتج فيه بكلمة قال الامام علي فيها : « لكم علينا ثلاث » منها اعطاء الفئ ، وهي كلمة مشهورة جاءت في نهج البلاغة أيضا وفي هذا البحث يقول ابن سلام : « أفلا يرى ان عليا رأى للخوارج في الفئ حقا ما لم يظهروا الخروج وهو مع هذا يعلم انهم يسبون ويبلغون منه أكثر من السب الا انهم كانوا مع المسلمين في أمورهم ومحاضرهم حتى صاروا الى الخروج » (١) .

وفي فصل آخر يروي ابن سلام اخبار الامام في زهده وتوفير الفئ للمسلمين وايتارهم به وما كان يصنع بيت المال وبالتحف المهداة اليه

نهج الامام علي نهجه في حرب الخوارج وحرب بني ناجية الذين فارقوه بعد وقعة النهروان فلم يبدأ بقتال ولم يقدم على اراقة دم علي « قنطرة البردان » حتى قتل صاحبه عبدالله بن خباب وزوجته شر قتلة ، واكثر من ذلك قتل رسله الى القوم في طلب القصاص من القتلة .

(١) كتاب الاموال (٢٣٢ - ٢٣٣) .

يعتبر مقتل ابن خباب مفتاح حرب الخوارج في المدائن والنهروان اذ احتج الامام بمقتله وبالامتناع عن تنفيذ القصاص وبقرار القوم بأنهم جميعا مسؤولون شركاء في اراقة الدم ، وسعد عبدالله هذا من اخلص اصحاب الامام وقصة مقتله مروية في امهات كتب التاريخ ، وله ولايه اخبارهما في كتب الطبقات •

لعبده الله هذا رؤية^(١) ولايه صجبة كما جاء في مصطلحات المحدثين ، وقد استعمل خباب على غنائم بدر في قول ، ويعد فيما يقوله كثير من أهل السير والباحثين في الطبقات في اوائل الصحابة الذين استجابوا الى دعوة الاسلام ، وقد امتحن في

(١) له ترجمة في طبقات ابن سعد (٢٥٢/٥) جاء في آخرها « ربقتله وقتل أم أولاده استحل على قتال الخوارج » وانظر عن مقتله وعن بعض احواله واحوال الخوارج معه تاريخ الطبري (٤٦/٦ - ٤٩ ، ٥١ - ٥٢) والكامل للمبرد (١١٦/٢ - ١١٧) ومروج الذهب (٢٦/٢) والنيبه والاشراف (١٩٩) وكلاهما للمسعودي ، والتبصر في الدين للاسفراييني (٢٧) ، وكتاب المعارف لابن قتيبة (١٣٧) والاخبار الطوال (٢٠٩) والامامة والسياسة (١٥٣/١ - ١٥٤) وتاريخ بغداد للخطيب (٢٠٥/١ - ٢٠٦) وعقد مؤلفه الحافظ ابو بكر الخطيب فصلا عنى فيه بتسمية مشهورى الصحابة او الذين ادركوا النبى ووردوا المدائن أو النهروان وشهدوا حرب الخوارج مع الامام على قال في آخره « هذا آخر ما انتهى اليه حفظنا وجميع ما احاط به علمنا من تسمية مشهورى اصحاب رسول الله الذين وردوا المدائن ولكل واحد منهم عندنا من الاخبار ما لو ذكرناه لطال به الكتاب واتسع فيه الخطاب لكننا سلكنا فيما رسمناه سبيل الاختصار » ، يراجع تاريخ بغداد (١٣٣/١ - ٢٠٦) ، هذا وقد عنى سادات أهل البيت كالامام جعفر بن محمد وعمه زيد بن علي بن الحسين وعبدالله بن الحسن ومحمد ابنه بتسمية من شهد من الصحابة مع على حرب النهروان ونقل ذلك الخطيب في تاريخه المذكور ، ومن ترجم لعبدالله هذا ابن عبد البر في الاستيعاب قائلا : ذكره الخطيب في التاريخ ، ويلاحظ أن مصنف تاريخ بغداد ومصنف الاستيعاب من ابناء عصر واحد توفيا معا في سنة واحدة هي سنة ٤٦٣ ، ومن ذلك تعلم خطر حركة النشر والتأليف في القرنين الرابع والخامس والا فكيف يصل تاريخ الخطيب الى الاندلس في حياة مؤلفه المذكور ، ومن المؤرخين والباحثين الذين عنوا جدا بأخبار عبدالله بن خباب وحرب النهروان بعد ذلك ابن الاثير في الكامل وابن أبى الحديد في شرح النهج ، ويراجع منهج المقال للاستربادى ففيه ذكر له •

ايمانه حتى ذاق الامر من قسوة المشركين (١) فهو مثل أعلى في صدق العقيدة .
هكذا قتل عبدالله بن خباب ثم ان الامام عليا ما قاتل الخوارج الا بعد الاعذار
اليهم واقامة البينة عليهم ، واخباره في مجادلة القوم واستجواب الخوارج والاحتجاج
عليهم وخطبه وكتبه معروفة (٢) ، وقد رويت له كلمات قوية تهز النفوس وخطب غراء
تعد نموذجا في البلاغة القاها في فترة المشادة والخلاف المذكورة ، وهو القائل في وصف
هؤلاء الخوارج : « عصابة اخرجتها عداوة المرء واللجاجة وصدها عن الحق الهوى
وطمح بها النزق » الى كلمات أخرى مروية في كتب الاخبار .

حالف الامام - والحق يقال - شيء غير قليل من النجاح في وعده ووعيده وفي
ترغيه وترهييه وفي عظاته ونصائحه حيث تأثر من تأثر من الخوارج بذلك وتوقف من توقف
عن حربه متفرقين في البلدان غير جماعة اصرروا على القتال ، ولما التقى الجمعان قال علي
لاصحابه : « كفوا عن القوم حتى يبدأوكم » فلم تقع الواقعة حتى بدأ الخوارج ثم
انتهت بآبادتهم على الوجه المعروف ، والواقع أن لهذه الخارجية نظرات زائغة وآراء شاذة

(١) خباب بن الارت صاحب رسول الله ، انظر عن الطبقة التي اسلم معها وعن
قصة عمر قبل اسلامه معه سيرة ابن هشام ط مصر (٢٦٩/١ ، ٣٠٨ ، ٣٦٦) وعن
مهنته في مكة وقصته مع العاص بن وائل السهمي ونزول الوحي بهذه القصة المصدر
المذكور (٣٢٨/٢) وفي نسب خباب علي ما جاء في كتب السير والانساب قولان :
قيل من تميم وقيل من خزاعة ، وذكره ابن سعد في عداد الصحابة البدرين وترجم له
ترجمة واسعة في الطبقات (١١٦/٣ - ١١٨) وأشار ابن سعد الى نسبه وانه اصابه
سبأ في الجاهلية فبيع وقد امتحن في اسلامه وكان من المستضعفين الذين عذبهم أهل
مكة حتى برص جسده ، وبذلك اصبحت له مكانة كبيرة عند الصحابة ، مات خباب
سنة ٣٧ هـ في الكوفة ، وذكر الخطيب اسمه بين أسماء من سكن الكوفة من الصحابة
(٢٠/١) ، ونجد لابن الارت ترجمة في الاستيعاب (٣٦٠/١) كما نجد كلمة بليغة
فيه للامام علي في النهج وشرحه (٢٦٣/٤) وانظر المصدر المذكور (٢٠٦/١ - ٢٠٧ ،
٢١٦ - ٢٥٢) وكتاب صفين للمنقرى ط مصر (٣٦٨ ، ٥٨١ ، ٦١٠) ولخاب عقيب
اقاموا في الكوفة على ما ذكره المؤرخون .

(٢) تاريخ الطبري (٢٤٧/٦) وشرح النهج (٢٠٦/١ - ٢٠٧) والكمال للمبرد
(١١٦/٢ - ١١٧) .

واخبارا غريبة مليئة بالمتناقضات فبينما نراهم لا يتحرجون من سفك الدم الحرام بدون حجة او بينة حتى ضربت الامثال باستعراض الخوارج لسواد الناس لا يبالون من قتلوا اذ نراهم يرون في تناول ثمرة هوت من عذق نخلة أو في قتل خنزير وما الى ذلك من الاعمال المباحة جريمة لا تغتفر^(١) ثم انقسم الخوارج بعد ذلك الى فرق يكفر بعضهم بعضا كما يكفرون غيرهم من المسلمين •

حكم المعاهد أو المرتد اذا حارب :

هذا ومن المسائل الفقهية التي تناولتها اقوال الفقهاء مسألة يتكلمون فيها عن حكم المرتد أو الذمي اذا حارب ، ومن الفتن المشهورة في خلافة الامام علي فتنة بنى ناجية وزعيمهم الخريت ومفارقتهم لعل ومخالفتهم عليه واحتدام الحرب بين اصحابه وبين القوم ، ويشبه هذه الفتنة من بعض نواحيها خلاف أهل لبنان وقبرص مع صالح بن علي وابنه عبد الملك ، ومن حكاية فتنة بنى ناجية^(٢) ومن الاجراءات التي اتخذت تعرف

- (١) تجد الإشارة الى بعض تصرفاتهم المتناقضة في الكامل للمبرد (١٣٥/٢) •
- (٢) بنو ناجية وزعيمهم الخريت بن راشد الناجي كانوا من جملة اصحاب علي الذين شهدوا صفين والنهروان ثم فارقوه مرتدين الى النصرانية دين آبائهم ، وينتسب بنو ناجية الى « سامة بن لوى » من امرأته ناجية ، قال المسعودي : « وكثير من الناس ينكر ذلك قائلين ان سامة بن لوى ما أعقب » وقال بعض الاخباريين غير ذلك ، ومجمل القول في نسب بنى ناجية وهل يصح عدّهم في قريش ؟ اقوال ، قول لابن الكلبي وآخر لهيثم بن عدي ، ومن رأيهما ان سامة مات ولم يعقب ، وثالث الاقوال للزبير بن بكار صحح نسبهم الى رهط من قريش يسمون : « قريش العازبة » لخروجهم الى البحرين ، ويعلل ابو الفرج الاصبهاني ميل الزبير بن بكار الى هذا الرأي بأنه من المعروفين بالانحراف عن علي ، انظر شرح نهج البلاغة (٢٦٢/١ - ٢٦٣) قال المسعودي في المروج : « ولست ترى ساميا الا ملحرفا عن علي ، ومن ذلك ما ظهر من علي بن الجهم الشاعر السامي من التعصب والانحراف ، واخباره في هذا الباب واهاجيه وانتسابه الى سامة معروفة في كتب التاريخ والادب ، تجد عمود نسب علي بن الجهم متصلا بسامة بن لوى في الاغانى (٢٠٣/١٠) وفي ترجمة والده الجهم بن بدر من تاريخ بغداد للخطيب (٢٤٠/٧) ، وفي معجم الشعراء للمرزباني (٢٨٦) وشرح النهج (٢٦٢/١) ووفيات الاعيان (٣٤٩/١ - ٣٥٠) ويلاحظ أن ابن الجهم يكثر من الاعتزاز بنسبه في شعره =

مذاهب الفقهاء واقوالهم في حكم المرتد أو الذمي اذا حارب ، ويستتبع من سيرة الامام على في خلاف المخالفين له مثل خوارج النهروان ومرتدة بنى ناجية انه لا يأخذ على التهمة ولا يعاقب على الظن ولا يقاتل الا من قاتله وناصبه وأعلن عداوته ثم لا يقاتل الا بعد الاعتذار والا بعد الدعوة الى الحق ، قال مرة لمن اشار عليه بأخذ بعض المتهمين بخلافه ومفارقته : « لقد كان ينبغي لك ان اردت قتلهم أن تقول لى اتق الله بهم تستحق قتلهم ولم يقتلوا احدا ولم يخرجوا عن طاعتك » (١) وتحدث مرة الى بعض اصحابه الذين رغبوا اليه أن يأخذ الخريت زعيم بنى ناجية قائلا : « لو فعلنا هذا بكل من يتهم لملائنا السجون ولا أرانى يسغى الوثوب بالناس وعقوبتهم حتى يظهروا الى الخلاف » . وقد منع الماوردى في الاحكام السلطانية الى ناحية من سيرة الامام مع خوارج النهروان وكيف انه اوضح لهم فساد ما اعتقدوه وبطلان ما ابتدعوه ليرجعوا عنه وكيف وادعهم ما كانوا موادعين الى ان قتلوا عامله وأبوا أن يسلموا قتله فسار اليهم وقتل اكثر الخوارج المذكورين بيد أن الماوردى لم يشأ اشباع البحث في قصة الامام

= ومن ذكر قريش وفروعها ذاهبا الى توكيد نسبه بهذه القبيلة مدفوعا الى ذلك بعقدة مستحكمة في نفسه وما أحسن قول البحتري في هذا الباب :

اذا ذكرت قريش للمعالي فلا في العير انت ولا النفير

ويروى المسعودى في السخرية بمن ينتمى الى سامة بن لوى هذه الابيات

لعل بن محمد بن جعفر العلوى :

وسامة منا فأما بنوه	فامرهم عندنا مظالم
اناس أتونا بأنسابهم	خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصى	وكل اقاييله محكم
اذا ما سئلت فلم تدر ما	تقول فقل : ربنا أعلم

تجد قصة بنى ناجية ومقتل زعيمهم الخريت ومن معه من المرتدين في مروج الذهب (٢٨٠/٢) وفي الاغانى ، ومن اوفى المراجع فى أخبارهم وذكر مختلف الاقوال فى انسابهم شرح نهج البلاغة (٢٦٢/١ - ٢٧٢ و ٢٦٥/٤) هذا ولبنى ناجية ذكر فى حرب الجمل فقد استماتوا فى قتال اهل الكوفة ، يراجع عنه المصادر المذكور (١٠٣/١) ط بيروت فلا عجب اذا خالفوا الامام فى حرب النهروان بعد حرب البصرة ، وعلى كل حال فان نسب بنى ناجية مطعون فيه .

(١) شرح النهج (٢٧١/١) .

على والخوارج وانما ألم بالموضوع المأمة خفيفة في الاحكام السلطانية (١) .
تشريع القتال والسياسة الشرعية :

احتج ابن سلام - كما رأيت - على من اجاز لصالح بن علي قتال اللبنانيين والقبرصيين بسيرة الامام على مع الخوارج قائلا : انه لم يستجز قتالهم بما احدثه بعضهم حتى اتحلوه جميعا فكان الواجب على الامير العباسي أن ينتظر حتى يتحل اللبنانيون كافة ما حدث في لبنان ، هذا وفي مفارقة المرتدين من بني ناجية وفي المنهج الذي نهجه على معهم ومع غيرهم من أهل القبلة قبل ذلك وفي انكار عدد غير قليل من مشاهير فقهاء العصر العباسي ما انكروه على بعض الامراء العباسيين عبرة ، ومن ذلك تعرف الغرض من تشريع الحرب والقتال ، وقد ظلم الاسلام من زعم انه دين القوة القاهرة واقتري عليه من قال انه قام بالسيف فقط ، فما الاسلام الا رسالة سماوية نزلت على خاتم المرسلين هي رسالة التوحيد والرفق والرافة ولم تستخدم القوة على عهد الرسول الى مدة غير قليلة للمبادأة بالعدوان وانما اضطر المسلمون الى القتال ، وقد قال بعض الباحثين في موضوع الجهاد : يحرم قتال من لم تبلغهم دعوة الاسلام ويحرم أخذهم على غرة .

قواعد العلاقات الدولية في الاسلام :

هذا وفي الاساس الذي تبنى عليه العلاقات الدولية في الاسلام قولان ، اولهما : ان هذا الاساس عبارة عن الحرب والجهاد ، وثانيهما : ان أساس علاقة الدولة الاسلامية بغيرها من الدول لا تخرج عن الاسس التي تبنى عليها العلاقات الدولية المعروفة وان الشريعة تجنح للسلم لا للحرب وانها شريعة تحظر قتال مخالفيها لمجرد كونهم مخالفين ما لم يبدأوا بالعدوان ، وقد شرع الاسلام قتال المشركين لانهم بالغوا في مقاومة الدعوة وسد الطرق في سبيلها وفتنة المسلمين عن دينهم بالايذاء والتعذيب ، والفرق واضح بين

(١) عقد الماوردي في الباب الخامس من الاحكام السلطانية فصلا عنوانه : « في الولاية على حروب المصالح » كقتال أهل الردة وأهل البغى وقتال من امتنع من المحاربين وقطاع الطريق ألم فيه بقصة الخوارج ، انظر ص (٤٧) من الكتاب المذكور .

القولين فإن تشريع القتال على القول الاول يعنى انه وسيلة من وسائل نشر الديانة ولكنه فى القول الثانى ضرب من الدفاع عنها فمن لم يقاوم الدعوة ولم يبادىء بقتال حقن دمه ، ويميل غير واحد من الباحثين فى السياسة الشرعية الى الاخذ بالرأى الثانى ويحتجون له بجملة من الآيات القرآنية وبأقوال غير واحد من العلماء ، ويتضح من دوران كلمة « السلم » وتحية « السلام » ودعوة القرآن اليه وترجيح الصلح فى الخصومات ان الاسلام لا يأبى مسالمة من لا يدينون به بشرط عدم المقاومة للدعوة وانه لا مانع يمنع أية دولة اسلامية من أن تنتظم بينها وبين غيرها من الدول ولو كانت غير اسلامية شتى العلاقات من تجارية وسياسية او تعقد موثيق صداقة وحسن جوار •

هكذا كان المسلمون فى خير عصورهم وقد شذت بعض الدول الاسلامية وبعض امراء المسلمين عن هذا المنهاج بعد ذلك فى بعض حروبهم وفتوحهم التى دفعتهم اليها طبيعة الملك والقوة والاستطالة ، ومهما كان الامر وسواء أكان القتال الذى جرى بين المسلمين وغيرهم ضربا من الدفاع أو جهادا فى سبيل الدعوة الى الحق بعد تبليغها وردها أو كان القتال نوعا من الهجوم فان احكام الحرب التى حتم الشرع الاسلامى مراعاتها من خير ما عرف فى تاريخ التشريع الحربى قديما وحديثا ، أى فى القوانين الدولية الحديثة ، وذلك لتخفيف ويلات الحروب ، وكان رسوخ العقيدة ويقظة ضمائر المسلمين خير ضامن لتنفيذ تلك الاحكام والوفاء بها وبما قطعه قادة المسلمين على انفسهم فى عصور الفتوح من عهود لاهل البلاد المفتوحة وهى عهود حفيلة بمعانى الرفق والمروءة ومظاهر التساهل والسماحة فما أبعد الفرق بين وفاء المسلمين ونكت غيرهم بعهودهم فان المواثيق فى نظر كثير من الدول الفرنجية ليست أكثر من حبر على ورق كما شاهدناه فى الفترة الواقعة بين الحربين الكونيتين الاولى والثانية اذ حفلت هذه الفترة بكثير من حوادث الغدر والخيانة وانتهاك حرمة العهود والحاق الاذى بغير المحاربين •

هذه بعض الاسس التى روعيت فى تنظيم العلاقات الدولية فى الاسلام أو فى تشريع الحرب والجهاد فليست الغاية من تشريع الجهاد فى خير عصور الاسلام عصور المجد والقوة ازهاق الارواح واراقة الدماء ونشر الخراب والدمار وانما الغاية دفع

الشر وحماية الدعوة ونشرها في الآفاق ، وقد شهد فريق من اعلام المؤرخين غربيين وشرقيين للمسلمين وللعرب الفاتحين بأنهم اعدل الشعوب الفاتحة واحسنها معاملة لاهل البلاد المفتوحة .

هكذا اضطلع الائمة وورثة علومهم واعلام الفقهاء والمجتهدين في الدولة الاسلامية باعباء السياسة الشرعية وهكذا نهضوا بالمهام التي تنهض بها السلطات التشريعية والهيئات النيابة ، فقهاؤها الاعلام من ذوى الملكات القدسية هم المرجع في دراسة النصوص واستنباط الاحكام الشرعية منها لما يجد من نوازل وواقعات ومطالب وحاجات .

لذلك كان سد باب الاجتهاد من أهم عوامل الجمود وتخلف السلطات التشريعية في حاضر العالم الاسلامي وقصورها أو تقصيرها عن مواكبة الزمن في سيره الحثيث وتيسير مصالح الامة في شتى نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ومن هذه الناحية أعنى الجمود وسد باب الاجتهاد التجأت بعض الحكومات في الشرق الاسلامي الى اقتباس قوانين امم غير مسلمة والعمل بأحكامها ، والسر كامن في تقصير بعض المسلمين وجمود بعض المتفقهة لا في قصور التشريع في الاسلام .

لعل السلطة التشريعية في الاسلام أفضل سلطة دستورية لو أحسنوا اختيار رجالها من بين اعلام الفقهاء ولو عينت سلطاتهم من حيث مراقبة شؤون الدولة ، ولم تعرف في صدر الاسلام قاعدة الفصل بين السلطين التشريعية والتنفيذية ولا يجوز اطلاقاً أن يكون قوام السلطات التشريعية فريقاً من الجهلة القاصرين أو المتهاكلين على الجاه الزائف أو الذين مات فيهم شعورهم بالمسؤولية كما نرى ذلك في بعض الاقطار المغلوبة على أمرها اليوم ، اذ ليس من المتيسر لهؤلاء مراقبة السلطات الاجرائية ومناقشتها الحساب .

حدث القبرصيين والبنانيين :

حدث احدثه اللبنانيون وآخر أحدثه القبرصيون في ولاية الاميرين صالح وابنه عبدالمك تخلصها قتل وقتال وبطش ونكال اقام قيامة جمهرة من الفقهاء واساتذة التشريع

وأثار كثيرا من البحث والنقاش فما هي حقيقة هذين الحداث وفي أى تاريخ وقعا ؟ ،
من هو عامل خراج بعلبك الذى شكاه اللبنانيون الى صالح بن على قبل الواقعة ؟
لم يرد فى امهات كتب التأريخ بحث شاف عن ذلك ، لم يشر اليه الطبرى
والمسعودى وابن الاثير وطبقتهم من المؤرخين مع أن كتبهم حافلة بتاريخ الدولة
العباسية وما جد فيها من احداث ، وقد اكتفى كل من أبى عبيد ابن سلام فى كتاب
الاموال والبلاذرى فى كتاب الفتوح - لانه من أصحاب ابن سلام المعينين بالرواية عنه -
باشارة اجمالية فلم يزيدا فى تعريف « الحدث » على أنه « حدث » ولو لم يعن المؤرخ
ابن عساكر بالتأليف فى تأريخ دمشق الشام وفى جملته احداث هذه العصور لبقيت
فى عداد الاخبار الضائعة ولما تيسر لنا الاطلاع على حقيقتها قط وهكذا ظفرنا بهذه
الضالة بعد أن اضننا طول البحث والتقيب ، انفرد ابن عساكر فى تأريخه^(١) بتسجيل
ثورة اللبنانيين فاذا هى ثورة على الدولة العباسية شق اللبنانيون فيها عصا الطاعة وعلنوا
تمردهم على ولاية الامر تحذوهم رغبة ظاهرة فى الانفصال وتكوين دولة قوامها لبنان
وما اليه من المناطق الساحلية والجزر القريبة منها مثل قبرص^(٢) فان هذه الجزيرة
قريبة من لبنان ، ولذلك وقع اختيارهم على واحد منهم نصبوه ملكا والبسوه التاج كما
جاء فى تأريخ دمشق المذكور^(٣) .

(١) انظر مذهب تاريخ دمشق (٣٤١/٥) .

(٢) تقع قبرص فى الزاوية الشمالية الشرقية من بحر الروم على بعد ستين ميلا
من بيروت ويحتلها الانكليز ولا تنقطع مطالبة الاروام بها وكثرة سكانها منهم ويليه
الاتراك وفيها آثار اسلامية وتمتاز قبرص ببهجتها وخصبها وجمال مناظرها فهى بلد
الربيع المعشوشب والازاهير الفواحة .

(٣) قال ابن عساكر فى ترجمة « رياح بن عثمان المرى » : « ولى امرة دمشق
لصالح بن على الهاشمى امير مصر والشام من قبل المنصور ، ومن الوقايح فى زمن رياح
أن الروم دخلوا طرابلس ثم ظهر فى لبنان رجل من أهل المنيطرة شاب ممتلئ الجسم وذلك
فى سنة اثنتين أو سنة ثلاث واربعين ومائة وسمى نفسه الملك ولبس التاج وأظهر الصليب
واجتمع عليه انماط من جبل لبنان وغيرهم ثم استفحل امرهم فسبوا بعض قرى البقاع
فقتلوا المسلمين وأخذوا ما وجدوا وكتب « بندار الملك » الى أهل بعلبك يعلمهم بمصيرهم
ويأمرهم بقتالهم فتأهبوا وقتلهم فى أسفل جبل لبنان ثم اظهروا الهزيمة فامعنوا فى =

ومن المحتمل جدا ان هؤلاء الثوار اتصلوا بالروم البيزنطيين وطلبوا منهم الحماية والمعونة ولا يبعد أن يكونوا مدفوعين الى الثورة من قبل الروم فهي ثورة تكمن وراءها دسائس البيزنطيين ولا شك أن لهم ضلعا فيها •

ليست هذه اول حادثة فى تاريخ النزاع بين الروم البيزنطيين والعرب فان دسائس الروم ومكائدهم لم تنقطع خلال الصراع العنيف بين الفريقين من صدر الاسلام الى أواخر عصور الدولة العباسية وهى دسائس بدأت بعد فتح الشام وتغلغل المسلمين الفاتحين بعد ذلك فى مغازيهم الى قلب المملكة البيزنطية فى دولة الامويين والعباسيين فقد توغل العرب فى بلاد الروم او ما يسمونه « آسية الصغرى » اليوم حتى اجتازوا المضائق والدروب المشهورة ففتحوا أمنع حصون الروم مثل « حصن لؤلؤة » وفتحوا « عمورية » واستولوا على بعض موانئ البحر الاسود مثل « صامسون » ويلاحظ أنهم يقفلون عائدين الى قواعدهم من الجهات التى يقرس فيها البرد ويشتد الزمهرير ليستجمعوا فى الاقاليم الدافئة فقد حكم المسلمون قبرص ومالطة وصقلية وغير ذلك من جزر البحر الرومى مدة غير قصيرة لدفعها وملاءمة مناخها البحرى لامزجة القوم ومن الامور المألوفة أن لا تخلوا الجزر والجبال الواقعة على تخوم البلاد الاسلامية - كجزيرة « قبرص » وكجبل « اللكام » ويسمى اليوم جبل « طورس » وهو الجبل الشامخ المطل على المسالح أو الثغور الاسلامية المعروفة من « انطاكية » وما الى ذلك من الجهات الفاصلة بين المملكتين البيزنطية والعباسية من قوم سذج طالما خدعهم القياصرة وقوادهم واستخدموهم للنكاية بالمسلمين وطالما تسللوا من جبل « اللكام » او سواحل البحر الرومى او جزره الى لبنان والشام طورا من قبرص وتارة من

= الطلب فلما بعدوا عن الجبل كرت عليهم خيل بعلبك فقتلت منهم مقتلة عظيمة وانهزم بقيتهم ثم انهم هاجموهم فى قلعتهم فظهروا عليها وامتلكوها منهم وهرب « بندار » الى بلاد الروم فكتب حينئذ صالح بن على يأمر باخراج من بقى من الجبل وتفريقهم فى بلاد الشام » ، هذا ما قاله ابن عساكر ويلاحظ انه لم يشئ الى ما جرى من النزاع والنقاش الفقهى الذى ذكرناه فى هذه القضية ، اما المنيطرة التى خرج منها الملك المزعوم فانها حصن بالشام قريب من طرابلس على ما جاء فى معجم البلدان لياقوت •

طرابلس ومرة من شمال سورية حيث يجدون في هذه الجهات مأوى واعوانا لهم ، وقد حالف النجاح هؤلاء الاروام في بعض هذه الحوادث بيد انهم فشلوا في أكثرها فان الامراء الفاتحين في صدر الاسلام والولاة من بعدهم تمكنوا من محاربة فريق من رعايا الروم ومن اخلاط الامم المقيمة في بلادهم برا وبحرا طورا بعقد المواثيق وتارة ببذل الاموال فجعلوا منهم ادلاء وربايا على الروم يوافونهم باخبارهم ، وفي كتب التاريخ والفتوح والبلدان ذكر لقوم يسمونهم « الجراجمة »^(١) وبلدتهم « الجرجومة » ، وفي هذه الكتب أيضا ذكر لصقابة الثغور الرومية ، ولعل الجراجمة تناسلوا من اصلاب اولئك الصقابة صالحهم المسلمون بعد الفتح على أن يكونوا عوناً للمسلمين وعيوناً واستخدمهم العباسيون وقبلهم الامويون للوقوف على أخبار الدولة البيزنطية ، ومجمل القول : كان هؤلاء الجراجمة مذبيين طورا يلتزمون بمواثيقهم وتارة ينكثون فيكاتبون الروم ويمالؤونهم ، وقد عني الجانبان عربا وروما بموقع « الجرجومة » من جبل « اللكام » ومضايقه الجبلية الوعرة وما دونها من تلك الثغور كثغور الجزيرة وثغور الشام ، وكانوا يعنون كثيرا بمرمة تلك الحصون وضبطها وشحنها بالمرابطين لما في ذلك من عظيم الغناء والكبت والوقم للعدو فيما يحاول ويكيد . وموقع الجرجومة وما اليها له خطورته من الناحية الحربية ، وقد نقل العباسيون قبيلة « الزط »^(٢) من

(١) انظر عن الجراجمة واحوالهم والجرجومة بلدهم فتوح البلدان (١٦٦ - ١٦٩) وانظر ص ١٧٤ من كتاب الاموال لابن سلام ومادة الجرجومة من معجم البلدان ، وانظر أيضا اقوالهم في جبل « الحور » ونواحي الغمق وبعض اعمال انطاكية ، وراجع ابن خرداذبة ط دي خوبة عن اقاليم الروم ومسالكهم وانسب الفصول لغزو اراضيهم وما جاورهم من الامم كالبرجان أو البرجار أو البلغار والسلاف والخزر ، انظر عن حملة الروم على زبطرة واشتراك السلاف والبلغار في حملة تيوفيل عليها ما ورد عن عصر المعتصم في تأريخ الطبرى والمسعودي واليعقوبى وابن الاثير وابى الفرج ابن العبرى وغير هؤلاء .

(٢) انظر تأريخ الطبرى وابن الاثير عن نقل هذه القبيلة الى عين زربة وعن بطش الروم بهم وأسرهم وسبى نسائهم واطفالهم وغنيمة مالهم من اموال .

العراق للمرابطة فى بعض تلك الثغور تجاه الصقالبة والجراجمة واسكنوهم فى عين « زربة » ♦

كانت لقياصرة الروم سياسة خرفاء من شأنها اضطهاد الطوائف ومقاومة المذاهب والطرق المخالفة لطريقتهم الرسمية وهى الاورثوذكسية وكانت الدولة ترغم كثيرا من رعاياها على ترك عقائدهم والا فلا مناص لهم من الاضطهاد وقد هلك جمع غفير من رعايا الروم فى هذا السيل ومنهم من أبعدوه الى ما وراء الحدود سواء ما كان منها فى الجزيرة أو فى سورية حيث رحب المسلمون بهؤلاء اللاجئين واکرموا وفادتهم وادمجوا كثيرا منهم فى جيوشهم فأسهموا فى حملاتهم وغزواتهم ، ولعل منهم اولئك الجراجمة فقد سار المأمون ومعه ابنه العباس لغزو الروم يصحبه الاجىء الرومى « منويل » (١) ، ويقول المؤرخون ان المأمون عبر المضائق والدروب حيث حاصر حصن « لؤلؤة » مائة يوم وتمكن من الاستيلاء عليه ولذلك نوه غير واحد من المؤرخين بجهاد المأمون فى الروم كالطبرى والمسعودى واليعقوبى وآخرين من المؤرخين ♦

عاد هذا التعصب الاعمى بعوائده الحسنة على المسلمين فى جل العصور العباسية والاموية قبلها والحق اضرارا بليغة بالروم فانه ترك حدودهم شاغرة فى كثير من الاحيان بعد ان كان هؤلاء الرعايا حماة الحدود المذكورة والفرق بعيد جدا بين الروم والمسلمين من هذه الناحية فقد كان وفاء المسلمين بعهودهم ومواثيقهم مضرب الامثال ومن هذه الناحية ولما رأى المسيحيون المضطهدون وفاء المسلمين لهم وحسن سيرتهم بهم صار كثير منهم اعوانا لهم على البيزنطيين ♦

رياح بن عثمان المرى أمير الشام :

ردت ولاية مصر والشام الى الامير عبدالله بن على ثم الى أخيه صالح فور انقراض الدولة الاموية ، وفى مصر كانت قاعدة الامارة المذكورة ، وكان صالح يعنى بحكم الشام بواسطة امراء ينصبون من قبله ، وفى سنة ١٤٢ أو السنة التى تليها عهد بولاية

(١) انظر تاريخ الطبرى عن هذه الغزوة ♦

الشام الى أمير مشهور بعنفه وصرامته يقال له « رياح بن عثمان بن حيان المرى » ورياح هذا فيما يبدو لنا من ثنايا التاريخ ينتمى الى اسرة حاكمة اضطلعت باعباء الحكم منذ العصر الاموى ، فأبو رياح عثمان بن حيان ولى امرة المدينة فى عهد سليمان بن عبد الملك ، والغالب ان رياحا أخلص الاخلاص كله للعباسيين الاول لاسيما عندما كان أميراً على دمشق وتوابعها ، وكانت لبنان تابعة لولاية دمشق فى العصر المذكور ، وبالجملة أخلص رياح اخلاصاً حمل الخليفة أبا جعفر المنصور على الثقة به واستكفاه لقمع ثورة اللبنانيين حيث نجح فى قمعها ثم ولاء المدينة فى عصر عصيب جداً كانت مدينة الرسول فيه تتمخض عن ثورة كبيرة عجز الولاة عن اعتقال قادتها عبدالله الحسن وأولاده واتباعهم فانهم قوم لا ينافسون فى جاههم ومنزلتهم فى الديار الحجازية وفى اقطار أخرى يسيطر عليها العباسيون ، ولما لاحظ المنصور ان ولاته على المدينة ينقصهم الجد فى طلب ابناء الحسن للأسباب السالفة عزلهم واحداً فواحداً عزل زيادا الحارثي بمحمد بن خالد بن عبدالله القسرى ثم عزل القسرى بريح بن عثمان المرى فأبلى بلاءه فى طلب القوم الى أن ثاروا عليه فقتلوه^(١) ، وقد علق المنصور على رد امرة المدينة الى رياح فى هذا العصر آمالاً جساماً ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح خلافاً لما اتفق له فى الثورة اللبنانية .

قد يقال : لماذا اطمأن العباسيون الى ولاية رياح وأبوه عثمان من ولاة بنى أمية ، والغالب ان آل رياح انقلبوا فيمن انقلب على الدولة الاموية فى أواخر أيامها منضمين الى الحركة الهاشمية مخلصين فى الانضمام اليها ، والظاهر ان المنصور - وهو من المعجبين برجولة هشام - أراد ان يكون له فى المدينة - وال من طراز الحجاج ، ويلاحظ ان رياحا لم يقصر فى النسيج على منوال الحجاج فى سيرته المعروفة مع أهل العراق^(٢) ، وكان يخطب فى أهل المدينة فيتهدد ويتوعد ويتهم الناس بالمروق والعصيان ويدعوهم الى طاعة الخليفة ويتوعددهم اذا حادوا عن ذلك ، وكانت لهجته فى بعض خطبه شبيهة بلهجة

(١) انظر عن تهاون ولاة المدينة فى طلب بنى الحسن مذهب تاريخ دمشق (٣٦٢/٧) والنجوم الزاهرة (٣٥٢-٣٥٥) والصفحات (٩٢-٩٣ ، ١٠٣ ، ١٠٤) من هذا الكتاب .
(٢) راجع عن أخبار رياح فى المدينة المقاتل ط الحديث (١٩١ ، ١٩٦ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٦٠ - ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ٢٨٨ ، ٣٩١ - ٣٩٢) ، وفى تاريخ الطبرى وابن الاثير جملة صالحة من هذه الاخبار .

الحجاج فيما ألقاه من خطب هناك كأنه الحجاج على منبر الجامع في الكوفة .
هذا ، والواقع ان رياحا لم يأل جهدا في مطاردة بنى الحسن وبث العيون على
العلويين الثائرين وبخاصة النفس الزكية ، طارده في السهول والجبال وفي الحاضرة
والبادية . ضيق عليه في كل مكان حتى انهما كانا يلتقيان في أماكن قريبة فلا يعرف
أحدهما الآخر لبراعة النفس الزكية في التكر ، وقد قتل له ولد بتهوره من احد
الجبال في جهات المدينة ، ثم ان رياحا هو الذي ملأ السجون من أنصار محمد بن
عبدالله وهو الذي اخرج زعماء الدعوة العلوية الى الربذة بأمر المنصور وكان
المنصور قدم الحجاز حاجا في الظاهر ولكنه اضمر الفتك بغرمائه من بنى الحسن
وأوليائهم من الهاشميين والحجازيين فعذبهم في الربذة ثم نقلهم الى العراق حيث
ترجوا في سجن الهاشمية فهلك من هلك منهم فيه في قصص مثيرة مشهورة اندلعت على
أثرها نيران الثورة العلوية ، ويقول المؤرخون ان هذا الضرب من التضييق على محمد
اضطره الى اعلان الثورة قبل أوانها فغلب رياح على أمره في المدينة واخذ ثم قتل شر
قتلة ثم جاء دور النفس الزكية فغلب على أمره على يد موسى كما مر ذلك
ما أكثر الأدلة على صرامة رياح هذا وفي مقدمتها - مضافا الى فعلاته في الحجاز
والشام - الحكاية الآتية :

« اتى عمر بن عبدالعزيز باغيلة من أولاد المهالبة لم يبلغوا الحلم وكان عنده
رجاء^(١) بن حياة الكندي ورياح بن عثمان المرى فقال عمر لرياح : ما تقول في هؤلاء
الاغيلة ، قال ، أقول : كما قال نوح عليه السلام : « رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا » ، فالتفت عمر الى رجاء قائلا : ما تقول أنت ، فقال : ما سبيلك على
هؤلاء الاغيلة الذين لم يبلغوا الحلم ولم تجب عليهم الاحكام ، فأخذ بقول رجاء فلما
خرجا قال رياح لرجاء : ان الله خلق رجالا للشر ، وهذا منهم ، وخلق رجالا للخير

(١) انظر عن رجاء بن حياة ونسبه وأحواله مذهب تاريخ دمشق لابن عساكر
(٣١٢/٥) ففيه ترجمة وافية له وهو ممن اتصل بهشام بن عبد الملك وغيره من امراء
بنى امية ، ويقال انه أدرك معاوية وقدم الكوفة وتوفي سنة ١١٢ ، ولرجاء هذا ترجمة
في طبقات ابن سعد .

وانت منهم» (١) فهذا الرأي من رياح يدل على قسوته المتناهية فاذا كان المهلب بن أبي صفرة قد فارق بني امية وخالفهم فما ذنب صبيان ابرياء غير مكلفين من المهالبة ، وعلى كل فقد كان رياح زعيم قيس في عصره ، وكان يقرب الشعراء ولما قتل رثاه ابن ميادة بمقطعات استنهض بها آل المرى واستجاشهم للاخذ بشاره ، وهي أبيات تنم عن اكباره لرياح وصلته الوثيقة به (٢) .

آل المرى في تاريخ الادب والسياسة :

ورت الامير رياح شدته وغفه فيما ورثه عن أبيه عثمان بن حيان المرى اذ عرف ابوه هذا بالجور والشدّة يقرن في التاريخ بالحجاج بن يوسف وبأخيه محمد بن يوسف وبالوليد في الشام وبولادة جائرين غير هؤلاء ، ولهذا ضج عمر بن عبدالعزيز من سيرته وسيرة غيره من ولادة الجور والعسف في العصر الاموي ، ولما ذكر له ظلم الحجاج وغيره من ولادة الامصار أيام الوليد بن عبد الملك صرخ قائلاً : « الحجاج بالعراق ! ، وقرة بن شريك بمصر ! وعثمان بن حيان بالمدينة ! ، وخالد بمكة ! ، ومحمد بن يوسف باليمن ! ، اللهم قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً فأرح الناس ، والواقع ان سيرة عمر بن عبدالعزيز فذة بين سيرة الامويين حتى ان بعض ولاته على المدينة أنفذ الحد على عثمان بن حيان مرتين فلما مات عمر شكّا ابن حيان ذلك الى خلفه يزيد وطلب ان يقيده من ذلك الوالى ففعل ولم يكتف بذلك بل عمد يزيد الى ابطال كل ما صنعه عمر بن عبدالعزيز من الترفيه عن الناس ومحاولة اصلاح بعض الولايات وغير ذلك مما لم يوافق هوى يزيد فغير آثاره غير مبال ولا خائف من شناعة عاجلة أو اثم آجل كما قال ابن تغرى بردى في التأريخ (٣) .

(١) انظر عن هذه الحكاية مهذب تاريخ دمشق (٣٤١/٥) .

(٢) من ذلك قوله :

امرتك يا رياح بأمر حزم فقلت هشيمة من آل نجد
فوجدنا ما وجدت على رياح وما اغنيت شيئاً غير وجدى
وله ايضا :

مررت على الفرات فهاج دمعى مع الاسرى وصيحات النواح
فما ورد العشيرة من قتيل أعز على العشيرة من رياح

(٣) انظر النجوم الزاهرة (٢١٨/١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٩) .

وقد جاء في معجم الشعراء للمرزباني عن انفاذ الحد على عثمان في عهد عمر بن عبدالعزيز ما نصه : « كان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الابهاري أيام ولايته المدينة ضربه - يعني عثمان - حدين فلما قام يزيد بن عبد الملك أقاد عثمان من ابن حزم فقال :

ينام بنو حزم وما نمت عنهم
وما ليل موتور كريم بنسائل
وقال :

نحن ضربنا الفاسق ابن حزم
حدين لم نخلطها بظلم (١)
هذا منهج آل المرى في السياسة فانه خلاف منهجهم في الادب ، فهذا عثمان أبو رياح كان يقرض الشعر - كما رأيت - وقد اختص به غير واحد من الشعراء ويعده المرزباني منهم في معجمه (٢) ، وكان ابن ميادة (٣) - وهو من بني مرة أيضا - من أشهر شعراء آل المرى وقد رأيت كيف جود في رثاء صاحبه رياح أمير المدينة وصرع ثورتها الدامية ، وتتضارب الآراء في شعره وأدبه واذا حكمنا عليه من خلال كلمة له في تعريف الشعر عد فيما نرى ضليعا في الادب ففي كتاب الموشح للمرزباني (٤) « ان قاسم بن جندل الفزارى - وكان عالما - قال لابن ميادة : والله لقد جددت بشعرك وذكرت به واني لأراه كثير السقط ، فقال ابن ميادة : يا ابن جندل انما الشعر كنبل في جفرك ترمى به الغرض فطالع وواقع وعاضد وقاصر » ، فما ابلغ

(١) معجم الشعراء (٢٢٨) .

(٢) المصدر نفسه وانظر عنه النجوم الزاهرة (٢١٨/١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩) وعن

ابنه رياح (٣٥٢ - ٣٥٣) .

(٣) من أشهر شعراء العصرين الاموي والعباسي تحفل كتب الادب بذكره ورواية شعره وهو من شعراء الحماسة نقلت له مقطوعة في موضع وبيتان في موضع آخر من كتاب الحماسة وترجم له الخطيب التبريزي في شرحه وذكر له نسبا وضيعا وأشار الى سبب تسمية أمه ميادة حيث هجى بسبب ذلك هجاء مقدعا على ما جاء في ترجمة التبريزي له وأشار أبو زكريا الخطيب - كما اشار غيره - الى الاختلاف في اسم أبيه الى غير ذلك ، انظر شرح ديوان الحماسة لابی زكريا الخطيب التبريزي ط القاهرة (٢٨ / ٣ ، ٢٩٩) وانظر البيان والتبيين للجاحظ ط الحديثة (١٨٩/١ و ١٤٦/٣ ، ١٨٧ ، ٢٠٨ - ٢٠٩) ، ومعجم الشعراء ١٢٤ ، والاغانى ط دار الكتب (٢٦١/٢) والامالى للقالى ط الاخيرة (٩٨/١ ، ١٩٥) والتنبيه على أوهام أبى على القالى فى أماليه للبكرى (٣٢) وعن بعض شعره الذى يتمثل به نهاية الإرب للنويرى (٨٢/٣) .

(٢٢٨/٤) .

هذا التعريف للشعر وما أحسنه ؟ ، وقد عنى المرزبانى بشرح هذه الكلمة فى كتابه ، ولعثمان بن حيان هذا أخبار غير قليلة فى كتب الادب ان دلت على شىء فانما تدل على هوس واندفاع واستعجال وضعف وتردد ، وهو الذى دفعه الاستعجال فأمر بخصاء المخنثين فى المدينة قبل الثبوت من عبارة وردت فى كتاب لسليمان ابن عبد الملك يأمره باحصاء المخنثين^(١) ، ولعثمان هذا قصة أخرى مع ابن أبى عتيق - وهو من احفاد أبى بكر ومن وجهاء زمانه فى المدينة وكان مطبوعا على الفكاهة وحب النكتة - وهذه القصة تشعرك بضعفه وتردده وأنه كان منقادا لابن أبى عتيق متأثرا بمذهبه فى المرح والمجون حتى استطاع أن يصرفه عن الاوامر التى أصدرها فى تحريم الغناء ومطاردة القيان والمطربات^(٢) ، وفى مجلسه فاتح مرة بدويا من بنى مرة فى الاصهار اليه على ابنته على صورة اعتبرها البدوى ضربا من الاستخفاف به فتغافل قائلا : لعلك تريد ناقتى أيها الامير فأكد له عثمان طلبه ولم يسع البدوى الا ان يعيد جوابه ، وانتهى الامر بشتيم البدوى وطرده ولا ذنب له غير رقة الاحساس ولطف الشعور ، الى هذا ونحوه مما يدل على ضرب من غلظ الطبع وبلادة الاحساس^(٣) .

آخر القسم الاول من الجزء الاول من الكتاب ويليه القسم الثانى فى بقية تاريخ العصر العباسى وعصر المغول فى العراق وبالله المستعان .

مؤرخ العراق ابن الفوطى

الجزء الثانى

سيشرع بعون الله فى وقت غير بعيد بنشر الجزء الثانى من كتاب « مؤرخ العراق ابن الفوطى » حيث يتناول البحث عصر المؤرخ المذكور وسيرته ومشيجته وأصحابه وآثاره الى غير ذلك .

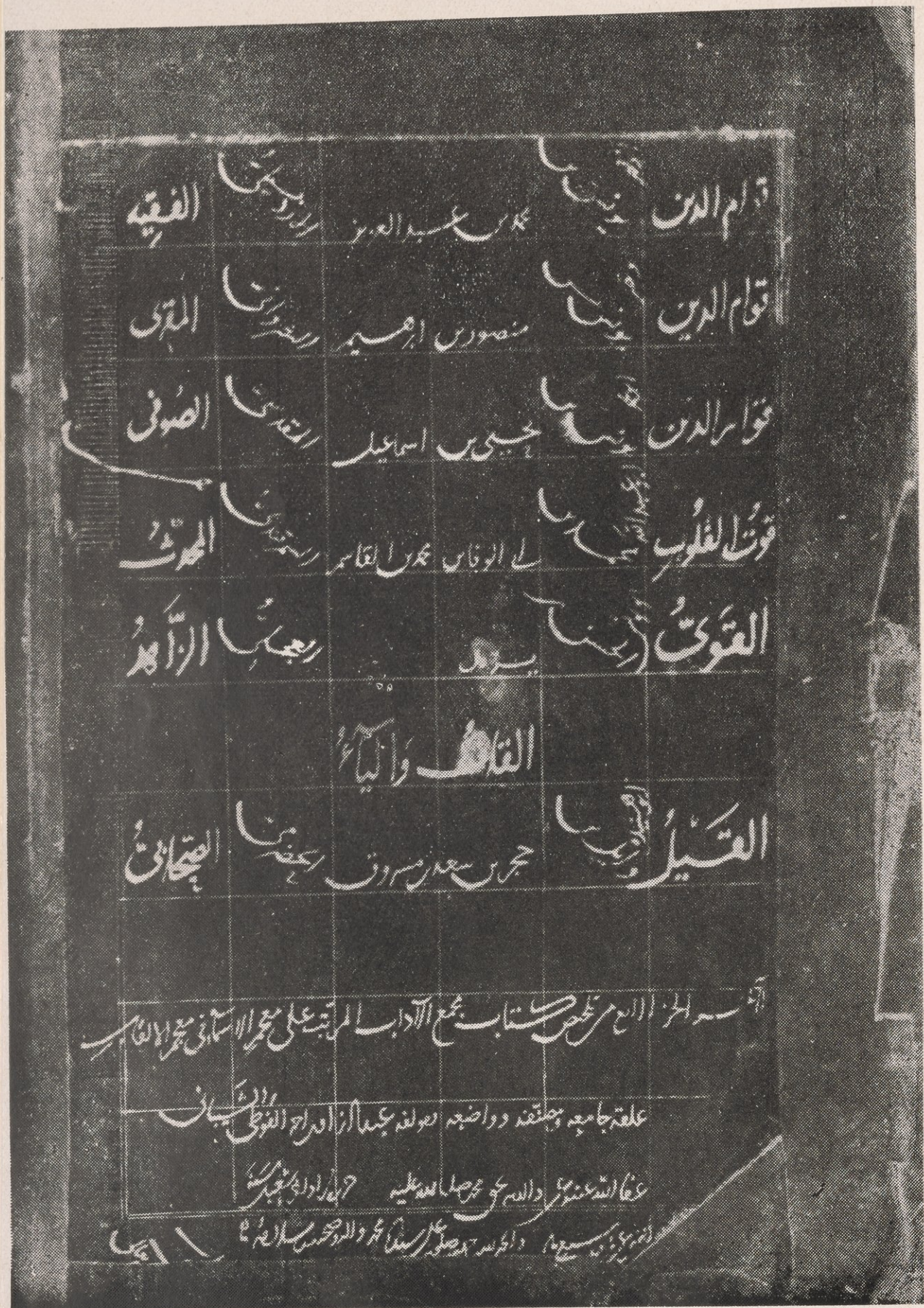
(١) جمع الجواهر فى الملح والنوادر أو ذيل زهر الآداب للحصرى القيروانى (٢٤٢) .

(٢) المصدر المذكور (٤٤ - ٤٥) .

(٣) انظر عن قصته مع البدوى التنبيه على اوهام القالى للبكرى (٣٢) .

of the
Vol. II.

11017



خط ابن الفوطى كما يرى فى آخر نسخة الاصل

11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100



and the other two are 1/2 and 1/4 of the whole

المستقر للدين
 كصبر من طاعت
 الحسن بن علي
 عليه السلام
 في كل يوم
 من كل يوم
 من كل يوم

الحمد لله
 الذي جعل
 الدنيا دار
 فناء
 والآخرة دار
 بقا

سقط الزند ووضعه
 في قلب أبي العلام

أحمد بن عبد الله بن سليمان السجستاني
 المكي

قدس الله روحه ويوزع حكمه

من تصدق
 بمائة دينار
 في سنة
 واحدة

لم يلق بها عظام لاهوته الفخر بانه القلب

من الله يستمد حكم المسكين
 الفقير اليه
 من محال
 له
 من
 له
 له

انما الذي اراد ان اعلم من ان
 انما الذي اراد ان اعلم من ان

الحمد لله الذي جعل الدنيا دار فناء والآخرة دار بقا

من تصدق بمائة دينار في سنة واحدة

من تصدق بمائة دينار في سنة واحدة

فهارس عامة

١ - فهرس الكتاب

٢ - فهرس الاعلام

٣ - فهرس القبائل والفرق والجماعات

٤ - فهرس البلدان والامكنة والبقاع

٥ - فهرس المستدركات

٦ - فهرس الكتب والمراجع

فہرست

۱۔

۲۔

۳۔

۴۔

۵۔

۶۔

۱۰۰
۱۰۱
۱۰۲
۱۰۳
۱۰۴
۱۰۵
۱۰۶
۱۰۷
۱۰۸
۱۰۹
۱۱۰
۱۱۱
۱۱۲
۱۱۳
۱۱۴
۱۱۵
۱۱۶
۱۱۷
۱۱۸
۱۱۹
۱۲۰
۱۲۱
۱۲۲
۱۲۳
۱۲۴
۱۲۵
۱۲۶
۱۲۷
۱۲۸
۱۲۹
۱۳۰
۱۳۱
۱۳۲
۱۳۳
۱۳۴
۱۳۵
۱۳۶
۱۳۷
۱۳۸
۱۳۹
۱۴۰
۱۴۱
۱۴۲
۱۴۳
۱۴۴
۱۴۵
۱۴۶
۱۴۷
۱۴۸
۱۴۹
۱۵۰
۱۵۱
۱۵۲
۱۵۳
۱۵۴
۱۵۵
۱۵۶
۱۵۷
۱۵۸
۱۵۹
۱۶۰
۱۶۱
۱۶۲
۱۶۳
۱۶۴
۱۶۵
۱۶۶
۱۶۷
۱۶۸
۱۶۹
۱۷۰
۱۷۱
۱۷۲
۱۷۳
۱۷۴
۱۷۵
۱۷۶
۱۷۷
۱۷۸
۱۷۹
۱۸۰
۱۸۱
۱۸۲
۱۸۳
۱۸۴
۱۸۵
۱۸۶
۱۸۷
۱۸۸
۱۸۹
۱۹۰
۱۹۱
۱۹۲
۱۹۳
۱۹۴
۱۹۵
۱۹۶
۱۹۷
۱۹۸
۱۹۹
۲۰۰

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة الكتاب	٢٤	علائم الادبار
٥	معجم شيوخ أوسيرة من السير الخاصة	٢٥	الجيش والسياسة
٥	معجم في الادب	٢٧	السياسة الخرقاء
٦	في سبيل الدراسة	٢٨	اهواء متوارثة
٧	اصل يعول عليه	٢٨	حمية الاندال
٧	بين الاقدام والاحجام	٢٩	مساوىء الجاهلية ومحاسنها
٧	تحفة من البنجاب	٣٠	العصبية القبيلية - أسبابها ونتائجها
٨	السرف في الاصول	٣٢	المنافرات بعد الاسلام
٩	كنوز ضائعة	٣٢	الجاهلية لليمن والاسلام لمضر
١٠	مؤرخنا الظافر	٣٤	العباسيون والحزب العباسى
١٠	بعد المقارنة	٣٥	عروبة نقباء الدعوة
١١	صيف التمريض وصيف التأكيد	٣٧	يحتجون بكلام الجاحظ
١٢	صلة المؤرخ بطبقات الامة	٣٩	العباسيون الاول
١٣	ضالتنا المنشودة		أبو العباس السفاح
١٣	تأريخنا القديم	٤٠	أبو جعفر المنصور
١٤	أسلوب أخاذ	٤١	عبدالله بن على
١٥	في الزوايا خبايا	٤٢	دور الطالبين
١٦	الفرص السانحة	٤٤	اصل الدعوة وصبغتها العامة
١٧	نزىل مراغة واسير المغول	٤٥	المهدى - الهادى - الخيزران
١٧	خطتنا المرسومة	٤٦	هارون الرشيد
١٨	ابواب الكتاب		معسكر الرقة
	مدخل البحث	٤٦	قواعد حربية للعباسيين
٢٠	الدولة العباسية من بدايتها الى نهايتها	٤٧	حنين العباسيين الى بغداد
٢٣	دولة بنى العباس	٤٧	الفتن تترى
٢٣	مروان الجعدى	٤٨	خلع المنصور
٢٤	الوقعة الحاسمة وموضع العبرة فيها	٤٩	حزب آل على

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٩	العصبية بين المضرية واليمانية	٧٣	صحيفة الدولة
٥٠	عمال الرشيد فى الشرق	٧٤	دعوة الكوفة وحركتها الجديدة
٥٠	الفضل بن يحيى	٧٥	عصر بنى الحسن أو عصر الزيدية
٥١	ابن ماهان والى خراسان الجديد	٧٦	عيسى بن زيد أو الظليم النافر
٥١	فتنة الاخوين	٧٨	ابناء زيد والزيدية فى صفوف بنى الحسن
٥٢	فترة انتقال فى خلافة الرشيد	٧٩	التمييز بين زيد والزيدية
٥٣	جريدة ابن همام على الرشيد	٨١	تخليط واوهام فى معاجم الرواة
٥٤	حوار فى السياسة	٨٢	ملاحظات الباحثين
٥٤	يستغيثون بالخليفة	٨٣	الوان من النزاع
٥٥	هرثمة بن اعين	٨٣	نزاع فى الاصول
٥٦	انتقاض الشرق على الرشيد	٨٤	عصر الفرق والنحل
٥٧	أمير مصر يتهم بالخلاف	٨٩	نزاع فى الفروع
٥٨	عيسى ولى عهد السفاح	٩١	من هم بنو الحسن ؟
٥٩	يغامرون فى طلب الحرية	٩٣	عبدالله بن الحسن
٥٩	غربة المغامرة	٩٦	النفس الزكية
٦٠	الزعيم أبو سلمة	٩٧	بنو الحسن فى خلافة السفاح
٦٠	نقل البيعة الى العلويين	١٠٠	بنو الحسن فى خلافة المنصور
٦١	نجاح المغامرة	١٠٣	المنصور يلح
٦١	مباشرة العمل	١٠٤	طلائع الثورة
٦٢	عيسى سند المنصور	١٠٤	ظهور محمد بالمدينة
٦٣	كم الافواه ومناهضة المعارضة	١٠٦	بعض مميزات الثورة
٦٤	معركة بين النظار	١٠٧	عمال محمد بن عبدالله
٦٤	العامل السياسى فى النزاع	١٠٨	ابراهيم يثار لاخته فى العراق
٦٥	جعفر بن محمد وأبو جعفر	١١٠	نقلة الآثار يؤيدون الثوار
٦٦	أمير المدينة فى دولة السفاح	١١١	آراؤهم فى الخروج على السلطان
٦٨	المنهج المرسوم	١١٣	محنة أخرى
٦٩	اتصال الوشايات	١١٤	بين قرطبة والمدينة، محنتان مختلفتان
٧١	الرياسة بين الهاشميين	١١٦	مالك بن أنس والمنصور
٧٢	تكافؤ القوى		

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١١٧	الامويون والمذهب المالكي في عصر المأمون	١٤٧	الولد على سر أبيه
١١٧	ثورة في مسلك القضاء	١٤٨	ختام مأساة
١١٨	دولة لبنى الحسن في المغرب	١٤٩	الامير المحتفى به
١٢٠	خيبة صاحب الديلم	١٥٢	هدنة على دخن
١٢١	ورثة الحضارة الاندلسية	١٥٣	الوالي الضعيف
١٢١	مقارنة بين الدولتين الفاطمية والادريسية	١٥٣	نظام الخلافة العباسية
١٢٢	البربر ودعوة الاسلام	١٥٤	موسى بن عيسى
١٢٣	ثقافة الادارسة	١٥٦	خطأ في التقدير
١٢٥	دولة بنى حمود	١٥٧	يعزله بأخس من على بابه
١٢٦	مشاهير بنى حمود	١٥٨	طور جديد من النزاع
١٢٧	أسباب سقوط دولة بنى حمود	١٥٩	فرق تسد
١٢٨	مصير الامير عيسى بن موسى	١٦٠	أشهر بيوت العباسيين
١٣٢	آفات وكوارث أخرى	١٦١	فسحة الامل
١٣٣	مقارنات تاريخية	١٦٢	تحرير محل النزاع
١٣٣	فرج موقوت	١٦٤	منهج الموادة
١٣٤	مذهب آخر في السياسة الشرعية	١٦٦	عداوة الشعراء
١٣٥	بدء الصراع	١٦٧	أزهى عصور البصرة
١٣٥	مكائد المنصور	١٦٩	الامير المحدث
١٣٨	قيمة المواثيق	١٧١	دالة آل سليمان
١٣٩	لماذا قتل أبو مسلم ؟	١٧٢	ولاة الشام أو الامراء المنابدون
١٤٠	دور الامير	١٧٣	نكاية جيش خراسان
١٤١	لا يبالي بمعارضة الخليفة	١٧٤	أقعد العباسيين
١٤٢	حزب ولى العهد	١٧٥	ولاة مصر من آل على
١٤٣	دم الشباب وحكمة الشيوخ	١٧٨	شطر المشرق
١٤٤	أزمة نفسية	١٧٨	زيارات عابرة
١٤٥	جناية السياسة على التاريخ	١٨٠	مصطلح التأريخ
		١٨٠	مرحلة انتقال في التأريخ
		١٨٢	سياسة وسياسة

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٨٤	افراط فى العصبية	١٩٧	رأى ابن خلدون
١٨٤	معاملة الموالى	٢٠٠	أحكام المسكرات فى فقه الامامية
١٨٦	بواعث الشك	٢٠٠	بين التبذل والوقار
١٨٨	امراء متمزتون	٢٠٢	فحوى القصة
١٩٠	أحاديث فى التزمت والوقار	٢٠٣	غربة الروايات
١٩٠	حديث للمنصور فى السياسة والتأريخ	٢٠٤	سلطان التشريع وسلطان التنفيذ
١٩١	حديث الاموى مع ملك النوبة	٢٠٨	قتال اهل القبلة
١٩٢	النسك ورجال الدولة	٢١١	حكم المعاهد أو المرتد اذا حارب
١٩٢	مثال آخر من التقشف	٢١٣	تشريع القتال والسياسة الشرعية
١٩٤	المسكرات فى تأريخ بنى العباس	٢١٣	قواعد العلاقات الدولية فى الاسلام
١٩٥	رأى مؤلف كتاب التاج	٢١٥	حدث القبرصيين واللبنانيين
١٩٦	رأى ابن قتيبة	٢١٩	رياح بن عثمان المرى أمير الشام
		٢٢٢	آل المرى فى تأريخ الادب والسياسة

فهرس الاعداد

الالف

- ابن حجر : ٨٢ ، ١١٨ .
- ابن حمدون : ٦٥ .
- ابن خلدون : ١١٥ ، ١١٨ ، ١٣٤ -
- ١٣٥ ، ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ١٩٨ - ١٩٩ .
- ابن دراج : ١٢٧ .
- ابن الزبير : ٦٥ .
- ابن سعد : ٢٠ ، ١١٠ .
- ابن سلام : ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢١٦ .
- ابن شهيد : ١٢٧ .
- ابن ضبارة : ٣٧ .
- ابن الطقطقى : ٦ ، ١٠ ، ٤٣ ، ٦٠ .
- ابن طاووس : ٧٠ .
- ابن طيفور : ٢٠ .
- ابن عجلان : ٦٤ .
- ابن عباس : ٧٣ ، ١١٤ - ١١٥ ، ١٥٨ ، ١٦٩ ، ٢٠٧ .
- ابن عساكر : ٢٠ ، ٨٢ ، ٢١٦ .
- ابن عيينة : ٢٠٦ - ٢٠٧ .
- ابن الغضائرى : ٦٦ .
- ابن الفوطى : ٣ - ١٨ .
- ابن قاسم العاملى : ٦٦ .
- ابن قتيبة : ٢٠ ، ٦١ ، ١٦٣ ، ١٩٢ -
- ١٩٣ ، ١٩٥ - ١٩٧ .
- ابن كثير : ١٠ .
- ابن الكلبي : ٢١١ .
- ابن المقفع : ١٤١ ، ١٦٨ ، ١٨٤ .
- ابن ميادة : ٢٢٢ - ٢٢٣ .
- ابراهيم الامام : ٥٩ - ٦٠ ، ١٣٨ .
- ابراهيم بن اسحق : ١٩٦ .
- ابراهيم بن صالح : ١٦١ ، ١٧٢ -
- ١٧٣ ، ١٧٥ - ١٧٦ .
- ابراهيم بن صالح بن حى : ٨٧ .
- ابراهيم بن عبدالله بن الحسن : ٤٠ ، ٦٣ ، ٧٠ - ٧١ ، ٧٤ - ٧٩ ، ٨١ ، ٩١ ، ٩٤ - ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ -
- ١١٠ ، ١١٢ - ١١٣ ، ١٥٠ - ١٥١ .
- ابراهيم بن المهدي : ٨٨ ، ١٦٩ -
- ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٩٦ .
- ابراهيم بن موسى : ١٥١ .
- ابن أبى الحديد : ٦٨ ، ١٦٢ - ١٦٣ ، ٢٠٨ .
- ابن أبى الحوارى : ١٩٢ .
- ابن أبى عتيق : ٢٢٤ .
- ابن أبى عيينة : ١٦٨ .
- ابن أبى ليلي : ١٥١ ، ١٨٥ .
- ابن الاثير : ١٠ ، ٢٠ ، ١٢٠ .
- ابن بختيشوع : ١٩٦ .
- ابن بسام : ١٢٧ .
- ابن تغرى بردى : ٤٠ ، ٥٥ ، ١٣١ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٨٨ ، ٢٢٢ .
- ابن جبير : ١٢٤ .
- ابن جندل : ٢٢٣ .
- ابن الجوزى : ٩ - ١٠ .

- ابن هبيرة : ٢٦ ، ٣٩ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ١١١ ، ١٣٩ .
- ابن هشام : ٢٠ .
- ابو بكر : ١٠٣ ، ١٦٤ ، ٢٢٤ .
- ابو بكر الابهاري : ٢٢٣ .
- ابو بكر الثقفي : ١١٨ .
- ابو جعدة المخزومي : ١٣٠ .
- ابو جعفر النقيب : ١٦٣ .
- ابو حنيفة : ٦٣ - ٦٥ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٧ - ٢٠٧ .
- ابو حنيفة المكي : ١١١ .
- ابو الخطاب الازدي : ٨٦ .
- ابو دلامة : ١٧٧ .
- أبو زيد : ١٦٨ .
- ابو سعيد المغولي : ٩ .
- ابو سلمة الخلال : ٦٠ - ٦٢ ، ٧٤ - ٧٥ ، ٩٣ ، ٩٨ .
- ابو العباس الطوسي : ١١٤ .
- ابو عبيدة : ٣١ ، ١٦٨ .
- ابو عمرو بن العلاء : ١٦٨ .
- ابو العميشل : ١٦٧ .
- ابو الفداء : ١٠ .
- ابو الفرج الاصفهاني : ٣٥ ، ٤٣ ، ٧٦ - ٧٧ ، ١١٠ ، ٢٠١ .
- ابو مسلم الخراساني : ٢٧ ، ٣٦ ، ٤٠ - ٤٢ ، ٤٨ ، ٦١ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٣٨ ، ١٤٠ - ١٧٣ .
- ابو نخيلة : ١٤٦ .
- ابو نواس : ١٩٨ .
- ابو هاشم (عبدالله بن محمد ابن الحنفية) : ٨٩ - ٩٠ ، ١٦٣ .
- ابو هلال العسكري : ١٦٦ .
- ابو الهيثام المري : ٢٦ .
- ابو يوسف : ١١٣ .
- الاحنف بن قيس : ٢٨ - ٢٩ ، ٣٦ ، ١٨٤ .
- ادريس بن ادريس : ١٢١ .
- ادريس بن عبدالله : ٧٦ ، ١١٨ - ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٧٦ .
- اسامة بن منقذ : ١٦٧ .
- الاستربادي : ٨٧ .
- اسحق بن سليمان : ١٤٨ ، ١٦٥ ، ١٧٦ ، ١٦٨ .
- اسحق بن علي : ١٦٠ .
- اسحق بن عيسى : ١٧٣ ، ١٦٥ .
- اسحق الموصلي : ١٩٦ - ١٩٧ .
- اسماعيل بن صالح : ١٦٠ - ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٩ .
- اسماعيل بن علي : ١٦٠ ، ١٦٢ .
- اسماعيل بن عيسى : ١٥٢ ، ١٥٤ .
- الافشين (حيدر بن كاوس) : ١٨١ .
- امرؤ القيس : ٣٣ .
- الامين : ٤٣ ، ٤٩ - ٥٣ ، ٥٥ ، ١٣١ - ١٣٢ ، ١٥٢ - ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٩٤ .
- الاوزاعي : ٢٠٥ - ٢٠٦ .

الباء - التاء

٧٥ ، ٧٧ - ٨٨ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ٢٠٩ .

جعفر بن الهادي : ١٣١ .

جنكينز : ١٠ .

الجنيد : ١٩٢ .

الجهشياري : ٢٠ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٦١ ، ١٩٤ .

الجهم بن بدر : ٢١١ .

جوهر (القائد) : ١٢٢ .

الحاء

حاتم الطائي : ٣٣ .

الحارث بن مسكين : ١١٧ - ١١٨ .

الحجاج : ٨٩ ، ١٦٦ ، ١٨٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ -

الحارث الشامي : ٨٨ .

حسان بن ثابت : ١٩٣ .

الحسن بن الحسن (المثلث) : ٩١ ، ٩٤ ، ٩٨ - ٩٩ .

الحسن بن زيد : ٧٢ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٥ - ٩٦ .

الحسن بن صالح بن حي : ٨٧ .

الحسن بن علي : ٣٩ .

الحسن بن قحطبة : ٦٢ .

الحسن المثنى : ٨٩ ، ٩١ ، ١٢٥ .

الحسين بن زيد (ذو الدمعة) : ٧٨ ، ١٠٦ .

الحسين بن علي (صاحب فخ) : ١٥٦ .

الحسين بن علي : ٣٩ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ٩١ - ٩٢ ، ١٣٧ ، ١٦٩ .

الحكم الربضي (الحكم بن هشام) : ١٢٥ ، ١٢٢ ، ١١٥ .

حمزة بن عثمان الزبيري : ٨٨ .

حمود الادريسي : ١٢٥ .

المحتري : ١٥٦ ، ١٨٩ ، ٢١٢ .

بختيشوع : ١٤٦ .

البرقي : ٨٧ .

بزيق بن موسى الحارثي : ٨٦ .

بشار بن برد : ١٠٩ ، ١٦٧ .

بشر بن الليث : ٥٧ .

بكير بن ماهان : ٣٦ .

البلادري : ٢٠ ، ٢١٦ .

بلال بن جرير : ١٨٥ .

بندار الملك : ٢١٦ - ٢١٧ .

البهيهاني : ٨٧ .

بوران : ١٩٨ .

بيان بن سهيل النهدي : ٨٥ ، ٨٨ .

تبع الاكبر : ٢٨ ، ٣٤ .

تيوفيل : ٢١٨ .

الجيم

الجاحظ : ٣٥ - ٣٨ ، ٧٦ ، ٩٤ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٦٧ - ١٦٨ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٥ - ١٩٧ .

جديع بن علي : ٢٧ .

جعدة بن هبيرة : ١٣٠ .

جعفر البرمكي : ٤٩ - ٥٠ ، ٢٠١ - ٢٠٢ .

جعفر بن ابني طالب (الطيار) : ١٠٦ - ١٠٧ .

جعفر بن سليمان : ٦٣ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٤٨ - ١٥٠ ، ١٦٦ - ١٦٨ ، ١٧١ - ١٧٦ ، ١٨٦ .

جعفر بن محمد (الصادق) : ٦٥ - ٦٦ .

فهرس الاعلام

الخاء

- خالد بن ابراهيم الذهلي : ٣٦
- خالد بن برمك : ١٤٢ ، ١٤٤
- خالد بن صفوان : ٣٣
- خالد القسري : ٢٢٢
- خباب بن الارت : ٢٠٨ - ٢١٠
- الخريت بن راشد : ٢١١ - ٢١٢
- الخطيب البغدادي : ٢٠ ، ٨٢ ، ١١٢
- الخطيب التبريزي : ٢٢٣
- الخليل بن احمد : ١٦٦ - ١٦٨
- خوارزم شاه : ١٨٣
- الخيزران : ٤٥ - ٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٥
- ١٥٧ - ١٥٨

الدال - الذال

- الدار قطني : ٢٦
- دارون : ٢٦
- داود بن جعفر : ١٤٩
- داود بن علي : ٥٩ - ٦٢ ، ٦٦ - ٦٧ ، ٩٤ ، ١٧٩ ، ١٨٩
- داود بن عيسى : ١٥٣ ، ١٦٦
- دحية بن مصعب : ١٧٧
- دعبل الخزاعي : ٣٠ ، ١٦٩ - ١٧٠
- دغفل بن حنظلة : ٣٣
- الذهبي : ١٠ - ١١
- ذو الازعار : ٢٦

الراء

- رافع بن الليث : ٥٦ - ٥٧
- الربيع بن يونس : ٦٢ ، ٧٠ ، ١١٢ ، ١٩٠

• ربيعة الرقي : ١٤٤

• رجاء بن حياة الكندي : ٢٢١

• رجار : ١٢٣ - ١٢٤

• الرشيد : ٢٧ ، ٤٤ - ٥١ ، ٥٣ - ٥٨ ، ٧٦ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٩ - ١٢١ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤٧ - ١٥٠ ، ١٥٤ - ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ - ١٦٨ ، ١٧٣ - ١٨٠ ، ١٨٧ - ١٨٨ ، ١٩٣ - ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ - ١٩٩ ، ٢٠٣ - ٢٠٤

• رشيد الدين الطيب : ٩

• رياح بن عثمان المري : ٢١٦ ، ٢١٩ - ٢٢٢

• الرياشي : ١٨٦

الزاي

- زبيدة : ١٥٥
- الزبير بن بكار : ٢١١
- زرارة بن اعين : ٨٩
- زياد الاعجم : ٣٠ ، ١٦٦
- زياد الحارثي : ٢٢٠
- يزيد بن الحسن : ٨١ ، ٨٩ - ٩١
- زيد بن علي : ٧٦ ، ٧٨ - ٨٠ ، ٨٣ - ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٠ - ٩١ ، ١٠٦ ، ١١٠ - ١١١ ، ٢٠٩
- زينب (حفيدة المنصور) : ١٥٥
- زينب بنت سليمان : ١٥٥

السين - الشين

- ساسان : ١٨٠
- سالم بن عبدالله بن عمر : ١٨٥
- سامة بن لوى : ٢١١ - ٢١٢
- سبط ابن الجوزي : ١٠

فهرس الاعلام

الصيد - الضاد - الطاء

- صائد النهدي : ٨٥ .
الصابي : ٢٠ .
صالح بن علي : ٤١ ، ٤٨ - ٤٩ ،
١٦٠ - ١٦٢ ، ١٧٢ - ١٧٣ ، ١٧٦ ،
١٨٦ - ١٩٢ ، ٢٠٤ - ٢٠٥ ، ٢١١ ،
٢١٥ - ٢١٦ ، ٢١٩ .
الصولي : ٢٠ .

الضحاک بن قیس : ۲۵ .

- طاهر بن عبد الله بن طاهر : ١٨١ ،
الطبري : ٢٠ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ١٤٢ ،
الطوسي : ٨٢ ، ٨٧ .

العين - العين

- العاص بن وائل : ٢١٠ .
 العالیه بنت عبید الله بن العباس : ١٦٣ .
 عامر بن ضبارة : ٣٧ .
 عباد (مولى المنصور) : ١٤٢ .
 العباس بن عبد المطلب : ١٦٣ ،
 ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٨٦ .
 العباس بن المأمون : ٢١٩ .
 العباس بن محمد : ١٤٤ ، ١٥٢ ،
 ١٦٠ ، ١٧٥ .
 العباس بن موسى بن عيسى : ١٥٢ -
 ١٥٤ .
 العباسة اخت الرشيد : ١٤٩ ، ١٥٥ .
 ١٨٦ ، ١٩٨ .

- سعيد بن المسيب : ١٨٥ .
السفاح : ٢٤ ، ٣٣ ، ٤٠ - ٤٥ ،
٤٧ - ٤٩ ، ٥٨ - ٦٣ ، ٦٦ - ٦٧ ، ٧٠ -
٧٢ ، ٩٤ ، ٩٧ - ١٠١ ، ١١١ ، ١٢٩ -
١٣١ ، ١٣٩ - ١٤١ ، ١٤٧ - ١٤٨ ،
١٥٢ ، ١٥٩ - ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٢ -
١٧٣ ، ١٧٦ - ١٧٧ ، ١٨٦ ، ١٩٠ -
١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٧ .
السفاني : ٥٠ .

- سفیان الثوری : ٦٨ - ٦٩ •
- سليمان بن جعفر : ١٤٩ •
- سليمان بن حبيب : ١٦٦ •
- سليمان بن حيان : ٢٢٤ •
- سليمان بن عبد الملك : ١٨٣ •

- سليمان بن علي : ٤٨ ، ٩٤ ، ١٠٣ ،
 ١١٤ ، ١٤٨ - ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ،
 - ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٦ - ١٧٧ ، ١٩٤ .
 سليمان بن كثير الخزاعي : ٣٦ .
 سبيويه : ١٦٨ .
 السيرافي : ٦٦ - ٦٧ .
 السيوطي : ٦١ ، ٦٤ .

- الشافعي : ١٥٢ ، ٢٠٨ .
- الشريشي : ٣١ .
- الشهاب الخفاجي : ١٠٩ .
- الشريف الادريسي (الصقلي

- الشریف الرضی : ۱۵ •

فهرس الاعلام

- | | |
|--|--|
| <p>١٦١ ، ١٧٢ - ١٧٣ ، ١٧٥ - ١٧٦ ، ١٧٩ ،
 ١٨٩ - ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ - ٢٠٧ ،
 ٢١١ ، ٢١٥ .</p> <p>عبد الملك بن مروان : ٢٥ ، ٨٩ ،
 ١٩٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ .</p> <p>عثمان بن حيان : ٢٢٠ ، ٢٢٢ -
 ٢٢٤ .</p> <p>عثمان بن عامر التيمي : ١٠٣ .</p> <p>عثمان بن محمد بن الزبير : ١٠١ ،
 ١٠٦ .</p> <p>عقبة بن سالم : ٣٠ .</p> <p>علاء الدين ابو الطيب الخراساني : ٦ .</p> <p>علاء الدين الجويني : ٦ .</p> <p>العلامة الحلي : ٨١ .</p> <p>علي بن بسام : ١٢٧ .</p> <p>علي بن أبي طالب : ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٧ -
 ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٦٩ ، ١٧١ ،
 ٢٠٨ - ٢١٣ .</p> <p>علي بن الجهم : ٢١١ .</p> <p>علي بن الحسين : ٨٩ ، ١٨٥ .</p> <p>علي بن حمود : ١٢٥ - ١٢٧ .</p> <p>علي بن سليمان : ١٧٦ - ١٧٧ .</p> <p>علي بن عبد الملك : ١٨٩ .</p> <p>علي بن عبد الله بن عباس : ١٥٨ ،
 ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧٤ .</p> <p>علي بن محمد (من بني الحسن) : ١٨٧ .</p> <p>عليه بنت المهدي : ١٥٥ .</p> <p>عمر بن الخطاب : ١٦ ، ١٨٥ ، ٢١٠ .</p> | <p>عبد الرحمن بن عبد الملك : ١٨٦ .</p> <p>عبد الصمد بن علي : ٦٨ ، ٧١ ،
 ١٠١ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٧٢ - ١٧٦ ، ١٧٩ ،
 ١٨٨ .</p> <p>عبد الصمد بن المعذل : ١٦٨ .</p> <p>عبد الله بن جعفر بن محمد : ٧٨ ،
 ٨٤ .</p> <p>عبد الله بن الحارث : ٨٨ .</p> <p>عبد الله بن الحسن : ٧٠ - ٧١ ، ٧٤ ،
 ٧٦ ، ٧٩ ، ٨١ - ٨٢ ، ٩١ - ٩٥ ، ٩٧ -
 ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ - ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١١ ،
 ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ .</p> <p>عبد الله بن خباب : ٢٠٨ - ٢١٠ .</p> <p>عبد الله بن سليمان : ١٦٦ .</p> <p>عبد الله بن صالح : ١٦٠ ، ١٨٩ -
 ١٩٠ ، ١٩٢ - ١٩٤ ، ٢٠٤ .</p> <p>عبد الله بن طاهر : ١٧٩ .</p> <p>عبد الله بن عامر : ٣٢ .</p> <p>عبد الله بن العباس بن موسى : ١٥٢ -
 ١٥٣ .</p> <p>عبد الله بن علي : ٤٠ - ٤١ ، ٤٤ ،
 ٤٨ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ،
 ١٤٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٧٢ -
 ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ،
 ٢١٩ .</p> <p>عبد الله بن عمرو بن العاص : ١٦٣ .</p> <p>عبد الله بن مروان : ١٩١ .</p> <p>عبد الله بن معاوية : ١٦٣ .</p> <p>عبد الله الكوا : ١٦٥ .</p> <p>عبد الملك بن صالح : ١٥٣ ، ١٥٥ ،</p> |
|--|--|

فهرس الاعلام

- عمر بن عبدالعزيز : ٧٥ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢١ ، ١٩٠ ، ٨٩ : عمر بن علي
 • ١٧٧ ، ١٥٧ : عمر بن مهران
 • ١٠٦ : عمرو بن عبيد
 • ٢٠٤ : عنان
 • ١٦٨ : عيسى بن جعفر
 • ٨١ ، ٧٩ - ٧٦ : عيسى بن زيد
 • ١٠٦

القاف

- القاسم بن ادريس : ١٢١
 • قاسم بن جندل الفزاري : ٢٢٣
 • القاسم بن الحسن : ٩٦ ، ٩٩
 • القاسم بن حمود : ١٢٦ - ١٢٧
 • القاسم بن الرشيد : ١٩٤
 • القاسم بن سلام : ٢٠٥ - ٢٠٦
 • القاسم بن مجاشع : ٣٦
 • القاسم بن محمد ابن أبي بكر : ١٨٥
 • قاضي قضاة المغول : ١٥
 • قتيبة بن مسلم : ٣٥ - ٣٦ ، ١٨٣
 • قثم بن جعفر : ١٦٦ - ١٦٨ ، ١٧٠
 • قثم بن العباس بن عبدالله : ١٦٩
 • قثم بن العباس بن عبدالمطلب : ١٦٩
 • قحطان : ١٨٠

- قحطبة بن شبيب : ٣٦ - ٣٧ ، ١٧٩

• ١٨٠ -

- قرة بن شريك : ٢٢٢

- القسطل : ١٢٧

- القلقشندی : ٣٤

- قمامة بن أبي زيد : ١٩٤

- قوام الدين المحدث : ١٦

- عمر بن عبدالعزيز : ٧٥ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢١ ، ١٩٠ ، ٨٩ : عمر بن علي
 • ١٧٧ ، ١٥٧ : عمر بن مهران
 • ١٠٦ : عمرو بن عبيد
 • ٢٠٤ : عنان
 • ١٦٨ : عيسى بن جعفر
 • ٨١ ، ٧٩ - ٧٦ : عيسى بن زيد
 • ١٠٦
 • عيسى بن العادل : ١١٢
 • عيسى بن علي : ٦١ ، ١٤١ - ١٤٣ ، ١٥٩ ، ١٦٤ - ١٦٥ ، ١٧٢
 • عيسى بن موسى : ٤٠ - ٤١ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٨٦ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٢ - ١١٤ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٤ - ١٣٦ ، ١٣٨ - ١٤٣ ، ١٤٥ - ١٤٨ ، ١٥٠ - ١٥٢ ، ١٥٥ - ١٥٦ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ، ١٨٨

- الغالية بنت الرشيد : ١٧٣

- الغزالي : ٦٨

الفاء

- فاختة بنت أبي طالب : ١٣٠

- فاطمة الزهراء : ٧٣ ، ١٧٠

- الفتح بن خاقان : ١٣٢

- فخر الدين ابن الفقيه : ١٥

- الفرزدق : ٣٠

- فرعون : ١٥٧ ، ١٧٩

- الفضل بن الربيع : ٥١ - ٥٣ ، ٥٦

- الفضل بن سهل : ١٨٠

الكاف - اللام

- كاوس : ١٨١
- كثير النوا : ٨٧
- الكرمانى : ٢٧ ، ٣٠
- الكشى : ٨٢ ، ٨٧
- الكلينى : ٨١
- الكميت : ٣٠
- الكندى : ٤٨ ، ١٥٨ ، ١٨٨

- لاهز بن جرير المزنى : ٣٦
- الليث بن سعد : ٢٠٦

الميم

- المازندراني : ٨٠
- مالك بن انس : ٤٢ ، ٦٣ ، ٦٥
- ٩٤ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ، ١٨٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢١
- ٢٠٧
- مالك بن الطواف المزنى : ٣٦
- مالك بن الهيثم : ٣٦
- الماوردى : ٣٤ ، ١٣٤ ، ٢١٢
- المأمون : ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣
- ٥٥ ، ٧٦ ، ٨٨ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٣١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٧٤
- ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ١٩٦
- ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٩
- المؤتمن : ١٣١
- المبرقع الاموى : ٥٠
- المبرد : ١٨٦
- المتوكل : ٣٨ ، ٤٣ ، ١١٧ ، ١١٨
- ١٣٤ ، ١٥٦ ، ١٩٥
- مجير الدين الاسعدى : ١٦
- محمد بن جعفر بن محمد : ٧٨

- محمد بن الحسن بن معاوية : ١٠٧
- محمد بن الحنفية : ٧٣ - ٧٤ ، ٩٠
- محمد بن خالد القسرى : ٢٢٠
- محمد بن زيد : ٧٨
- محمد بن سعد : ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
- محمد بن سليمان : ١٠٨ ، ١٤٨
- ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٨٦
- محمد بن طلحة : ٦٥
- محمد بن عبدالله (ص) : ٨٥ ، ٨٩
- ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢١٠
- محمد بن عبدالله (النفس الزكية) : ٤٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٢
- ٧٤ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٧
- ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٣
- ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ، ١٨٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢١
- محمد بن على (الباقر) : ٧٩ - ٨١
- ٨٤
- محمد بن على العباسى : ٢٣ ، ٤١
- ٤٢ ، ١٢٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٧٩
- محمد بن كثير : ٢٠٥
- محمد بن يوسف الثقفى : ٢٢٢
- مخارق : ١٧٠
- المختار الثقفى : ٨٥
- مخلد بن يزيد : ٣٤
- المرزبانى : ١٤٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
- مروان بن الحكم : ٢٥ ، ١١٥
- مروان بن محمد (الجعدى) : ٢٣
- ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٥٩ ، ٦١
- ٦٢ ، ٧٢ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٧٦
- مروان بن مروان : ١٢٩ ، ١٧٣

فهرس الاعلام

- ١٧٦ - ١٧٩ ، ١٨٦ - ١٨٧ ، ١٩٠ - ١٩١ ،
١٩٥ - ١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ،
• موسى بن اعين : ٢٠٧ ،
• موسى بن جعفر : ١٢٠ - ١٢١ ،
• موسى بن سليمان : ١٤٨ ،
• موسى بن عبدالله (الجون) : ٧٥ ،
٨١ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٥٠ ، ١٨٧ ،
• موسى بن عيسى : ٥٧ - ٥٨ ، ١٤٣ ،
١٥٤ - ١٥٨ ، ١٧٧ ، ١٨٨ ، ٢٢١ ،
• موسى بن كعب : ٣٦ ، ١٨٧ ،
• المهتدي : ٤٤ ، ١٣٣ ،
• المهدي : ٤٠ ، ٤٣ - ٤٦ ، ٥٨ ،
٦٤ ، ٦٨ ، ١٠٨ ، ١٣١ ، ١٣٣ - ١٣٦ ،
١٣٨ - ١٤٠ ، ١٤٢ - ١٤٤ ، ١٤٦ -
١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ،
١٦٦ ، ١٧٤ - ١٧٥ ، ١٧٧ - ١٧٨ ، ١٨٦ ،
- ١٨٨ ، ١٩٥ ،
• ميادة : ٢٢٣

النون

- ناجية : ٢١١ ،
• الناصر العباسي : ١٣٣ ،
• نباتة بن حنظلة : ٣٧ ،
• النجاشي : ٦٦ ، ٨٢ ،
• نصر بن سيار : ٢٧ ، ٣٤ ، ٥٦ ،
• نصير الدين الطوسي : ٤ ،
• النضر بن شميل : ١٦٨ ،
• نوح : ٢٢١ ،
• النوري : ٦٧ ،
• النويري : ١٩٩ - ٢٠٠

- المستعصم : ١٢٩ ،
• المستعين : ٤٤ ، ١٣٣ ،
• المسعودي : ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٣ ، ١٩٩ ،
٢١٦ ، ٢١٩ ،
• مسكويه : ٢٠ ،
• مصعب بن الزبير : ٨٥ ،
• معاوية بن ابي سفيان : ٣٩ ، ٢٢١ ،
• معاوية بن الاحنف بن قيس : ١٨٤ ،
• معبد : ١٧٠ ،
• معبد بن العباس بن عبد المطلب : ١٦٩ ،
• المعتز : ٤٤ ، ١٣٣ ، ١٩٩ - ٢٠٠ ،
• المعتصم : ٣٨ ، ٤٩ - ٥٠ ، ١٨٠ -
١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ،
• المعتضد : ١٣٣ ،
• المعلى بن خنيس : ٦٦ - ٦٧ ،
• معن بن زائدة : ٣٠ ، ٧٨ ،
• المغيرة بن سعيد : ٨٥ - ٨٧ ،
• المقتدر : ٤٤ ، ١٧١ ،
• المقرئ : ١٠ ، ١٨٨ ،
• الفضل الضبي : ١٠٨ ،
• المفيد : ٦٥ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٨٠ ،
• ملك النوبة : ١٩١ ،
• المقرئ : ١٢٧ ،
• المنتصر : ٤٣ - ٤٤ ، ١٣٢ ، ٢٠٠ ،
• المنصور : ٣٧ ، ٣٩ - ٤٩ ، ٥٧ -
٥٩ ، ٦١ - ٦٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨١ -
٨٢ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٢ - ٩٨ ، ١٠٠ - ١٠٥ ،
١٠٨ - ١١٧ ، ١٢٩ - ١٣١ ، ١٣٤ - ١٤٨ ،
١٥٠ - ١٥٢ ، ١٥٤ - ١٥٦ ، ١٥٨ -
١٦٢ ، ١٦٤ - ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧١ - ١٧٤ ،

فهرس الاعلام

• الوليد بن يزيد : ١٢٨ - ١٢٩

الياء

• ياقوت الحموى : ١٨٠

• يحيى بن اكرم : ١٩٨ - ٢٠٠

• يحيى البرجمى : ١٤٧

• يحيى بن حمزة : ٢٠٧

• يحيى بن حمود : ١٢٦ - ١٢٧

• يحيى بن خالد البرمكى : ٥١ ، ٥٤

• يحيى بن زيد : ٧٨ ، ١٢١

• يحيى بن عبدالله : ٧٦ ، ٧٩ ، ١١٩

- ١٢١ ، ١٥٧

• يحيى بن موسى بن عيسى : ١٥٢

• يزدر : ١٨٥

• يزيد بن عبدالملك : ٢٢٣ - ٢٢٤

• يزيد بن معاوية : ٣٩ ، ٤٨

• يزيد بن المهلب : ٣٤

• يزيد الناقص : ١٦٤

• اليعقوبى : ٢١٩

• يونس بن حبيب : ١٦٨

الهاء - الواو

• الهادى : ٤٠ ، ٤٣ - ٤٦ ، ١١٣ ،

١٣١ ، ١٥٦ - ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٧١ ، ١٧٤ ،

• ١٧٦ - ١٧٨ ، ١٨٦ - ١٨٧

• هاشم بن يزيد : ٤٨

• هرثمة بن أعين : ٥٥ - ٥٧ ، ١٤٢ ،

• ١٧٦

• هشام بن الحكم : ٩٤

• هشام بن عبدالملك : ٢٧ ، ٧٩ - ٨٠ ،

٨٤ ، ٩١ - ٩٢ ، ١٠٠ ، ١١١ ، ١١٥ ،

• ٢٢٠ - ٢٢١

• هولاءكو : ١١

• الهيثم بن عدى : ١٤٩ ، ٢١١

• الواثق : ٣٨ ، ٤٣ ، ١١٨ ، ١٣١ ،

• ١٩٥ ، ٢٠٠

• واصل بن عطاء : ١٠٦

• الواقدى : ٢٠

• الوليد (امير الشام) : ١٧٣

• الوليد بن عبدالملك : ٧٩ ، ٨٩ -

• ٩٠ ، ٢٢٢

الفرق والقبائل والجماعات

الالف

- آل عيسى بن موسى : ١٤٣ ، ١٤٨ ،
 ١٥١ - ١٥٥ ، ١٥٩ - ١٦٠ ، ١٧٥ .
 آل الكرمانى : ٢٧ .
 آل ماهان : ٥٣ .
 آل محمد : ٤٤ ، ٦٠ ، ٧٢ .
 آل محمد العباسى (أبناء محمد) ، ١٥٦ ،
 ١٦٢ - ١٦٣ .
 آل المرى : ٢٢٢ .
 الامامية ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٦ .
 الامويون : ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ،
 ٤٥ - ٤٦ ، ٥٦ ، ٥٩ - ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٩ ،
 ٨٤ - ٨٥ ، ٩٠ - ٩١ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٦ ،
 ١١٠ ، ١١٥ ، ١١٧ - ١١٨ ، ١٢٩ -
 ١٣١ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ،
 ١٨٣ - ١٨٥ ، ١٩١ ، ٢١٧ - ٢١٨ .
 الامويون الاندلسيون : ١١٥ ، ١٢٥ -
 ١٢٦ .
 الاندلسيون : ١١٥ ، ١٢٥ .
 الانكليز : ٢١٦ .
 انمار : ٣٠ .
 الاوس : ٣١ ، ٣٤ .
 أهل البيت : ٤٤ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٦ ،
 ٨٧ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ٢٠٩ .
 أهل الجزيرة : ٥٩ .
 أهل خراسان (الخراسانيون) : ٣٤ ،
 ٣٨ ، ٤٢ ، ٥٦ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٧٣ ،
 ١٧٧ - ١٧٩ ، ١٨٢ .
- أصحاب أبى حنيفة : ١١٧ .
 الاذواء : ٣٣ .
 الادارسة (بنو ادريس) : ٩٣ ، ١٢١ -
 ١٢٣ ، ١٩٣ .
 الاورثوذكسية : ٢١٩ .
 ارغون : ١٢٣ .
 آرية : ٣١ .
 الازد : ٢٧ ، ٣٤ .
 الاسبانيون : ١٢٨ .
 الاسماعيلية : ٨٤ ، ١٢٢ .
 الاشبيليون : ١٢٥ .
 الاقباط : ١٨٧ .
 اقيال حمير : ٣٣ .
 آل أبى سفيان : ١٦٤ .
 آل الادريسي (الصقل) : ١٢٤ .
 آل الحسن : ٩٨ .
 آل الرشيد : ١٥٠ .
 آل الزبير : ١٠٦ .
 آل سليمان بن على (أبناء سليمان) :
 ١٤٩ - ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٦٦ - ١٦٨ ، ١٧١ ،
 ١٧٢ .
 آل على العباسى (أبناء على) : ٤٩ ، ١١١ ،
 ١٤١ - ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٥ -
 ١٥٦ ، ١٥٩ - ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٢ -
 ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ،
 ١٩٢ .

فهرس الفرق والقبائل والجماعات

- | | |
|---|--|
| <p>• ١٣٠ ، ١٧٢ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ٢٢١ - ٢٢٢ ،
 • بنو بكر : ٢٠٧ ،
 • بنو جهور : ١٢٨ ،
 • بنو حزم : ٢٢٣ ،
 • بنو الحسن (الحسينيون) : ٧٢ - ٧٦ ،
 • ٨١ - ٨٢ ، ٨٤ ، ٩١ - ٩٣ ، ٩٥ - ٩٦ ،
 • ٩٩ - ١٠٥ ، ١٠٧ - ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٢١ ،
 • ١٢٨ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٨٧ ، ٢٢١ ،
 • بنو الحسين (الحسينيون) : ٩١ - ٩٣ ،
 • ١٥٦ ،
 • بنو حمود : ١٢٦ - ١٢٨ ،
 • بنو عباد : ١٢٨ ،
 • بنو العباس : ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٧ ،
 • ٤٠ - ٤١ ، ٤٣ - ٤٤ ، ٤٦ - ٥٠ ، ٥٦ ،
 • ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ - ٧٣ ، ٩٩ ،
 • ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١١٧ - ١١٨ ،
 • ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٩ - ١٣٠ ، ١٣٤ - ١٣٥ ،
 • ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥١ - ١٥٢ ، ١٥٧ ،
 • ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ،
 • بنو مرة : ٢٢٣ - ٢٢٤ ،
 • بنو مروان : ٢٣ ، ٢٥ ، ٤١ ،
 • بنو مرين : ١٢٣ ،
 • البيانية : ٨٨ ،
 • البيزنطيون : ٢١٧ ، ٢١٩ ،</p> | <p>أهل الشام (الشاميون) : ٣٧ ، ٣٩ ،
 • ٤٢ ، ٥٩ ، ١٠٩ ، ١٦٤ ، ١٧٢ - ١٧٣ ،
 • ١٧٩ - ١٨٠ ،
 • أهل العراق : ١٠٥ ، ١٨٠ ،
 • أهل الكوفة (الكوفيون) : ٨٧ ، ١٠٩ ،
 • ١١٦ - ١١٧ ،
 • أهل القبلة : ٢١٣ ،
 • أهل قرطبة (القرطبيون) : ١٢٥ -
 • ١٢٦ ،
 • أهل المدينة (المدنيون) : ٧٠ ، ٩٣ ،
 • ٩٧ - ٩٨ ، ١٢٨ ، ١٦٤ ،
 • أهل مكة : ٧٠ ، ١٦٤ ،
 • أهل المنيطرة : ٢١٦ ،
 • أهل واسط : ١١٠ ،
 • أياد : ٣٠ ،</p> |
|---|--|
-
- ### الباء
- | | |
|---|--|
| <p>• الباكستانيون : ٨ ،
 • البترية : ٨٤ ، ٨٦ - ٨٧ ، ١٢١ ،
 • البرامكة : ٥٠ - ٥٢ ، ٥٤ ، ١٣١ ،
 • البربر (البرابرة) : ١١٨ ، ١٢١ -
 • ١٢٣ ، ١٢٦ - ١٢٧ ،
 • البرجار : ٢١٨ ،
 • البرجان : ٢١٨ ،
 • بكر بن وائل : ٣٩ ،
 • البلغار : ٢١٨ ،
 • بنات مروان : ١٩٤ ،
 • بنو أمية : ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٩ - ٤٠ ،
 • ٤٤ ، ٥٦ ، ٥٩ - ٦٠ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٣ ،
 • ٩٠ ، ٩٤ ، ١٠١ ، ١١٤ - ١١٥ ، ٢١٧ ، ١٨٣ ،</p> | |
|---|--|
-
- ### التاء
- | | |
|--|--|
| <p>• التابعون : ٣٤ ،
 • تابعوا التابعين : ٣٤ ،
 • التتار (التتر) : ١١ ، ٧٣ ، ١٣٣ ،</p> | |
|--|--|

فهرس الفرق والقبائل والجماعات

- الدولة الاموية (في قرطبة) : ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٧٥ - ١٧٦ .
- الدولة الايلخانية : ١١ ، ١٨ .
- الدولة الايوبية : ١٠ .
- دولة البربر : ١٢٣ .
- دولة بنى الاغلب : ١٢٤ .
- دولة بنى حمود : ١١٨ ، ١٢٥ - ١٢٦ .
- دولة بنى مروان (الدولة المروانية) : ٣٧ ، ٧٣ .

- الدولة البيزنطية : ٢١٨ .
- الدولة الحسنية : ١٢١ .
- الدولة الخوارزمية : ١٠ .
- الدولة الزيدية : ٤٥ .

- الدولة السلجوقية : ١٣٣ .

- الدولة الطولونية : ١٨٨ .

- الدولة العباسية : ٣ - ٤ ، ٧ ، ١٠ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٧ - ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٥ - ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٢ - ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٥ - ٧٦ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٠ - ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ - ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٨ - ١٢٩ ، ١٣١ - ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٤٨ - ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ١٧١ - ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ - ١٨٨ ، ١٩٠ ، ٢١٦ - ٢١٧ .

- الدولة الفاطمية : ٨٥ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٥٢ .

- دولة قرطبة : ١١٥ .

- الدولة المغولية : ١٠ .

- الترك (الاتراك) : ٤٥ ، ٥٤ ، ١٣٢ - ١٣٣ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢١٦ .

- تغلب (التغلبيون) : ٢٥ - ٢٦ ، ٣٩ ، ١٥٦ ، ١٧٩ ، ١٨٨ .
- تميم : ٣٦ ، ٢١٠ .

الجيم - الحاء - الخاء

- الجازودية : ٧٩ ، ٨٣ - ٨٤ .

- الجاهلية : ٢٨ - ٣٤ .

- الجراجمة : ٢١٨ - ٢١٩ .

- الجرمان : ١٢٤ .

- حامية : ٣١ .

- الحجازيون (أهل الحجاز) : ٦٥ ، ٧٦ ، ٩٧ ، ٢٢١ .

- الحشوية : ٧٨ .

- الخرمية : ١٨٢ .

- خزاعة : ٣٦ ، ١٧٩ ، ٢١٠ .

- الخزر : ٢١٨ .

- الخزرج : ٣١ ، ٣٤ .

- الخطابية : ٨٦ .

- الخوارج : ٤٠ ، ٨٥ ، ٢٠٩ - ٢١٣ .

الدال

- الدولة الاخشيديية : ١٨٨ .

- الدولة الادريسية (دولة الادارسة) : ٩٦ ، ١٢١ - ١٢٤ ، ١٧٦ .

- الدولة الاسماعيلية : ١٠ .

- الدولة الاموية : ٢٣ ، ٢٥ - ٢٦ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٧٥ - ٧٦ ، ٨٤ - ٨٥ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٧ ، ١٢٩ ، ١٦٢ ، ١٨٣ ، ١٨٨ .

فهرس الفرق والقبائل والجماعات

- دولة الموحدين :
الدولة الهاشمية : ٧٣ ، ١٦٤ ، ١٧٢ .
الدهرية : ٨٥ .

الراء - الزاي

- ربيعة : ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٩ .
٤٨ ، ١٧٩ .

- الروم : ٢٩ ، ٢١٦ - ٢١٨ .

الزط : ٢١٨

- الزيدية ٧٥ - ٨١ ، ٨٦ - ٨٧ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٢٠ .

السين - الشين

- السامانيون : ١٨٨ .

- السكاسك : ٢٣ .

- سكان الحرمين : ١١٦ .

- السكون : ٢٣ .

- السلاجقة : ١٣٢ - ١٣٣ ، ١٨٨ .

- السلاف : ٢١٨ .

- السليمانية : ٨٤ .

- الشراة : ٥٩ ، ٧٤ .

- الشعوبية : ١٨٤ .

- شيبان : ٢٧ .

- شيعية علي : ١٦٤ .

الصاد - الضاد - الطاء

- الصحابية : ٣٤ .

- الصقالبة (الصقليون) : ١٢٤ ، ١٢٧ .

- ٢١٨ - ٢١٩ .

- الصليبيون : ٢٩ .

- الضجاعة : ٣٤ .

- الطالبيون (آل ابى طالب) : ٤٢ - ٤٥ ،
٥١ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٩٠ - ٩٢ ، ١٠٠ ،
١٠١ ، ١٠٦ - ١٠٧ ، ١٣٠ ، ١٥٠ ،
١٦٣ ، ١٧٠ - ١٧١ .
طى : ٣٦ .

العين - الغين

- العباسيون : ٢٥ ، ٣٦ ، ٣٩ - ٤٠ ، ٤٢ ،
٤٩ - ٥٧ ، ٥٨ - ٦٠ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٧٥ -
٨٤ - ٨٥ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ،
١١٠ ، ١٢٨ - ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤١ ،
١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧٠ - ١٧١ ،
١٧٥ ، ١٧٧ - ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٩١ - ١٩٣ ،
١٩٥ .

- العثمانية : ١٦٤ .

- العجم (الاعاجم) : ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٨ -
٤٩ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ١٥٨ ، ١٨٥ .

- العدنانيون (العدنانية) : ٢٦ ، ٢٩ ،
٣١ - ٣٣ .

- العرب : ٢٠ - ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٤ -
٣٥ ، ٣٧ - ٣٨ ، ٤٨ - ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٧ ،
٥٩ ، ٩١ ، ٩٨ - ٩٩ ، ١٥١ - ١٥٢ ،
١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٧٩ - ١٨٠ ، ١٨٢ ،
١٨٥ - ٢١٨ ، ٢١٧ .

- عرب الجزيرة : ٣٩ .

- عرب الجنوب : ٢٦ ، ٦٥ .

- عرب خراسان : ٢٧ ، ٥٧ .

- عرب ديار بكر : ٣٩ .

- عرب الشام : ٢٢ .

- عرب الشمال : ٢٦ ، ٦٥ .

- عرب العراق : ٢٢ .

فهرس الفرق والقبائل والجماعات

- | | |
|--|---|
| <p>الكاف - اللام</p> <p>• كلب (الكلبية) : ٢٥ - ٢٦ ، ٤٩ - ٥٠ ، ١٨٨</p> <p>• الكيسانية : ٩٠</p> <hr style="width: 20%; margin: 10px auto;"/> <p>• اللبنانيون (اهل لبنان) : ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢١٦ - ٢١٥</p> <p>الميم</p> <p>• المانوية : ٨٥</p> <p>• المتصوفة : ٥</p> <p>• المجوس : ١٨٢</p> <p>• الخمسة : ٨٦</p> <p>• مذهب أهل الرأي : ١٩٢</p> <p>• المذهب الشافعي : ١٥٢</p> <p>• مذهب الشيعة الفاطميين : ١٥٢</p> <p>• مذهب الكوفيين : ١١٧</p> <p>• مذهب مالك : ١١٥ ، ١١٧ - ١١٨ ، ١٥٢</p> <p>• مذهب المدنيين : ١١٧</p> <p>• المرابطون : ١٢٣ ، ١٢٨</p> <p>• المراكشيون : ١١٨</p> <p>• مرتدة بنى ناجية : ٢١٢ - ٢١٣</p> <p>• المرجئة : ٨٦</p> <p>• مزينة : ٣٦</p> <p>• المستعربون : ٣٩</p> <p>• المستشرقون : ٢١ - ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٤٥ ، ٣٤</p> <p>• المصريون (أهل مصر) : ٥٢ ، ٥٨ ، ١٥٢ - ١٥٣ ، ١٧٦ ، ١٨٠</p> <p>• مضر (المضرية) : ٣٠ ، ٣٣ - ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٩</p> | <p>• عرب اليمن : ٢٧</p> <p>• العلويون : ٤٢ - ٤٣ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٠ - ٨٣ ، ٨٥</p> <p>• ٨٩ ، ٩١ - ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٢ - ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١١٠ - ١١١ ، ١١٤ ، ١١٦</p> <p>• ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٥٠ - ١٥١ ، ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٧٠ - ١٧١</p> <p>• عنزة : ١٧١</p> <hr style="width: 20%; margin: 10px auto;"/> <p>• الغز : ١٨٣</p> <p>• غسان (الغساسنة) : ٣٤ ، ١٨٨</p> <p>الفاء - القاف</p> <p>• الفاطميون : ٤٤ ، ١٢٢ ، ١٧٠ ، ١٨٨ ، ١٩٩</p> <p>• الفرس : ٣٨ - ٣٩</p> <p>• الفرنجة (الافرنج) : ٢٩ ، ٤٥ ، ١٢٣ ، ١٢٨</p> <p>• الفطحية : ٧٨ ، ٨٣ - ٨٤</p> <hr style="width: 20%; margin: 10px auto;"/> <p>• القبرصيون : ٢١٥</p> <p>• القحاطبة (آل قحطبة) : ٣٦ - ٣٧ ، ٤٢</p> <p>• القدرية : ٨٦</p> <p>• قریش (القرشيون) : ١٩٠ ، ٢١١ - ٢١٢</p> <p>• قضاة : ٢٣</p> <p>• القياصرة : ٢١٧ ، ٢١٩</p> <p>• قيس (القيسية) : ٢٥ - ٢٦ ، ٣٤ ، ٤٨ - ٥٠ ، ٢٢٢</p> |
|--|---|

فهرس الفرق والقبائل والجماعات

- | | |
|---|--|
| <p>• نساء مروان : ١٩٤</p> <p>• النصرانية : ٢١١</p> <p>• النورمان : ١٢٤</p> <hr style="width: 20%; margin: 10px auto;"/> <p>• الهاشمية : ٩٠</p> <p>الهاشميون (بنو هاشم) : ٣٩ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ٩٤ ، ٩٧ - ١٤٤ ، ١٢٩ - ١٢٨ ، ١٠١ ، ٩٩ ، ١٤٥ ، ١٧٦ ، ١٦٤ - ١٦٣ ، ١٥٤ ، ١٥١ ، ١٨٠ ، ٢٢١</p> <p>• هتيم : ١٧١</p> <p>• همدان : ٣٤</p> <p>الواو - الياء</p> <p>• الواقعة : ٨٣</p> <p>• الوثنية (الوثنيون) : ٨٥ ، ١٨٢</p> <hr style="width: 20%; margin: 10px auto;"/> <p>اليمن (اليمانية) : ٢٥ - ٢٧ ، ٣١ - ٣٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ١٧٥ ، ١٧٩</p> | <p>• معتزلة البصرة : ١٠٦</p> <p>• المغاربة : ١١٨</p> <p>• المغاربة المراكشيون : ١٢٦</p> <p>المغول : ٣ - ٥ ، ٩ ، ١١ ، ١٣ - ١٤ ، ١٦ - ١٨ ، ١٣٣ ، ١٨١</p> <p>• المغيرية : ٨٦</p> <p>• الملاحدة : ٨٥</p> <p>• ملوك غسان : ٣٣</p> <p>• الممالك : ١٣٢ - ١٣٣</p> <p>• المناذرة : ٣٤</p> <p>• المهالبة : ٢٢١ - ٢٢٢</p> <p>الموالى : ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٨٥</p> <p>• موالى الامويين : ١١٨ ، ٥٠</p> <p>• الموحدون : ١٢٨</p> <p>النون - الهاء</p> <p>• النواوسية : ٨٣</p> <p>نزار (النزارية) : ٢٦ - ٢٨ ، ٣٥</p> <p>• ١٧٥</p> |
|---|--|

فهرس

البلدان والامكنة والبقاع

الالف

- أبو صير : ٤١
- أحجار الزيت : ٩٦
- أرغون : ١٢٣
- اذربيجان : ٤ ، ١٧ - ١٨ ، ٣٥
- أران : ٤
- أربل : ١٣٣
- أرتاح : ١٨٩
- الاردن : ٢٤
- ارم ذات العماد : ١٩٩
- أرمينية : ١٦٨
- آسية : ١٨٣
- آسية الصغرى : ٢١٧
- اشبيلية : ١٢٥ - ١٢٧
- أشروسنية : ١٨١
- اصفهان : ١٦ ، ٣٥ ، ١٦٤
- أطنة : (ادنة) : ١٨٩ ، ١٩٨
- افريقية : ٥٥ ، ٩٣ ، ١٢٤ ، ١٥٤ ، ١٦٩ ، ١٨٨
- الانبار : ٥٠ ، ٦٢ ، ٩٨ ، ١١٦
- الاندلس (الديار الاندلسية) : ٥٠ ، ٥٠ ، ٧٤ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٢ - ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٨
- انطاكية : ٢١٧ ، ١٨٩
- أهناش : ١٧٧
- الاهواز : ٩٩ ، ١٠٩ ، ١٣٣ ، ١٦٦ - ١٦٧
- ايران (المملكة الايرانية) : ٧ ، ١٧٨

الباء

- بابل : ١٨٠
- باخمري : ٩١ ، ٩٦ ، ١١٠ ، ١٥١
- بادية حماه : ١٨٨
- بادية حمص : ١٧٥ ، ١٨٨
- بادية الشام : ٦١
- باكستان : ٨٠
- البجة : ١٩١
- البحر الابيض : ٢١٧
- البحر الرومى : ٢١٧
- البحرين : ٣٠ ، ١٤٩ ، ٢١١
- بخارى : ١٠
- بدر : ٢٠٩
- البربر (بلاد) : ٧٦
- برية النجف : ١٥٠
- البصرة : ٣٥ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٨ - ١٠٩ ، ١٤٩ - ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٦ - ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٦ - ١٧٨ ، ١٨٥ - ١٨٦ ، ٢١٢
- بصرة (المغرب) : ١٢١
- بطياس : ١٨٩
- بعلبك : ٢٠٥ ، ٢١٦ - ٢١٧
- بغداد : ٤ ، ٦ - ٧ ، ١٠ - ١١ ، ١٤ - ١٧ ، ٥١ - ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٤٦ - ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٩ ، ١٩٢ - ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ١٩٦

فهرس البلدان والامكنة والبقاع

الحاء - البقاء

- الحائط : ١٧١
- الحجاز : ٨ ، ٣٩ - ٤٠ ، ٦٢ - ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧١ - ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٦ - ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٣ - ١٠٦ ، ١١٥ - ١١٦ ، ١٣٦ ، ١٦١ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ٢٢٠ - ٢٢١
- الحدث : ١٧٧
- حران : ٥٩ ، ١٩٤
- الحرة : ١٨٠
- الحرمان : ١٦٦
- حصن لؤلؤة : ٢١٧ ، ٢١٩
- حلب : ١٠ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٨ - ١٨٩ ، ٢٠٣
- حماه : ١٨٨
- حمص : ٢٤ ، ١٦٨ ، ١٨٨
- الحميمة : ٥٩ ، ٦١ ، ١٣٨ ، ١٦٣ ، ١٨٨ ، ١٩٤
- حوران : ٣٧ ، ٢٥
- الحويط : ١٧١
- حيطان المدينة : ٨٠

- خراسان : ١٠ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٤ - ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٩ - ٥٧ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٤ - ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٥٣ - ١٥٤ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ، ١٧٧ - ١٧٨ ، ١٨٠ - ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ - ١٨٦ ، ١٨٨
- خزانة جامعة لاهور : ٨
- الخزانة الظاهرية : ٨
- الخليج : ١٦٦

• البلقاء : ٢٣ ، ٢٥ ، ١٧٥

• البنجاب : ٧ ، ٩

• بويط : ١٧٧

التاء - التاء

• تبريز : ٩ ، ١٧

• الترك (بلاد) : ٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٣٥

• ١٨٤ - ١٨٣ ، ١٨٠ ، ٥٠

• تركستان : ١٠ ، ٣٥ ، ١٨٢

• تطوان : ١٢٢

• تونس : ١٢٤

• الثغور : ١٨٩

الجيم

• جامع القرويين : ١٢٢

• جامعة لاهور : ٨

• الجبل (بلاد) : ١٧٨

• جبل طارق : ١٢٥

• جبل طورس : ٢١٧

• جبل طي : ١٧١

• جبل لبنان : ٢٠٥ ، ٢١٣ ، ٢١٦ - ٢١٧

• ٢١٧ -

• جبل اللكام : ٢١٧ - ٢١٨

• جرجان : ٣٤ ، ١٧٨

• الجرجومة : ٢١٨

• الجزيرة : ١٠ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٤٠ ، ٤٢

• ٤٦ - ٤٧ ، ٤٩ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٠٢ ، ١١٥

• ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٦٤

• ١٧٣ - ١٧٥ ، ١٧٧ - ١٧٩ ، ٢١٨ - ٢١٩

• جزيرة ابن عمر : ١٦٠

• الجزيرة العربية : ١٥ ، ١٥٤ ، ١٦٠

فهرس البلدان والامكنة والبقاع

السين - الشين

- سبتة : ١٢٤ ، ١٢٧
- سلا : ١٢٢
- السلطانية : ١٧
- سلمية : ١٧٥ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٠٤
- السماوة : ٤١
- سمرقند : ١٠ ، ٣٦ ، ٥٧ ، ١٦٩
- السند : ١٠٤ ، ١٦٦ - ١٦٧
- السواد : ١٠٩ ، ١٥٠
- سورية : ٢١٨ - ٢١٩

- الشاش : ١٨١
- الشام (الديار الشامية) : ٥ ، ٧ - ١٠ ، ٢٣ - ٢٦ ، ٤٠ - ٤١ ، ٤٦ - ٥٠ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦٠ - ٢٦١ ، ١٧٠ ، ١٧٢ - ١٧٥ ، ١٧٧ - ١٨٠ ، ١٨٥ - ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ٢١٧ - ٢٢١

- الشرق الاقصى : ١٨٢ - ١٨٣

الصاد - الطاء

- الصاغانيان : ١٨١
- صامسون : ٢١٧
- الصفد : ١٨١
- صفين : ٨٥
- صقلية : ١٢٣ - ١٢٤ ، ٢١٧
- الصعيد : ١٧٥
- الصين : ٤

- طبرستان : ٤٥
- طرابلس : ٢١٦ ، ٢١٨
- طرسوس : ١٨٩

السدال

- دار الندوة : ١٣٧
- دجلة : ٢٤ ، ١٨٦
- دمشق : ٣ ، ٦ ، ٢٤ ، ٢٦ - ٢٧ ، ٣٧ ، ٤٨ - ٤٩ ، ٥٩ ، ٩١ ، ١٠٧ ، ١٤٤ ، ١٦٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٠
- الديار الاسلامية (البلاد الاسلامية) : ٢٢ ، ١٨٣

- ديار بكر : ١٦ ، ٤٠ ، ٤٦
- ديار ربيعة : ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٩
- ديار مضر : ٥ ، ٤٠ ، ٤٩ - ٥٠
- الديلم : ٧٦ ، ٩٣ ، ١١٨ ، ١٢٠

الراء - الزاي

- الرافقة : ٤٧ ، ١٧٧ ، ١٧٩
- الرباط : ١٢١
- الربذة : ٩٦ ، ٢٢١
- الربض : ١٢٢ ، ١٢٥
- الربع الرشيدى : ٩
- الرصافة : ١٦٩

- الرقة : ٤٦ - ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ١٧٧ ، ١٧٩
- الرملية : ١٧٥ ، ١٨٨ ، ٢٠٤
- الروم (بلاد) : ٤١ ، ٩٣ ، ١٦٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٨٨
- الرى : ٤٧ ، ٥٤ ، ١٦٤

- الزاب : ٢٤ - ٢٥ ، ٤١ - ٤٢ ، ١٢٩
- زبطرة : ١٨٩ ، ٢١٨
- زرهون (جبل) : ١٢١

فهرس البلدان والامكنة والبقاع

- الطف : ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ١٨٠
- طفوف البصرة : ١٠٣
- طورس : ٢١٧
- طوس : ١٧٨
- طهران : ٦٧

العين - الغين

- العدو : ١٢٥
- عدوة الادارسة : ١٢٢
- عدوة الاندلسيين : ١٢٢

- العراق : ٣ - ٤ ، ٦ - ٩ ، ١٢ - ١٨ ، ٣٧ ، ٣٩ - ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٥ - ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٢ - ٦٣ ، ٦٥ - ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٤ - ٨١ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٥ - ٩٦ ، ٩٨ - ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٤ - ١١٠ ، ١١٦ - ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٦٠ - ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٩ - ١٧٣ ، ١٧٧ - ١٧٩ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ -

العرب (بلاد) : ١٨١ ، ١٧١

- عسير : ١٢١
- عمان : ٢٣ ، ٣٠ ، ٤٩ ، ١٦٦
- عمورية : ٢١٧
- العواصم : ١٨٩
- عين زربة : ٢١٨ - ٢١٩

غرناطة : ١٢٥

- غمدان (قصر) : ٣٣ ، ١٨٠

الفاء

- فارس : ٤ - ٥ ، ١٠ ، ١٥ - ١٦ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٩٣ ، ١٠٩ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٧ - ١٧٨ ، ١٨٧

فاس : ١٢١ - ١٢٢

- فح : ١١٩ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٧١
- فدك : ١٧٠ - ١٧١
- الفرات : ٤٧ ، ١٥٠ ، ١٧٧ ، ١٧٩
- الفرات الاعلى : ١٨٩
- فرغانة : ٣٥
- الفرنجة (بلاد) : ٩٣
- فلسطين : ٢٤ ، ٤٨ ، ٧٢ ، ١٨٨

القاف

- القاهرة : ٧١ - ٧٢
- قبرص : ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٦ - ٢١٧
- قرطبة : ١١٤ - ١١٥ ، ١١٧ - ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٥ - ١٢٧
- القسطنطينية : ١٣٠
- قشتالة : ١٢٣
- قصر ابن هبيرة : ٥٩ ، ١٠٤
- قصر عيسى : ١٤١ ، ١٤٣
- قطيعة عيسى : ١٤١
- قفقاسية : ١٦
- قنسرين : ٢٥ ، ١٨٩
- القيروان : ٥٥

الكاف

- كربلاء : ٩١
- كرمان : ٣٥
- كلواذى : ١٤٩
- الكناسة : ٩٢
- كور الاهواز : ١٤٩
- كور فارس : ١٤٩
- الكوفة : ٣٥ ، ٥٨ - ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٤ - ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٦ - ٨٧ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٩ - ١١٣

فهرس البلدان والامكنة والبقاع

- ١٣٨ ، ١٤١ - ١٤٢ ، ١٤٦ - ١٤٨ ، ١٥٠
١٥١ - ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ،
١٩٦ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٧ .
- اللام - الميم**
- لاهور : ٨ .
لبنان : ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٦ -
٢٢٠ ، ٢١٧ .
-
- مأرب : ٣٣ .
ماسبدان : ١٧٨ .
مالطة : ٢١٧ .
مالقة : ١٢٥ .
ما وراء النهر : ١٠ ، ٣٥ ، ٥٣ ، ٥٦ -
٥٧ ، ١٧٨ ، ١٨٣ - ١٨٤ .
المتحف العراقي : ١٧٧ .
المجمع العلمي العراقي : ٧ .
المجمع العلمي العربي : ٦ .
المدائن : ١٠٩ ، ٢٠٩ .
المدينة : ٦١ - ٦٦ ، ٦٩ - ٧٠ ، ٧٢ ،
٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ - ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ،
٩٠ - ٩٣ ، ٩٥ - ٩٦ ، ١٠٣ - ١٠٦ ،
١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٣ - ١١٤ ، ١١٦ - ١١٧ ،
١٥٢ - ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٦ ، ١٦٩ - ١٧١ ،
١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ٢٢٠ - ٢٢٤ .
مراغة : ٤ ، ١٧ .
مراكش : ٧٦ ، ٩٣ ، ١٢٠ - ١٢٤ .
المربد : ١٤٨ .
مرج راهط : ٢٥ .
مرعش : ١٨٩ .
مرو : ٢٧ ، ٣٦ ، ١٦٩ ، ١٧٨ ، ١٨٠ .
- المستنصرية : ١٦ .
المسجد الحرام : ١٠١ .
المشرق (الشرق) : ٤ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٥ ،
١٦ - ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ٥٤ ،
٥٦ ، ٦٠ ، ٧٢ - ٧٦ ، ١٢١ - ١٢٢ ، ١٣٣ ،
١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٧٧ - ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٣ ،
١٨٦ .
مصر (الديار المصرية) : ٥ ، ٧ ، ٢٤ ،
٤١ ، ٤٨ - ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٧ - ٥٨ ، ٩٣ ،
١١٧ - ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٥٢ - ١٥٤ ، ١٥٧ ،
١٦٠ - ١٦١ ، ١٧٢ - ١٧٤ ، ١٧٦ - ١٧٩ ،
١٨٦ - ١٨٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ .
المغرب (الغرب) : ٢٠ ، ٥٠ ، ٧٦ ، ٧٣ ،
٧٥ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١١٥ ، ١٢١ - ١٢٣ ،
١٢٥ - ١٢٦ ، ١٢٦ ، ١٧٦ ، ١٨٨ .
المغرب الادنى : ٥ .
المغرب الاقصى : ٥ ، ٥٠ ، ٧٦ ، ٩٣ ،
١١٨ ، ١٢١ - ١٢٣ .
المكتبة العامة - في بغداد - : ٦ .
مكتبة اللجنة الثقافية - بمصر - : ١٢٤ .
مكة : ٦٢ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ١٠١ ، ١٠٧ ،
١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٥٣ - ١٥٤ ، ١٦٩ ، ١٨٥ ،
٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ .
مكران : ١٧٦ .
مكناس (مكناسة) : ١٢١ ، ١٢٢ .
ملطية : ١٨٩ .
المملكة البيزنطية : ٢١٧ .
منبج : ١٨٩ .
الموصل : ١٠ ، ٤٩ ، ١٠٩ .
موقان : ١٦ .

فهرس البلدان والامكنة والبقاع

النون - الهاء

- نجد : ٦٦ ، ١٧١ .
 نصيبين : ٤١ ، ٤٨ ، ١٣٩ ، ١٧٣ .
 نهر عيسى : ١٤١ .
 النهروان : ٢٠٨ ، ٢٠٩ - ٢١١ - ٢١٢ .
 النورمان : ١٢٣ - ١٢٤ .
 النوبة : ١٩١ .
 النيل : ٢٤ ، ١٨٦ .
 الهاشمية : ٨١ ، ٩٤ - ٩٥ ، ١٠٤ ،
 ١١٦ ، ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٧٢ ، ٢٢١ .
 هرات : ١٦٤ .

الهند : ٨ ، ٥ .

هيت : ٦٠ .

الواو - الياء

- وادي القرى : ٢٣ .
 واسط : ٣٧ ، ٥٩ ، ٦١ - ٦٢ ، ١٠٩ -
 ١١٠ ، ١٣٥ .
 اليمامة : ٦٦ ، ١٤٩ .
 اليمن : ٣٩ ، ٤٩ ، ٦٦ ، ٩٣ ، ١٠٤ ،
 ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٥٤ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ،
 ١٨٥ ، ٢٢٢ .

المستدركات

لم يسلم الكتاب من بعض الاغلاط المطبعية مع بذل الجهد في التصحيح ومع ماظهرته ادارة مطبعة التفيض وعمالها من رحابة صدر يحمدون عليها . وقد تدوركت تلك الاغلاط وصححت حسب الجدول الاتي وبقيت غلطات مطبعية طفيفة تركنا الاشارة اليها اعتمادا على فطنة المطالعين

الصفحة	السطر	
٥	الهامش	صوابه الثامن
٦	٤	» اثر
٤٨	٥	» القلاقل
٥٧	١٨	» موسى بن عيسى بن موسى بن محمد
٦٠	١٦	» لأن ابراهيم
٦١	١٧	» مباشرة العمل
٧٢	١٦	» مفقود
٧٦	٣	» ابن عبدالعزيز
٧٨	٥ من الهامش	» مصنف الحاوي
٨٤	٩	» ذلوا
٨٨	١١	» كونوا النمرقة الوسطى « وردت هذه الكلمة في نهج البلاغة على انها من اقوال الامام علي وعليها شرح لابن ابي الحديد (٢٨٩/٤) .
١٠٣	٨	صوابه المدينة
١٠٣	٢٢	» التيمى
١١٠	٢٠	» اعناقنا
١٢٣	٢١	تحذف « بصاحبها » ويحل مكانها « بصاحبى صقلية »
١٢٦	١٤	تضاف « لهم » بعد « ثانية »
١٢٨	٦	صوابه مسلموا
١٣٠	٢	» الا أن

الصفحة السطر

صوابه ٣٠٣	٣ من الهامش	١٣٥
» ابن هبيرة	٢	١٣٩
» الساسانية	٣	١٣٩
» مع ابي	٣ من الهامش	١٤٢
تضاف « من » بعد « شعره »	٢ من الهامش	١٤٣
صوابه ولاء المنصور	٦ من الهامش	١٤٤
» تم	١٧	١٤٤
صوابه نائباً عنه	١ من الهامش	١٥٣
تحذف « في جزيرة العرب من الشام والجزيرة »	٥	١٥٤
ويحل مكانها « من جزيرة العرب والشام والجزيرة »		
صوابه الصق	٩	١٥٥
» العلوية	١٠	١٥٦
» في القطر المصري	١٨	١٥٧
» جيء بال على	٢٠	١٥٩
» الى الخلافة	١٧	١٦٢
» عمرو	٣ من الهامش	١٦٣
» لابن	الاخير من الهامش	١٦٥
» أبو عمرو	٧	١٦٨
» هتيم	٧ من الهامش	١٧١
» فرحبوا	٩ من الهامش	١٧١
» ولائه	٦	١٧٢
» التنبيه	٥ من الهامش	١٧٤
يحذف هذا السطر ويحل مكانه « عزل عن جميع	١٤	١٧٤
الولايات التي تولوها ، عزل عن المدينة وعن الجزيرة وعن		
الشام »		
تحذف كلمة « الحجازيين »	٩	١٧٥
صوابه وبين هذين	١٨	١٧٥
احذف « في » من « في كتاب »	٣ من الهامش	١٧٦
صوابه قبائل	١١	١٧٩
» معه	٣ من الهامش	١٨٧
		٢٥٤

صوابه قنسرين	٨	١٨٩
ضع رقم ١	١ من الهامش	١٩١
تحذف « عبدالله » ويحل مكانها « عبد الملك أخيه »	١٢	١٩٤
تحذف « عبدالله » ويحل مكانها « عبد الملك »	١٤	١٩٤
صوابه جعفر	٦ من الهامش	٢٠٣
» التبصير	٤ من الهامش	٢٠٩
تبدل « الاروام » بـ « الروم »	٣ من الهامش	٢١٦
صوابه استولوا	١٠	٢١٧
تبدل « الاروام » بـ « الروم »	٢	٢١٨
صوابه بنائهم	٥	٢٢٣

الكتب والمراجع

اسم الكتاب	المؤلف
الاثنا عشرية في المواعظ العديدة	ابن قاسم العاملي
الاحتجاج	الطبرسي
الاحكام السلطانية	الماوردي
الاخبار الطوال	
اخبار ابي نؤاس	ابو هفان
الآداب السلطانية	ابن الطقطقي
الارشاد	الشيخ المفيد
الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى	السلوى
الاستيعاب	ابن عبد البر
الاشتقاق	ابن دريد
الاشربة	ابن قتيبة
الاجاني	ابو الفرج الاصبهاني
الامالي	القالي
الامالي	الطوسي
الامامة والسياسة	
الامثال	الميداني
الاموال	القاسم بن سلام
الانتقاء	ابن عبد البر
الانساب	السمعاني
احسن التقاسيم	المقدسي
احياء العلوم	الغزالي
اخبار الرجال	الكشي
ازهار الرياض	شهاب الدين التلمساني
اصول الكافي	الكليني
اعلام الوري	الطبرسي
انباء الرواة	القفطي
انساب الاشراف	البلاذري

اسم الكتاب	المؤلف
بحار الانوار	المجلسي
البخلاء	المحافظ
البداية والنهاية	ابن كثير
بغية الوعاة	السيوطي
البلدان	ابن خردادبة
البيان والتبيين	المحافظ
البيان المغرب	ابن عذارى المراكشي
التاج	منسوب الى الجاحظ
تأريخ الامم والملوك	الطبري
تأريخ بغداد	الخطيب البغدادي
تأريخ الخلفاء	السيوطي
تأريخ يعقوبى	ابن واضح يعقوبى
تذكرة ابن حمدون	
تذكرة الخواص	سبط ابن الجوزي
تذكرة الاولياء (فارسي)	فريد الدين العطار
تعليقات على منهج المقال	البهبهاني
التنبية على اوهام ابى على القالى	البكري
التنبية والاشراف	المسعودي
تهذيب التهذيب	ابن حجر
ثمار القلوب	الشعالبي
جامع اشنتات النبات (مخطوط)	الشرىف الادريسى
جمع الجواهر فى الملح والنوادر او ذيل	الحصرى
زهر الاداب	
جمهرة النسب	ابن دريد
الحاوى (مخطوط)	الجزائرى
الحماسة	ابو تمام
حياة الحيوان	الدميرى
خزانة الادب	عبدالقادر البغدادي
خلاصة الاقوال	العلامة الحلى

المؤلف

اسم الكتاب

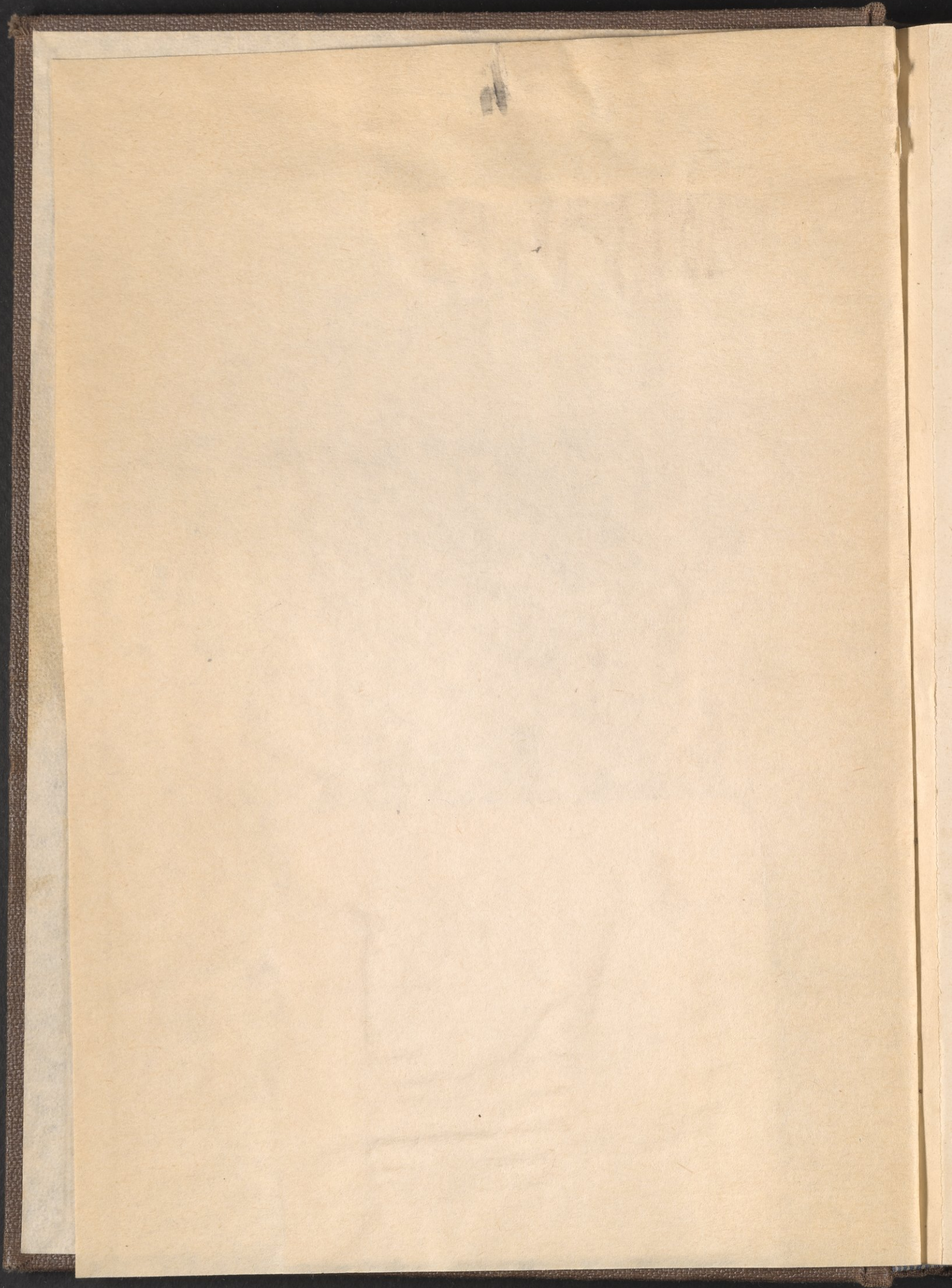
ابن دحلان	خلاصة الكلام في امراء البيت الحرام
الحريري	درة الغواص
البحراني	الدرة النجفية
ابن بسام	الذخيرة
	رحلة ابن جبير
	رسالة في الانساب
ابن نباتة	شرح العيون
الملك عيسى الايوبى	السهم المصيب
	سيرة ابن هشام
ابن الجوزى	شذور العقود
محمد صالح المازندراني	شرح اصول الكافي
الخطيب التبريزي	شرح ديوان الحماسة
الشريشي	شرح المقامات
ابن ابى الحديد	شرح نهج البلاغة
الفاسي	شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام
ابن الجوزى	صفوة الصفوة
	طبقات ابن سعد
الشعراني	طبقات الصوفية
ابن خلدون	العبر
ابن قتيبة	العرب والرد على الشعوبية
ابن عبدربه	العقد الفريد
ابن عنبه	عمدة الطالب
ابن هذيل	عين الادب والسياسة
ابن قتيبة	عيون الاخبار
	غاية الاختصار (انساب)
الوطواط	الغرر
الطوسي	الغيبة
البلاذري	فتوح البلدان
البغدادى	الفرق بين الفرق

اسم الكتاب	المؤلف
فرق الشيعة	النوبختي
الفصول المختارة من العيون والمحاسن	الشيخ المفيد
الفصول المهمة	ابن الصباغ
فوات الوفيات	الكتبي
الفهرست	ابن النديم
الفهرست	الشيخ الطوسي
الكامل	ابن الاثير
الكامل	المبرد
كتاب صفين	المنقري
كتاب الولاة وكتاب القضاة	الكندي
كشف الغمة	علي بن عيسى الاربلي
كتاب بغداد (الجزء السادس)	ابن طيفور
لباب الآداب	اسامة بن منقذ
اللمع	ابو نصر السراج الطوسي
مجمع الاقوال	الاستربادي
مجمع البحرين	الطريحي
المحاسن والمساوي	منسوب الى البهقي
مرآة الزمان	سبط ابن الجوزي
المراقبة العليا	المالقي
مروج الذهب	المسعودي
مستدرك الوسائل	الشيخ النوري
مطالب السؤل	محمد بن طلحة
المعارف	ابن قتيبة
معالم العترة	الجنابذي
معاهد التنصيص	العباسي
المعجب في تلخيص أخبار المغرب	عبدالواحد المراكشي
معجم البلدان	ياقوت الحموي
معجم الشعراء	المرزباني
محاضرات الراغب الاصبهاني	

اسم الكتاب

المؤلف

مقاتل الطالبين	ابو الفرج الاصبهاني
مقالات الاسلاميين	ابو الحسن الاشعري
مقدمة ابن خلدون	
الفوائد السنية	اللكنوي
المقصد المرام في عجائب الاهرام (مخطوط)	ابن مماتي
الملاحم والفتن	رضي الدين بن طاووس
ملحق اخبار القضاة	ابن حجر وسبطه
الملل والنحل	الشهرستاني
منافرات العرب	ابو عبيدة
مناقب الاتراك	الجاحظ
مناقب آل ابي طالب	ابن شهر آشوب
مناقب المكي	
مناقب ابن البزاز	
منهج المقال	الاستربادي
الموطأ	مالك بن انس
منهج الدعوات	ابن طاووس
مهدب تأريخ دمشق	ابن عساكر
ميزان الاعتدال	الذهبي
النبراس	ابن دحية
نثر اللثالي	ابن ابي جمهور الاحسائي
النجوم الزاهرة	ابن تغري بردي
نزهة الالباء	الانباري
نكت الهميان	الصفدي
نور الابصار	الشبلنجي
نهاية الارب	النويري
الورقة	ابن الجراح
الوزراء والكتاب	الجهشياري
الوسائل	الحر العاملي
وفاء الوفا	السمهودي
وفيات الاعيان	ابن خلكان
اليتيمة	الثعالبي



TE DUE



DATE DI

MAY - 1944

